من التراث

مرآة الرشاد

تأليف

فقيد العلم والتقى آية الله العظمى الحجة الباهرة

الشيخ عبد الله المامقاني

علّق عليه وحققه وضبط مصادره

نجله

الشيخ محيي الدين المامقاني



من التـــراث .. (١)

مرآة الرشاد

في الوصيّة إلى الأحبّة والذرّيّة والأولاد

تأليف

فقيد العلم والتقى آية الله العظمى الحجّة الباهرة

الشيخ عبدالله المامقاني

طاب رمسه الشريف

(١٢٩٠ ـ ١٣٥١ هـ)

علّق عليه وحقّقه وضبط مصادره

نجله

الشيخ محيي الدين المامقاني

دام ظلّه العالي

باشراف ومراجعة

حفيده

الشيخ محمد رضا المامقاني





▼
مرآة الرشاد في الوصيّة إلى الأحبّة والذرّيّة والأولاد
تأليف: آية الله العظمىٰ الشيخ عبدالله المامقاني
تحقيق: الشيخ محيي الدين المامقاني
باشراف: الشيخ محمد رضا المامقاني
الناشر: دليل ما
المطبعة: نگارش
الطبعة الثامنة
سنة النشر: ١٤٢٥هـ. ق
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة
شابک (ردمک): ١ ـ ٤٢ ـ ٧٩٩٠ ـ ٩٦٤ ISBN
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، زقاق ٢٩، برقم ٤٤٨
هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨ (٩٨٢٥١)
صندوق البريد: ١١٥٣ ـ ٣٧١٣٥
WWW.Dalile-ma.com
info@dalile-ma.com



مامقانی، عبدالله، ١٨٧٢؟ ـ ١٩٣٢م.
مرآة الرشاد في الوصيّة الى الأحبّة والذرّيّة والأولاد / تأليف عبدالله المامقانی؛ علق عليه و حقّقه و ضبط مصادره محيی الدين المامقانی؛ باشراف و مراجعة محمد رضا المامقانی. ــ قم: دليل‌ما، ١٣٨٢.
٢٤٠ ص. ـ (من التراث؛ ١)
ISBN 964- 7990 - 42 - 1
عربی.
فهرستنويسی بر اساس اطلاعات فيپا.
اين كتاب توسط ناشران مختلف در سالهای مختلف نيز منتشر شده است.
كتابنامه.
چاپ دوم: ١٣٨٣.
١. اخلاق اسلامی. ٢. احاديث اخلاقی. الف. مامقانی، محيی الدين، ١٩٢٢ـ م، مصحح. ب. مامقانی، محمدرضا، ١٣٣٢ ـ ، مصحح. ج. عنوان
BP ٢٤٧/٨/ ٢م ٤   ٢٩٧/٦١
١٣٨٢
كتابخانه ملی ايران   ١٠٨٣٢ ـ ٨٢م



الطبعة الأولى : ١٣٧٤هـ النجف الأشرف
الطبعة الثانية : ١٣٨٤هـ النجف الأشرف
الطبعة الثالثة : ١٣٩٧هـ قـم
الطبعة الرابعة : ١٣٩٨هـ بيروت
الطبعة الخامسة : ١٤٠٣هـ قـم
الطبعة السادسة : ١٤٢٠هـ قـم
الطبعة السابعة : ١٤٢٤هـ قـم

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية مكرّراً ، وطبع أكثر من مرّة ، كما وقد ترجم إلى الأردو ، والتركية ، والكلير ، وهناك محاولة لترجمته إلى اللغة الانكليزية والفرنسية ، كما وقد أقرّ تدريسه في بعض الجامعات والحوزات العلمية .

مقدمة الطبعة الثالثة :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللهم يا من أريتنا بـ :

« مـرآة الـرشـاد »

كمال معرفتك ، وأتممت علينا كمال شكرك بتمام نعمتك ، وأسبغت علينا رحمتك بتخصيص فيضك ، وصلّى الله عليه رسولك المصطفى وآله المستكملين الشرفا .. .

أمّا بعد ؛

فبين يديك ـ قارئي العزيز ـ رسالة وجيز لفظها ، جزل سبكها عميق قعرها ، سهل تناولها ، سائغ أُكلها .. حفلت بمجموعة من الآداب والسنن والمكارم الموصاة من شيخ شاخ فيها ، وسابر غورها ، وآخذ بعصارتها ، لاقماً إيّاها لأنجاله وأبنائه .. وغيرهم ممّن تجمعهم وإيّاه رابطة الإيمان .. طلباً لكمالهم ، وتكميلاً لصلاحهم ، أريد لها أن تطبع قبل بضع

سنين للمرة الثانية وهي مزدانة بتعاليق ثمينة ، وتواشيح قيّمة من نجل المؤلّف ـ دام ظلّه ـ مع اقتصار كل منهما على أمهات المطالب بالمتن من ذاك والتعليق من هذا ، دون إطالة أو إطناب .. والمتكّى عندهما روايات أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم أجمعين .

ونحن إذ نقدّم هذه الطبعة من السفر العظيم ، نشير الى وجود زيادات وإضافات عريت عنها الطبعة الثانية مع جودة في الإخراج والطبع كان لبعض الأعزّة اليد الطولى في طبعها ، فله منا جزيل الشكر والتقدير ، ومن الله سبحانه مزيد التوفيق والتسديد .

نسأله عزّ اسمه أن يأخذ بأيدينا لمراضيه ، ويسدّد خطانا ، فهو حسبنا ونعم الوكيل[1] ..

قم / صفر ١٣٩٧ هـ

محمد رضا المامقاني

---

(١) أقول : كل ما كان في هذا الكتاب بين معقوفتين فهو من زياداتي في الطبعة السادسة لهذا الكتاب . ومنه نستمدّ التوفيق والتسديد والرضوان .

مقدمة الطبعة الثانية :



الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أمناء الله على وحيه ، وهداته على خلقه محمّد وآله البررة الميامين الطيّبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

وبعد ؛

لمّا تكرّر الطلب ـ بإلحاح ـ تلو الطلب ، من مختلف طبقات المجتمع ، وتكاثر الراغبون لهذا التأليف القيم (مرآة الرشاد) ـ والّذي هو بين أيدينا الآن ـ ومن بعده كتاب (مرآة الكمال) وكانت نسخه قد نفدت من ذي قبل ، ورأيت أنّ مجتمعنا بأمسّ الحاجة لدراسة مثل هذا السفر الجليل ، لما يحتوي على جُلّ التعاليم الدينيّة الرشيدة ، وينير للناظر فيه سبل الحياة القويمة ، فيما يرجع للنشأتين الدنيويّة والأخرويّة ، ويرشد المطالع على كيفية ربط صلته بخالقه ومجتمعه ، ولا يترك شاردة ولا واردة ممّا يضمن حقوقه إلاّ وقد رسمه وذكره غالباً . كلّ ذلك على ضوء تعاليم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام المستمدّة من الوحي الإلهي عزّ اسمه . فأعدت طبعه ـ مستعيناً بالله ـ على هذه الصورة الجميلة التي بين يدي القارئ الكريم .

ورأيت حرصاً على مزيد الفائدة تخريج الأحاديث المذكورة ، وذكر نصوص الأحاديث المنقولة بمعانيها ، وذكر الأحاديث بكاملها إن كان المذكور بعضها . كلّ ذلك لإتمام الفائدة ، ولأنّ في كلامهم عليهم السلام

حلاوة وتأثيراً في النفوس ليسا في غيره ، ولا غرو فإنّ كلامهم فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق جلّ شأنه .

ولما كان المرتوي من منهل هذا التأليف من مختلف مجتمعنا ـ ومنهم ذوو الفضيلة وأعلام الأمّة ـ رأيت أن أعلّق على بعض الفروع الفقهيّة بذكر الأقوال فيها مع الاشارة الىٰ أدلّتها إجمالاً ، وبيان الرأي المختار لديّ ، مع الإشارة إلى الدليل ، كل ذلك على طريق الإشارة والتنبيه ، لكي تتمّ الفائدة للمُراجع ، ولا يخرج الكتاب عن موضوعه . والله سبحانه وليّ التوفيق والقبول .

واليوم أقدّم الكتاب الأول ـ مرآة الرشاد ـ وسأفي بتقديم الثاني ـ بإذن الله تعالى ـ فيما بعد .

هذا ، وإنّي أزفّ البشرى العظيمة لروّاد العلم والتحقيق ، بعزمي الجازم ـ بحول الله وإشاءته ـ على تجديد طبع أوسع وأدقّ وأضبط موسوعة في الرجال ، ألا وهي : (تنقيح المقال) تأليف فقيد العلم والتقى سماحة آية الله العظمىٰ الوالد نوّر الله ضريحه ، بعد الفراغ من طبع مرآة الكمال مباشرة ، وإنّي على استعداد ـ مع الشكر ـ لقبول كُلّما يردني من ملاحظات وتعليقات أو تصحيحات أو زيادات تخصّ موضوع الكتاب ، ثم دراستها وتسجيلها حسب الإمكان ، فالمأمول من ذوي الفضل والتحقيق التفضّل بتسجيل ملاحظاتهم ، وإرسالها إلينا ، ومن الله أستمدّ الحول في إنجاز مشروعي هذا وكفىٰ به معينا .

النجف الأشرف / ١٣٨٤ هـ

محيي الدين المامقاني

تفضّل جناب العلامة السيد محمد الحلي ـ أيّده الله[١] ـ مشكوراً ونظم هذه الأبيات في تاريخ الطبعة الثانية للكتاب مع شرحه :

إذا رمت التـــــحلّي[٢] بـــالسداد
وأن تســـمو عـــلا في كـل نـــادي
وتـــصبح مـــطمح الأنـظار لطـفاً
وتكسب عـــــزّة بـــين العـــباد
وتحـــظىٰ في الورىٰ عـــزاً وفـخراً
ومجـــداً في الطـــريف وفي التـلادِ[٣]
فـخذ مـا شـئت مـن فـضل وأرّخ
(لديـــنا شرح مـــرآة الرشـــاد)
(١٣٨٥ هجريـة)

السيد محمد الحسيني الحلي

---

(١) وقد جاء في كتابه رحمه الله : مجموعة التواريخ الشعرية : ٤٧ ـ ٤٨ .

(٢) في المصدر : التجلي .

(٣) هذا البيت مزيد في المجموعة ، ولم يكن قد تفضّل به رحمه الله في وقته علينا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة آل عمران (٣) : ١٠٤

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة النحل (١٦) : ٩٧

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴾ سورةآل عمران(٣):١٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

نحمدك يا من ارانا بمرآة الرشاد كمال معرفته فدعانا كمال معرفته الى شكر نعمته فشكرنا فكان شكرنا من آثار رحمته ونصلي على رسولك المصطفى وآله المستكملين الشرف

اما بعد فان ابهى ما رسمته اكف البيان واتم نور تجلى في سماء البرهان كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فجل عن الافصاح بثناؤه وعلا طوله

بوصفه كيف لا وهو بحر عجز عن السنن والاداب كتاب بجواهر وجواهر كتاب فاكرم ببحر صاغت بربيانه ومعانيه وحيا الله تعالى منظم درره ولئاليه كتاب لم

يؤت بمثله وهو الكمال ولكل شئ مرآت ولا كمرآت الكمال حيث لو نسج ناسج على منواله مثاله نكانه لا يمام الدين اكماله فاهو الا رياض علوم يانعة الاثمار وحدائق ورودها

وبحار الانوار وكفى به كافيا في سننه وادابه ووافيا بتهذيب فصوله وابوابه اتى وناظم درره ولئاليه في سلك بيانه وحيد زمانه وفريد اوانه من يشير اليه العلم

ببنانه السابق في حلبات ميدانه بحر العلم الخضم وبدر الفضل الاتم وطود الحلم الاشم الحجة اللائحة للدين والآية الواضحة للعالمين من سمى فحلى وسبق حيث لم يسبق

فجاءنا بمجزاياته فتفرد في كمال معانيه وجاءنا في مرآة رشاده الرائق ومرآة كماله الفائق ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام تملى الناس من بحار الانوار جواهر الكلم نظمه

بابدع الاساليب انوار الربيع واتم بانامل البديع انواع البديع شارحة مختصر تلخيص المعاني بمطول الايضاح فاتحة باب معاجز البيان بالف مفتاح واصفة هذه المرآة

التي مثل نورها كمشكوة فيها مصباح لا يحوزها المثال ولضاق بها المجال عن وصف هذا الكتاب كيف مؤلف هذه الحكمة وفصل الخطاب فالحق حبذا انه مؤلف

الكتاب اعني به جناب علامة العالم وفخر بني آدم سلطان الفقهاء والمجتهدين وقطب المحققين والمدققين اعلم العلماء العاملين حجة الاسلام والمسلمين آية الله في الانام

مفتي الشيعة وملاذ الشريعة شيخ الطائفة الامامية وسيد مجتهدي الجعفرية من عجزت الاقلام من تحرير معناه الفقيه المحقق الحاج

الشيخ عبد الله المامقاني الغروي متع الله الاسلام والمسلمين بطول بقائه وادام ظله الشريف على مفارق

اهل عصره واوانه فهلم وانظر الى ما تضمنه سطوره من الحكم وجوامع الكلم وخاطبه بهذه الابيات التي نظمها بعض الفضلاء وابدع انتصارا لنا بيانه ولكل خبر هذا له

هي الحكمة الغراء ام الآية الكبرى ام السحر لا بل التي تبطل السحرا	صحائف لكن تحت كل صحيفة من الغيب ستر كهنه يذهل الفكرا
برأها الذي لم تلق في الكون مثله وان كنت قد قلبته البطن والظهرا	وذكرها الناس اداب دينها وهل يستوي امثالها انتقم الذكرى
جزى الله عبد الله خيرا فانه ارانا بمرآة الكمال الهدى جهرا	فيا فكر صه عن نعت بعض صفاته فذلك معنى لا تحيط به خبرا

وقد انشد بعض الفضلاء في مادة تاريخ الفراغ من طبع الكتاب هذه الابيات

اعبد الله دم للدين كهفا نفيرا لم تجد كهفا مشادا	وعين لا تزال فلم تلهها فقد فقدت برؤيتك السوادا
نهت براعة الاسلام واحكم فقد صار الفضا لها مدادا	وجرد سيفك الماضي شباه فسيف الدين يأبى الاغمادا
وبوناك منبر الاسلام فاتلوا على اعواده نونا وصادا	وللعرب الفصيحة كن خطيبا فانك افصح البلغاء ضادا

زعيم الدين اوضح لي وارخ ١٣٤٢ بمرآة الكمال لي الرشادا

ثم لا يخفى عليك ان ما تكرر وتظافر من عن اهل البيت عليهم السلام انه اذا مات ابن آدم انقطع عنه الا ثلث علم ينتفع به وولد صالح وصدقة جارية وكان احسن الصدقات الجارية

طبع كتب العلم لكونها ابعدها فناء وادومها بقاء وكون نشرها خدمة للدين المبين عقد جمع شركة بدفع كل منهم مقدارا لطبع الكتب الدينية ولما التجأوا جميعهم بين الحضرة الذي

والخدمة لجنابه مد ظله نقلوا المجموع وارجعوه اليه مد ظله العالي بعقد لازم بشرط ان يطبع به الكتب الدينية ويباع ويطبع بالثمن كتاب آخر وهكذا الى ان يرث الله تعالى

الارض ومن عليها مقدما مصنفاته ومصنفات حضرة والده الشيخ العلامة انار الله برهانه واعلى في فراديس الجنان مقره ومقامه على غيرها وجعلوا التولية لهذا الامر الشريف بيده

مد ظله ثم بيد من تولى مقبرتهم في كل عصر وجعلوا لمن بيده من المؤلفين نصف عشر المنافع بشرط بذل الجهد في حفظ الاصل وضبط النماء وثبت ذلك كله في فرد مضبوط

واشترطوا انهم في ضمن العقد ان لا تعطى ورقة منها مجانا حفظا للمقصد لاستمرار هذه الخيرية وحيث ان الشركاء لم يسألوا احدا مما التزموا به لكن ابوا ادراج اسمائهم ومقدار ما

دفعه كل منهم الى ظهر ما يطبع بعد هذا ويلزم المطالع في هذا الكتاب ان يدعو لهم ويترحم عليهم وعلى من اعان على طبعه باقراض ثمن الكاغذ ونحوه وهذا فهرس مصنفات

حضرة المصنف دام ظله العالي منتهى مقاصد الانام في نكت شرائع الاسلام مخزن اللئالي في فروع العلم الاجمالي مطبوع الاحسن الوسيلة عن تقبيل الاعتاب المقدسة مطبوع

نتائج التنقيح متن منفصل من التنقيح الى الرياض منهاج التقوى في حواشي العروة الوثقى مطبوع تحفة الصفوة في احكام الحج مطبوعة نصة الخيرة في احكام الحج والعمرة

مرآة الكمال لمن رام درك مصالح الاعمال مطبوع مخزن المعاني في ترجمة الشيخ المامقاني مطبوع مرآة الرشاد في الوصية الى الاحبة والاولاد رسالة المسئلة الجليلة في تشخيص الحاكم بين جاهلين

نهاية المقال في تكملة غاية الآمال مطبوع وسيلة النجاة في جواز من الاستفهام وسيلة التقى في حواشي العروة الوثقى مطبوع بغية المسؤل في انتها اللهو المقبول الذي

القلائد الثمينة تعليق على ملحقات الشيخ هداية الانام في اموال الامام مطبوع رسالة المسائل الحربية رسالة الاربعين في اربعين مسئلة

مطارح الانهام في مباني الاحكام رسالة ازالة الوهم عن بدعة على النور والكلام رسالة اغناء الاغسال عن الوضوء رسالة المسافر والاعمال عليه قضاه

مقباس الهداية في علم الدراية نتائج التنقيح سؤال الجواهر الكبيرة منهج الرشاد سؤال وجواب وسيط رسالة كليفية الكفارات في الفروع المسائل البصرية مطبوعة

رسالة الحكم النزل عن الحرمة الدائمة رسالة الجمع بين فاطميتين رسالة فخر الزوجة من الارض رسالة في الرؤية المستقلة لكونها مطلقة رجعة اذا طلقها الزوج فهل تعلق

« ديباجة الطبعة الاولى للكتاب »

هذه رسالة مرآة الرشاد في الوصية الى الاحبة والأولاد وتتلوها كتاب مرآة الكمال لمن رام درك مصالح الاعمال لحضرة العلامة المامقاني مدظله العالي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبيه الامين وآله الغر الميامين **وبعد** فيقول العبد الضعيف الفاني عبد الله الشريف المامقاني عفي عنه ابن الشيخ قدس سره انى لما وجدت قصر الاعمار وعدم اعتبار الآجال ووجدت الاجل اذا جاء لا يمهل والموت اذا ما جاء لا يستقدم ولا يستأخر وخفت ان يدركني الأجل قبل تربية ولدي وفلذة كبدي سمي والدي محمد حسن احسن الله سبحانه حاله في الدارين ووفقه لتحصيل الملكتين واعز به الدين وشيد به الشرع المبين فرأيت ان افرد رسالة تتضمن وصاياي اليه والى سائر ذريتي واحبائي مما يلزم وصلة الالتزام به كمال وصلاح داريه وارجو من كافة ذريتي ما لم ينقرضوا وسائر اخواني الذين العمل بها ومن تزوج من ذريتي مراجعة هذه الرسالة في كل اسبوع او شهر مرة الى ان يصير جميع ما فيها له ملكة فهو عاق على واراه لا يفلح ولا يرى الخير ومن حصل منهم ملكة بعضها فعليه بمراجعتها الى ان يصير الجميع له ملكة ومن لم يعمل بما في هذه الوصية فاسئل الرب الجليل عز شانه ان يصلح له شان داريه ولا يريه مكروها ويمد له في العمر السعيد ويمتعه بالعيش الرغيد واسئل الكريم الوهاب ان ينفعني واياه بها يوم الحساب الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون وسميتها **بمرآة الرشاد** في الوصية الى الاحبة والذرية والاولاد ورتبتها على فصول **الأول** في نبذ يسير مما يرجع الى الاصول الخمسة اعلم اعانني وهداك الله سبحانه الى سواء الصراط وجنبك المعاصي والزلات ان اول ما يجب عليك ان تنظر في اصول دينك وتحكم بالادلة القطعية بنيان اعتقادك ويقينك في خالقك وانبيائه واوليائه لعدم كونك سدى كالحيوانات وليس غرضي من ذلك الاشتغال بعلمي الكلام والحكمة ومراجعة كتبهما بل انهاك عن مراجعتهما قبل الكمال اشد المنع لان فيهما سوفسطائية ربما توقعك في المهاوي بل ورد النص من اهل البيت عليهم السلام بالمنع عن مطلق مراجعتهما بل غرضي مراجعة كتب العقايد للفاضل المجلسي قده ونحوها وبناء عقايدك على براهين مورثة لليقين وكفاك في اثبات الصانع ما تراه من الآثار والعجائب وتدبير العالم فان الاثر لابد له من مؤثر ولقد اجاد من قال ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وقال آخر في الارض آيات فلا تك منكرا عجائب الاشياء من آياته والى هذا المعنى اشار رئيس الموحدين امير المؤمنين عليه افضل الصلوة والسلام بقوله في بعض خطبه لقد زعموا انهم كالنبات ليس لهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع لم يلجؤا الى حجة فيما ادعوا ولا الى تحقيق فيما وعوا وهل يكون بناء من غير بان او جناية من غير جان وغرضه عليه السلام بذلك المقايسة بالمحسوسات وتعليم طريق الاستدلال بجعل منكر الصانع مدعيا لمخالفة قوله الظاهر وهو توقف حصول الاثر وجعل المنكر مدعيا من لطف باب المناظرة لعناء المنكر عن تكلف الاستدلال والنظر فيما نحن فيه على مدعي حصول هذه الآثار من غير مؤثر اقامة البرهان ونحن مستريحون من ذلك لاستكشافنا وجود المؤثر من وجود الآثار وهذا المسلك مركوز في الاذهان ولذا ترى الاعرابي استكشف وجود الباري تعالى بهذا الطريق فقال البعرة تدل على البعير واثر الاقدام على المسير افسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير وكأن صنعت العجوزة حتى امر بالاخذ بدينها من حيث كون استدلالها بالآثار على المؤثر من اقوم السبل وامتن المسالك في اثبات الصانع ويكفيك في جنبك الله تعالى من الشرك والنفاق في اثبات وحدة الصانع جل ذكره استقلال العقل باستلزام تعدد الالهة اختلافهما المؤدي الى فساد العالم وعدم الانتظام كما ارشدك الله تعالى الى ذلك بقوله جل ذكره لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله عز من قائل اذا لذهب كل اله

« الصفحة الاولى من الطبعة الحجرية »

د الطفل بالدراهم والفلوس وتعطيه إياه وتفهيمه مصرفه فان في ذلك مفاسد عظيمة لا يلتفت اليها الا من جرب ذلك فانه اذا فهم فائدة الدرهم تعلق قلبه من الطفولية

لم يخرج تلك العلقة من قلبه فيكون محبا للمال وزخرف الدنيا مضافا الى انه ربما لا يجده فيلتزم في تحصيله بكل طريق يمكن فيقع في المفاسد العظام وإياك

ثم إياك وتعويد الطفل ذكرا كان او انثى بالجيد من المأكول والملبوس لانه اذا اعتاد بهما ولم يساعد الزمان الى الالتزام بما اعتاد به كان في كدر

بخلاف ما لو اعتاد بالوسط او الادون فانه ان تيسر له اجود منه كان مسرورا ومن اهم ما يلزمك بني ان تزوج اولادك في اول البلوغ تصونون بذلك دينهم و

دنياهم فإياك ان يمنعك الفقر من ذلك فان الله تعالى قد تكفل لك بالرزق بمواردها وحيث لا يرضى منك ان خالفت فيه غاية عند الفقر الاتيان بالميسور ولا اقل

~~من ان تمنع لها مرية قصيرة يكتفي بها الى ان ييسر الله سبحانه عليك وعليكم ولم يساعد الزمان الى الالتزام بما اعتاد به كان في كدر بخلاف ما لو اعتاد بالوسط~~

~~او الادون فانه ان تيسر له اجود منه كان مسرورا~~ وتلخيص المقال في وصاياي ولبها اعمال الفكر دائما في امور المعاد والمعاش واختيار الراجح شرعا وعقلا

مع ملاحظة العواقب وفقك الله تعالى لما يحب ويرضى وجعل مستقبل امرك خيرا مما مضى وقد انتهى الامر بي الى هنا بعد الساعة الثامنة من الجزء الاخر من سابع

شهر جمادى الاولى سنة الف وثلثمائة واربع وعشرين حامدا لله تعالى مصليا على النبي الامين وآله الطاهرين لاعنا اعداءهم اجمعين من الان الى يوم الدين

تم كتاب مرآة الرشاد في الوصية الى الاحبة والاولاد ويتلوه كتاب

مرآة الكمال لمن رام درك مصالح الاعمال والحمد لله وحده

وصلى الله على من لا نبي بعده وآله الطيبين الطاهرين

نمقه العبد الاثيم الجاني احمد بن

الشيخ محمد حسين الزنجاني

غفر الله لهما ولوالديهما في

١٣٤١

« الصفحة الأخيرة من الطبعة الحجريّة »

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على نبيّه الأمين ، وآله الغرّ الميامين .

وبعد ؛

فيقول العبد الضعيف الفاني :

عبدالله الشريف المامقاني

عفيٰ عنه ربّه ابن الشيخ قدس سره :

إنّي لما وجدت قصر الأعمار ، وعدم اعتبار الآجال ، ووجدت الأجل إذا جاء لا يمهل ، والموت إذا فاجأ لا يستقدم ولا يستأخر ، وخفت أن يدركني الأجل قبل تربية ولدي وفلذة كبدي سمّي والدي محمد حسن[1] ـ أحسن الله سبحانه حاله في الدارين ، ووفقه لتحصيل الملكتين[2] ، وأعزّ به الدين ، وشيّد به الشرع المبين ـ فرأيت أن افرد رسالة تتضمّن وصاياي إليه

---

(١) وهو الولد الأكبر للمؤلف قدس سرّه ، توفى في حياة والده رحمهما الله .

(٢) الملكة العلميّة والملكة العمليّة .

وإلى سائر ذريتي واحبائي ممّا يدور مدار الإلتزام به كماله ، وصلاح داريه .

وأرجو من كافّة ذرّيتي ـ ما لم ينقرضوا ـ وسائر إخوان الدين العمل بها ، ومَنْ ترك مِن ذرّيتي مراجعة هذه الرسالة في كل أسبوع [مرة] أو شهر مرة إلى أن يصير جميع ما فيها له ملكة فهو عاقّ عليّ ، وأراه لا يفلح ولا يرى الخير ، ومَنْ حصل منهم ملكة بعضها فعليه بمراجعة الباقي إلى أن يصير الجميع له ملكة .

ومَنْ لم يخالفني في هذه الوصية فأسأل الربّ الجليل ـ عزّ شأنه ـ أن يصلح له شأن داريه ، ولا يريه مكروهاً ، ويَمدّ له في العمر السعيد ، ويمتّع له بالعيش الرغيد .

وأسأل الكريم الوهّاب أن ينفعني وإيّاه بها يوم الحساب ؛ الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون ..

وسمّيتها بـ :

« مرآة الرشاد »

في الوصية إلى الأحبة والذرّية والأولاد

وقد رتّبتها على فصول :

[الفصل] الأول

في نُبَذ يسيرة ممّا يرجع إلى الأصول الخمسة إجمالاً

اعلم بنيّ ـ هداك الله سبحانه إلى سواء الصراط ، وجنّبك المعاصي والزلّات ـ أنّ أول ما يجب عليك أن تنظر في أصول دينك ، وتحكم بالأدلّة القطعيّة بنيان اعتقادك ويقينك في خالقك .. وأنبيائه .. وأوليائه ، لعدم كونك سُدى كالحيوانات .

وليس غرضي من ذلك الإشتغال بعلمي الكلام والحكمة ومراجعة كتبهما ، بل أنهاك عن مراجعتها ـ قبل الكمال ـ أشدّ المنع ، لأنّ فيها سوفسطائية ربّما توقعك في الهاوية ، بل ورد النصّ من أهل البيت عليهم السّلام بالمنع عن مطلق مراجعتها[1] ، بل غرضي مراجعة كتب العقائد

---

(١) لا ريب أنّه قد وردت الآثار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بالمنع عن البحث والنظر في المسائل الفلسفية والأبحاث الحكميّة ، كما في الحديث المروي عن مولانا الحسن العسكري عليه السّلام في أحوال الناس في آخر الزمان من قوله : « .. علماؤهم شرار خلق الله علىٰ وجه الأرض يميلون إلىٰ الفلسفة والتصوف » [مستدرك وسائل الشيعة ١١ / ٣٨٠ حديث ١٣٣٠٨] .

وحديث عاصم الحناط عن أبي عبيدة الحذاء قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام ـ وأنا عنده ـ : « إيّاك وأصحاب الكلام والخصومات ومجالستهم ، فإنهم تركوا ما أُمروا

⇐

. . . .

⇐ بعملهِ وتكلّفوا مالم يؤمروا بعمله .. [وقد أورده السيد ابن طاووس في كشف المحجة وحكاه عنه في بحار الأنوار ٢/١٣٧].

وحديث الحضرمي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « يهلك أصحاب الكلام وينجو المسلّمون ، إنّ المسلّمين هم النجباء » [بحار الأنوار ٢/١٣٢ عن بصائر الدرجات ٥٤١ من الجزء العاشر باب ٢٠ حديث ٤ ، وعن البصائر في المستدرك ١٢/٢٥١ حديث ١٤٠٢٧ ، وفيه : ٢/١٣٥ بالفاظ مقاربة عن مشيخة السرائر من كتاب المشيخة لابن محبوب].

.. وغير هذه الأحاديث التي تنهى عن دراسة المسائل الكلاميّة والفلسفيّة .

وقد وردت ـ أيضاً ـ آيات وروايات بالحث علىٰ النظر في المسائل الكلاميّة والأبحاث العقائدية ـ كما قيل فيها ـ ، مثل قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ سورة البقرة (٣) : ٢٦٩ . وقوله تعالىٰ : ﴿وَلاٰ تُطِعِ الْكاٰفِرِينَ وَجاٰهِدْهُمْ بِهِ جِهاٰداً كَبِيراً ﴾ سورة الفرقان (٢٥) : ٥٢ . لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنّ الجهاد الكبير والحكمة هي إبطال شبه الكافرين والمخالفين وإثبات العقائد الحقّة من طريق العقل .

بل يتجلّىٰ بوضوح لمن يقف علىٰ مناظرات أئمة الهدىٰ عليهم السلام مع أهل البدع والأهواء ، والطرق التي سلكوها في إبطال أقوالهم ، وتفنيد معتقداتهم ، ومن أمرهم عليهم السّلام بعض أصحابهم بالبحث عنها ، ومنع آخرين من أصحابهم عن التصدّي لتلك الأبحاث .. أنّ هناك في المنع والأمر سرّاً دقيقاً ، وهدفاً مقدّساً سامياً ، وهو أنه من البديهي أنّ استعداد الأفراد في درك الأُمور وحلّ المعضلات متفاوتة ، ومن الواضح أنّ المسائل الحكميّة والكلاميّة تتّصل اتّصالاً وثيقاً بالعقائد الدينيّة ومعرفة النواميس الإلهية ، كان المنع من دراسة هذه المسائل والخوض فيها أمراً ضروريّاً للمحافظة على ⇐

للفاضل المجلسي قدّس سرّه .. ونحوها ، وبناء عقائدك علىٰ براهين مورثة لليقين ..

وكفاك في إثبات الصانع ما تراه من الآثار والعجائب وتدبير العالم ، فإنّ الأثر لابدّ له من مؤثر ..

ولقد أجاد من قال :

وللهِ في كــلِّ تحــريكةٍ   وفي كلّ تسكينة شاهدُ
وفي كـلّ شيءٍ له آيـة   تدلّ علىٰ أنّه واحـد[1]

⇐ عقائد المسلمين لمن كان ليس لهم الاستعداد الكافي في تفهّم المسائل النـظريّة ، والأمر بها لمن أحرز استعداده الفكري وقابليّته للتفهّم ، وهذا أيضاً ضروريّ للدفع عن شبه الملحدين والمنافقين .

وليس أمرهم عليهم السلام بعض أصحابهم ـ كمحمد بن عليّ الأحول المعروف بـ: مؤمن الطاق ، وهشام بن الحكم وغيرهم ـ بالتصدّي لإبطال أقوال أصحاب الأهواء ومنعهم عليهم السلام البعض الآخر من أصحابهم من الدخول في مثل هذه المسائل ، إلّا حجّة واضحة بأنّ النظر في الفلسفة والكلام ليس أمراً منهيّاً عنه بذاته، وإنّما المنع كان لعدم إحراز استعدادهم ، وحفظاً من الإنزلاق إلىٰ هوة الإلحاد ، أو الإنحراف عن نهج الصواب ، ولذلك قال المصنف رضوان الله تعالىٰ عليه : أنهاك عن مـراجـعتها قـبل الكمال ..

(١) البيت للشاعر الشهير أبي العتاهية أبي إسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان المولود سنة ١٣٠ والمتوفى سنة ٢١٠ هجرية ، وهي من جملة أبيات قالها علىٰ البديهة ، وذلك أنه جلس في حانوت ورّاق وأخذ كتاباً فكتب علىٰ ظهره :

⇐

وقال آخر :

في الأرض آيات فلا تك منكراً　　فعجائب الأشياء من آياته

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار رئيس الموحدين أمير المؤمنين عليه آلاف الصلاة والسلام بقوله ـ في بعض خطبه ـ : « [لقد] زعموا أنّهم كالنبات ما هم[1] زارع ولا لاختلاف صورهم صانع ، لم يلجأوا إلىٰ حجّة فيما ادّعوا ، ولا تحقيق لما أوعَوْا[2] ، وهل يكون بناء من غير بانٍ ، أو جناية من غير جان »[3] .

وغرضه عليه السّلام بذلك المقايسة بالمحسوسات ، وتعليم طريق الإستدلال ؛ بجعل منكر الصانع مدّعياً لمخالفة قوله الظاهر ـ وهو توقّف حصول الأثر علىٰ وجود المؤثّر ـ وجعل المنكر مدّعياً من ألطف آداب المناظرة .. لغناء المنكر حينئذ عن تكلّف الاستدلال والنظر .. ففيما نحن فيه

⇐

ألا إنّنا كلّنا بائد　　وأيّ بني آدم خالد

فياعجباً كيف يعصى الإله　　أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كلّ تحريكة　　وفي كلّ تسكينة شاهد

وفي كلّ شيء له آية　　تدلّ علىٰ أنّه واحد

ديوان أبي العتاهية : ١٢٧ طبعة مصر .

[وقد جاءت الأبيات في تاريخ بغداد ٢٥٣/٦ ايضاً] .

(١) في الاصل : ما ليس . بدلاً من : ما هم .

(٢) في الاصل : ما أدعوا .. وهو سهو .

(٣) نهج البلاغة شرح محمد عبده طبع مصر الجزء الثاني : ١٤١ خطبة : ١٨٠ [وفي طبعة بيروت : ١١٨/٢ ، وفي طبعة صبحي صالح : ٢٧١] .

علىٰ مدّعي حصول هذه الآثار من غير مؤثّر إقامة البرهان ، ونحن مستريحون من ذلك ، لاستكشافنا وجود المؤثّر من وجود الآثار ، وهذا المسلك مركوز في الأذهان ، ولذا ترىٰ الأعرابي استكشف وجود الباري تعالىٰ بهذا الطريق ، فقال : البعرة تدلّ علىٰ البعير ، وأثر الأقدام علىٰ المسير ، أفسماء ذات أبراج .. وأرض ذات فجاج .. لا تدلاّن على اللطيف الخبير ؟! وكذلك صنعتِ العجوز[1] ، حتىٰ أُمرنا بالأخذ بدينها من حيث كون استدلالها بالآثار على المؤثّر من أقوم السبل ، وأمتن المسالك في إثبات الصانع .

ويكفيك بنيّ ـ جنّبك الله تعالىٰ من الشرك والنفاق ـ في إثبات وحدة الصانع جَلّ ذكره استقلال العقل باستلزام تعدّد الآلهة اختلافهما المؤدّي إلىٰ فساد العالم ، وعدم الانتظام ، كما أرشدك الله تعالىٰ إلىٰ ذلك بقوله جَلّ ذكره : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2] وقوله عزّ من قائل : ﴿ [مَا اتَّخَذَ الله مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إله] إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[3] ..

وهداك إليه أمير الموحدين صلوات الله عليه بقوله : « لو كان معه إله

---

(١) [حتىٰ روي عنهم عليهم السلام : « عليكم بدين العجائز » بحار الأنوار ٦٩/١٣٥ ، ولاحظ ما جاء في صفحة : ١٣٦ منه] .

(٢) سورة الأنبياء (٢١) : ٢٢ .

(٣) سورة المؤمنون (٢٣) : ٩٢ .

آخر لأتتك رسله »[١] .

فعلَّم عليه السّلام أيضاً طريق الإستدلال بجعل منكر الوحدة مدّعياً من حيث كشف عدم الأثر ـ يعني عدم إتيان الرسل من قِبَل إله آخر ـ عدم إله آخر فمدَّعي وجود إله آخر يحتاج إلىٰ البرهان ، وأنَّى له بذلك ؟! .

وإنْ شئت قلت : إنه لو تعدّدت الآلهة للزم تميّز كل منهما عن الآخر ، ومع التميّز فالاشتراك في جميع الآثار غير معقول ، لعدم تعقل كون ما به الإمتياز [نفس] مابه الإشتراك ، ففقد آثار التعدّد يكشف عن الوحدة ؛ ضرورة أنه لو توقّفت الصانعيّة عليهما معاً لزم عدم كفاية أحدهما أوّلاً ، وهو نقص في كليهما معاً ، والإختلاف بينهما ثانياً ، ولو كفىٰ كلّ منهما في الصانعيّة خرج الآخر عن قوّة الصانعية التامّة .. وذلك فاسد .

ويكفيك بنيّ ـ وفقك الله تعالىٰ للإخلاص به واليقين ـ في نفي الصفات السلبية عنه أنها نقائص ، والناقص لا يكون واجب الوجود ..

وقد أرشدك إلىٰ برهان ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام في بعض خطبه[٢] بقوله : « كمال توحيده الإخلاص

---

(١) نهج البلاغة ٣/٤٩ [وفي طبعة بيروت من تحقيق محمد عبده ٣/٤٤ ، وفي طبعة صبحي صالح : ٣٩٦] في وصيته لابنه الحسن عليه السلام قوله عليه السلام : « واعلم يا بنيّ أنّه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه .. الخ .

(٢) نهج البلاغة ١/٧ طبعة مصر ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، [طبعة بيروت : ١/١٦ ـ ٢٧ ، وطبعة صبحي صالح : ٣٩ ـ ٤٥] التي ابتدأ بها بقوله عليه السلام : ⇐

له[١] ، وكمال الإخلاص [له] نفي الصفات عنه ، لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف .

ويكفيك بنيّ ـ أرشدك الله جلّ شأنه إلىٰ الصواب ـ في إثبات النبوّة المطلقة ، قضاء ضرورة العقل من باب لزوم اللطف علىٰ الحكيم بلزوم واسطة بين الخالق ـ الذي هو فيض محض ـ وبين المخلوقات المحتاجين إلىٰ

⇐ « الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادّون ، ولا يؤدّىٰ حقّه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، الذي ليس لصفته حدّ محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود ، فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ، ووتدّ بالصخور ميدان أرضه ، أول الدّين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثنّاه ، ومن ثنّاه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن قال فيمَ ، فقد ضمّنه ، ومن قال علامَ فقد أخلىٰ منه ، كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كلّ شيء لا بمقارنة ، وغير كلّ شيء لا بمزايلة ، فاعل لا بمعنىٰ الحركات والآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه ، متوحّد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده » .. إلىٰ آخر الخطبة .

وانّما ذكرنا شطراً منها إشارة بأنّها من أهم كلماته المقدّسة التي يتجلّىٰ فيها الإعجاز البشري من حيث صياغة الجمل ، ودقة الألفاظ ، وبعد كنه المعاني . والناظر المتأمّل يؤمن إيماناً صادقاً بصدق ما قيل بأن كلامه عليه السلام : .. فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق .

(١) في الأصل : به .. بدلاً من : له ، وما اثبت من المصدر .

الفيض ، يرشدهم من قبله تعالىٰ بأمر منه سبحانه وتعيين منه جَلّ شأنه إلىٰ منافعهم ، ويزجرهم عن مضارّهم ، ويخبرهم بأوامره ونواهيه .. ضرورة عدم إمكان وصول أحد من الناس إلىٰ درك المضارّ والمنافع ـ التي لا يدركها إلّا الحكيم تعالىٰ ـ إلّا بالوحي والإلهام منه تعالىٰ ، وحصول الوحي لا يمكن بالنسبة إلىٰ آحاد الناس المتوغّلين في الشهوات النفسانيّة المانعة من الالتفات إلىٰ المبادئ العالية ، فلا يليق هذا المنصب إلّا بمن لم يكن في نوم الغفلة وسكر الهوىٰ ، ولم يكن أسيراً النفس الأمّارة ، ولا في دار الظلمة طالباً للراحة ، ولا مفنياً للعمر بالبطالة .. بل أكمل بالروحانيّات والمجاهدات نفسه ، وغلب عليها عقله ، واختصّ من بين الناس لذلك بالتوجّهات الخاصّة الإلهية ، وتشرّف بمنصب النبوّة والرسالة .

ولا ريب في أنّ معرفة النبيّ والرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لا تمكن للآحاد بالوحي من ربّ الأرباب ، فلابدّ من إقامة المعجزة لإثبات النبوّة حتىٰ تكشف عن ربط خاص بين صاحبها وبين واجب الوجود ، وامتيازه عن غيره بمنصب من الخالق المعبود .

ويكفيك بنيّ ـ حفظك الله تعالىٰ من الشرور ـ في إثبات النبوّة الخاصّة .. قضاء الضرورة بأنّ محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ابن عبد الله الهاشميّ القرشيّ الجامع لصفات الكمال كافّة صلوات الله عليه وآله قد ادّعىٰ النبوّة بمكّة ؛ ودعىٰ الناس إلىٰ توحيد الله جَلّ شأنه ، ونبوّة نفسه ، وكونه خاتم الأنبياء ، وأظهر معجزات كثيرة علىٰ دعواه ..

يكفيك منها القرآن المجيد ، وحيث إنّ إظهار المعجزات علىٰ يد

الكاذب قبيح علىٰ الله تعالىٰ وتقدّس ، يحكم العقل بأنّه كان صادقاً .. فإذا ثبتت نبوّته ، علمنا بنبوّة مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ هو خاتمهم بإخباره صلّىٰ الله عليه وآله .

وأما بيان كيفيّة كون القرآن الشريف معجزة .. فهو أنّه صلّىٰ الله عليه وآله خَيَّرَ أهل خَبَرة لسان العرب ، والعارفين بنكات الفصاحة والبلاغة ؛ بين أن يأتوا بسورة من مثل القرآن ، وبين أن يذعنوا بنبوّته ، أو يحاربهم ويقتلهم ويتملّك أموالهم ويأسر عيالهم .. فلو لم يعجزوا عن الإتيان بمثله لأتوا به وخلّصوا أنفسهم وأموالهم وأعراضهم من قيد الإطاعة والعبوديّة ، والتلف والسرف ، فالتزام جمع منهم بالرقيّة والإطاعة ، وآخرين بالحرب والقتل والنهب والأسر ، يكشف عن عجزهم عن الإتيان بمثله .

وتوهّم أنّ المعجزة لا تتحقّق في الكلام .. غلط فاحش ، ضرورة أنّ المعجزة هي ما يعجز عنه البشر لكونه خارقاً للعادة ، وينكشف لذلك كونه عن ربط بواجب الوجود خاصّ ، وعلقة به مخصوصة ، والمدار في كون شيء خارقاً للعادة إعتراف أهل الخبرة بذلك ، كاعتراف السحرة بالعجز عن إتيان مثل عصا موسىٰ عليه السّلام ، فأهل خبرة الكلام القادرين علىٰ إنشاء التركيبات الرشيقة ، والتأليفات الدقيقة الرقيقة المحتوية على حلاوة اللفظ ولطافة المعنى ، إذا اعترفوا قولاً أو فعلاً بعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله ، المريح لهم عن تكاليف الآتي بالقرآن ، وأزالوا المعلّقات السبع عن البيت .. ثبت عندنا كونه معجزة له على الأمّة ، وكفى بذلك حجّة بديعة .

وأما الولاية المطلقة ؛ فيكفي برهاناً لها نظير برهان النبوّة المطلقة بعد

ثبوت كون نبيّنا صلّىٰ الله عليه وآله خاتم الأنبياء .

وأما الولاية الخاصّة ؛ فطريقها الأخبار الصريحة المتواترة عن النّبي صلّىٰ الله عليه وآله بخلافة عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام بلا فصل ، وبعده أحد عشر من ذريته الأطهار .. واحداً بعد واحد عليهم السّلام ، مضافاً إلىٰ الكرامات الكثيرة الصادرة من كل منهم .

ومكابرة أهل العناد في دلالة الأخبار مدفوعة بما سطر في الكتب المعدّة لذلك(١) .

ولعمري إنّ إمامة الأئمة الإثني عشر بلغت في الوضوح إلىٰ حدّ لا أظنّ ارتياب الخصم أيضاً في ضميره ؛ وإنّ علماءهم ما بين شيعيّ في الباطن أو كافر بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم . [أو جهله المطبق .. نعوذ بالله من الجهل ومن غلبة الهوى] .

وأما المعاد ؛ فالّذي اتّفق عليه أهل الملل إجمالاً هو الإذعان به وعدم إنكارهم له ، وإن اختلف الحكماء والمتكلّمون في تفاصيله ، ولايمكن تكليف عامّة الناس بالعلم بتفاصيله ، بل يكفي الإعتقاد بإجماله ، والآيات ناطقة به هادية إلىٰ طريق إقامة البرهان عليه ، والأخبار به متواترة ، بل العقل مستقلّ إجمالاً بلزوم مجازاة العدل الحكيم للأعمال بهذه الأبدان والجوارح الصادرة منها الأفعال ، حتىٰ لا تزر وازرة وزر أخرىٰ .

---

(١) راجع عبقات الأنوار تأليف الحجة السيد مير حامد حسين ، وكتاب الغدير للعلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني ، وكتاب المراجعات لآية الله السيد عبد الحسين شرف الدين قدست أسرارهم وغيرها .

وفناء جسم لا ينافي عوده بعينه .. بعد قدرة الباري ـ تعالىٰ جَلّ ذكره ـ علىٰ أن يحيي العظام وهي رميم ؛ ضرورة أنّ إحياءها عيناً ليس بأصعب من إنشائها أول مرة من العدم الصرف ، كما لوّح تعالىٰ إلىٰ ذلك[1] .

وأيضاً يحكم العقل بلزوم كون المُعاد ـ بضم الميم ـ عين الجسم الصادر منه الأعمال ، والأخبار الناطقة بذلك أيضاً متواترة ، ودلالتها واضحة . وتأويلها ورفع اليد عن ظواهرها يوجب الإستهجان في كلام المخبر الصادق ، تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً ، وشرح ذلك يطلب من مظانه .

---

(١) في كتابه المجيد سورة الأحقاف (٤٦) آية ٣٢ بقوله تعالىٰ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتىٰ بَلىٰ إِنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ﴾ .

وبقوله تعالىٰ في سورة يس (٣٦) آية ٧٧ ـ ٨٢ : ﴿ وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، اَلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدون ، أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلىٰ وَهُوَ الْخَلّاقُ الْعَلِيم ، إِنَّما أَمْرُهُ إذا أراد شيئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وإِلَيْهِ تُرْجَعُون ﴾ .

الفصل الثاني

في الحث على طاعة الله سبحانه ، والتحذير من المعصية والكسل، وصرف العمر فيما لا ينبغي .. وجملة أخرىٰ من الوصايا

اعلم بنيّ ـ وفّقك الله جَلّ شأنه لطاعته ، وعصمك من مخالفته ـ إنّ الله سبحانه وتعالىٰ يحبّ كافّة مخلوقاته حُبّاً شديداً ، كما هو الشأن في كلّ صانع بالنسبة إلىٰ صنعته ، وأنّه عزّ وجلّ إنّما أوجب الواجبات ، وسنّ المستحبات والآداب ، وحرّم المحرّمات ، ونزّه عن المكروهات .. جلباً للمصالح إلىٰ عباده ، ودفعاً للمضارّ عنهم ، وإلّا فلا تضرّه عصيان العاصي ، ولا تنفعه طاعة المطيع ، ولقد أجاد من قال بالفارسية :

گر جملهٔ كائنات كافر گردند   بر دامن كبرياش ننشيند گرد[1]

لأنه تعالىٰ غنيّ علىٰ الإطلاق ، وإنّما مقصده من تشريع الأحكام إصلاح حال العباد ، وإيصال النفع إليهم ، ودفع الضرر عنهم في المبدأ والمعاد . وإذا كان كذلك فترك الإنقياد لأوامره ونواهيه ـ مع كونه مخالفاً

---

(١) [وترجمته : لا يمس كبرياءه وجلاله سبحانه فيما لو قدر الكفر لجميع الكائنات (ما سوى الله)] .

للعقل المستقلّ بوجوب شكر المنعم وإطاعة المولىٰ ـ يكون سفهاً ، لكـونه تركاً لما يرجع نفعه إلىٰ النفس ، وإدخالاً للضرر علىٰ النـفس ، وتـفويتاً للمنافع عليها وظلماً لها .

فإيّاك بنيّ والعصيان ، فـإنّه يجـلب إليك خـذلان الدّنـيا وعـذاب الآخرة .. ألا ترىٰ إلىٰ جدّنا آدم عليه السّلام بخـطيئة واحـدة طُـرد مـن الجنّة .

ولقد أجاد من قال بالفارسية :

جـدّ تـو آدم بـهشتش جـاى بـود قـدسيان كـردند بـهر وى سـجود
يک گنه چون كرد گفتندش تـمام مذنبى؛مذنب بروبيرون‌خرام(*)(١)

وألحقت به قولي :

تا تو دارى وقت اي عالى جناب سوى توبه كن زذنب خود شتاب
تا بشوئى از خودت چـرک گـناه واز گناه خويش باشى در پـناه(٢)

وإيّاك بنيّ والكسل والبطالة ومـقدّماتها ، فـقد قـيل : إنّ الشـيطان والنفس الأمّارة إذا عجزا عن أن يُزيّنا القبيح ويقبّحا الحسن من الأعمال ،

(*) بالخاء المعجمة والراء المهملة . (منه [قدس سره]) .

(١) [حاصل ترجمته : عندما كان جدك آدم [عليه السلام] في مقام القرب والجنة استحق سجود الملائكة له ، الاّ أنّه بذنب واحد منه استحق الاخراج منها ، وان يُعدّ مذنباً بتركه الاولى] .

(٢) [بمعنىٰ : ما دام الوقت متسعاً لك ايها السيد المحترم فعليك بـالمبادرة الى التـوبة كـي تغسل ما عليك من ادران الذنوب ، وتصبح محفوظاً من عواقب عصيانك] .

توجّها إلىٰ إعمال ما يؤدّي إلىٰ الكسل والبطالة ممّا هو زائد علىٰ مقدار الضرورة والحاجة .. من الأكل والشرب والنوم والراحة وجمع المال وصرف الأوقات في التفرّجات والتنفّسات والمخالطات والمكالمات وغيرها ، فيزيّنان كلّ واحد منهما حتىٰ يرتكبه العبد ، ويحصل له منه الكسالة والبطالة ، وتضييع الأوقات الشريفة .

وإيّاك بنيّ وصرف العمر فيما لا ينبغي ولا ينفعك في الآخرة ، لأنّ كلّ آنٍ من آنات عمرك جوهرة ثمينة ، بل أعزّ منها ، لإمكان تحصيل الجوهرة بالكسب والكدّ دون العمر ، فإنّ الأجل إذا جاء لا يستأخر ساعة .. فإيّاك ـ بنيّ ـ من إذهاب هذه الجوهرة هدراً وضياعاً .

ولقد أجاد القائل بالفارسية :

كاشكى قيمت انفاس بدانستندى

تا دمى چند كه مانده است غنيمت شمرى[١]

وقال آخر :

گر بدانى در عقبها چيستند فرصت خاريدن سر نيستند

هرچه بينى در جهان دارد عوض واز عوض گرددتوراحاصل غرض

بى عوض دانى چه باشد در جهان عمر باشد عمر قدر آن بدان[٢]

---

(١) [وحاصل ترجمته : يا ليتك كنت تعرف قيمة انفاسك كي تغتنم ما بقي من عمرك] .

(٢) [بمعنىٰ : لو كنت تعلم ما هناك من عواقب تنتظرك لما سمحت لك الفرصة أن تخلل شعر رأسك ، وكل ما في الوجود له ما يعوّضه ويسدّ مسده ممّا يحقّق لك الغرض الذي تتوخّاه ⇐

واْغتنم بنيّ شبابك قبل هرمك ، وصحّتك قبل سقمك ، وقوّتك قبل ضعفك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك[١] .

فبادر شبابك قبل أن تهرما ... وصحّة جسمك قبل أن يسقما
وأيّام عمرك قبل المات ... فما كُلّ من عاش أن يسلما
وقدّم فكل اْمرء قادم ... علىٰ كل ما كان قد قدّما

وقد ورد أنّ أهل الجنّة لا يندمون علىٰ شيء من أمور الدنيا إلّا علىٰ ساعة مرّت بهم في الدّنيا لم يذكروا الله سبحانه فيها[٢] ، وأنّه ليس نفس برّ ولا فاجر إلّا وتلوم نفسها يوم القيامة ، إنْ كانت عملت خيراً قالت : هلّا ازددت حتىٰ أنال مرتبة أعلىٰ من مرتبتي ، وإنْ عملت سوءً قالت : يا ليتني لم أفعل حتىٰ لا أعذّب[٣] .

⇐ منه ، وهل تعلم انّ الذي لا عوض له في هذا العالم ما هو ؟ ذاك هو العمر فاعرف قدره جيداً !] .

(١) الجمل الخمس رويت عن الرسول الاعظم صلىٰ الله عليه وآله ، راجع الشرح الفارسي لكتاب شهاب الاخبار ، تأليف القاضي عياض طبع جامعة طهران سنة ١٣٤٢ ومجموعة الشيخ ورام ١/٢٧٩ [وجاء في أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله كما أورده الميرزا النوري في مستدرك وسائل الشيعة ١٢/١٤ حديث ١٣٧٢٦] .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة المجلد الاول : ٣٨٢ باب كراهة ترك ذكر الله تعالىٰ الحديث ٦ [الطبعة المحققة ٥/٢٨٨ حديث ٥٨٧٨] ، عن النبي صلىٰ الله عليه وآله قال : « ان أهل الجنة لا يتحسّرون علىٰ شيء فاتهم من الدنيا كتحسّرهم علىٰ ساعة مرّت من غير ذكر الله » .

(٣) مجمع البيان طبع صيدا ١٠/٣٩٤ ، سورة القيامة الآية ٢ في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وَلَآ

وقال صلّىٰ الله عليه وآله لأبي ذرّ : « كن علىٰ عمرك أشحّ منك علىٰ درهمك ودينارك »(١) .

وورد أنّ « من أفضل الطاعات حفظ الأوقات » .. وان « من ضيّع أيام حرثه ندم أيّام حصاده »(٢) .

وإلى ذلك أشار من قال بالفارسية :

نپندارم اى در جهان كِشته جو — كه گندم بچينى بـوقت درو(٣)

وقال آخر :

بكوش امـروز تـا تـخمى بكـارى — كه فردا بر جوى قـدرت نـدارى
اگــر ايــن كشــتكارى را نـورزى — در آن خرمن به يک ارزن نيرزى(٤)

فالله الله بنيّ في عمرك فلا تضيّعه فيما لا ينفعك بعد الموت .

⇐ أُقسِمُ بِالنَّفسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [سورة القيامة (٧٥) : ٢] عن ابن عباس .

(١) مجموعة الشيخ أبي فراس ورام طبع ايران ٢/٥٢ في جملة وصايا النبي صلىٰ الله عليه وآله لأبي ذر عليه الرحمة [وقد جاء في كتاب مكارم الاخلاق : ٥٣٧ ، وعنه في بحار الانوار ٧٨/٧٧ ضمن حديث ٣] .

(٢) نهج البلاغة ٢/١١١ خطبة ١٧١ ، [٢/٩٢ من طبعة بيروت ، وفي طبعة صبحي صالح : ٢٥٠] قال عليه السلام في جملة خطبته « فانه ينادى يوم القيامة : ألا إنّ كلّ حارث مبتلي في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثه وأتباعه .. الخ » .

(٣) [وحاصل ترجمته : لا تحسب انك في هذا العالم حيث بذرت شعيراً أن تحصد بدلاً منه حنطة !] .

(٤) [وترجمته : أسعى اليوم أن تبذر بذراً ، اذ قد تعجز غداً من أن تحصل على شعير ، ولو لم تهتم بهذه المزرعة اليوم فلا تُقيّم غداً بمثقال ذرة ولا تستوي عند الحصاد بدخنة] .

وورد أنّ العاقل من يعمل في يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده ، وان الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنّىٰ علىٰ الله المغفرة[1] .

وما مَثَل من صرف عمره فيما لا ينفعه في الآخرة إلّا مَثَل من ترك جواهر نفيسة ملقاة علىٰ وجه الأرض واشتغل بقلع أحجار وأخزاف منصوبة ومدفونة بمشقّة في قلعها شدّ يده ليلعب بها الأطفال .

فيا ولدي ، ويا نور بصري ، وفلذة كبدي ، إعرف قدر عمرك ولا تفنه فيما لا ينجيك .. ولا تكن كدود القزّ يسعىٰ في هلاك نفسه .

ثم أوصيك بني ـ وفقك الله تعالىٰ لكلّ خير ، وجنّبك من كل شرّ ـ بمكارم الأخلاق ، ومحامد الأوصاف ، وهي أمور :

فمنها :

[حفظ اللّسان]

حفظ اللسان عمّا لا يعنيك[*] فإنّ أكثر خطايا ابن آدم لسانه ، وما

---

(١) مجموعة ورام ١/٥٦ في جملة وصايا النبي صلىٰ الله عليه وآله لأبي ذر رحمه الله ، قال صلىٰ الله عليه وآله : « يا أبا ذر ! انّ الكيّس من الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها ، وتمنّىٰ علىٰ الله عز وجل الأماني [وانظر المصدر السالف ، وقريب منه في بحار الأنوار ٧٧/٧٩ وفيه ايضاً قال [ابو ذر] قلت : يا رسول الله ! اي المؤمنين اكيس ؟ قال : « اكثرهم للموت ذكراً ، واحسنهم له استعداداً] .

(*) بتقديم النون علىٰ الياء . أي لا يقصدك نفعاً ولا يهمّك [منه (قدس سرّه)] .

من عضو له ذنوب متعدّدة كثيرة مثل اللسان[١] . وإنّ الصمت باب من أبواب الحكمة[٢] فاحفظ لسانك إلّا من خير يجرّك إلىٰ الجنة .

وقد ورد أنّه لا يزال العبد المؤمن يُكتب محسناً ما دامه ساكتاً[٣] .

وإنّ من أراد سلامة الدارين فليحفظ لسانه[٤] .

---

(١) اصول الكافي ٢/١١٥ حديث ١٦ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله : « يعذّب الله اللسان بعذاب لا يعذّب به شيئاً من الجوارح ، فيقول : أي ربّ عذّبتني بعذاب لم تعذّب به شيئاً ؟ فيقال له : خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها ، فسفك بها الدم الحرام ، وانتهب المال الحرام ، وانتهك بها الفرج الحرام ، وعزّتي وجلالي لأعذبنّك بعذاب لا أعذب به شيئاً من الجوارح » .

(٢) اصول الكافي ٢/١١٣ حديث ١ عن أبي نصر قال : قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : « من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت ، إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة ، إنّ الصمت يكسب المحبة ، إنّه دليل علىٰ كلّ خير » .

(٣) اصول الكافي ٢/١١٦ حديث ٢١ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « لا يزال العبد يكتب محسناً ما دام ساكتاً ، فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً » .

(٤) اصول الكافي ٢/١١٣ حديث ٤ من عثمان بن عيسىٰ قال : حَضَرْتُ أبا الحسن عليه السلام وقال رجل له : أوصني ، فقال له : « احفظ لسانك تعزّ ، ولا تمكّن الناس من قيادك فتذلّ رقبتك » .

وفي صفحة ١٤ حديث ٩ قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله : « نجاة المؤمن في حفظ لسانه » .

ومستدرك الوسائل ٢/٨٩ حديث ١٦ [الطبعة المحققة ٩/٢٠ حديث ١٠٠٨٨] قال الصادق عليه السلام : « الصمت شعار المحقّقين بحقائق ما سبق وجفّ القلم به ، وهو مفتاح راحة من الدّنيا والآخرة » .

وهل يُكبّ الناس علىٰ مناخرهم في النّار إلاّ حصائد ألسنتهم ؟!(١) .

وأنّه إذا أراد الله تعالىٰ بعبد خيراً أعانه علىٰ حفظ لسانه ، وشغله بعيوبه عن عيوب غيره .

وأنّ من قَلّ كلامه كمل عقله وصفىٰ قلبه ، ومن كثر كلامه قَلّ عقله وقسىٰ قلبه(٢) .

وأنّه « لا يستقيم إيمان عبد حتّىٰ يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتّىٰ يستقيم لسانه(٣) . لأنّ لسان المؤمن وراء قلبه ، فإذا أراد أن يتكلّم يتدبّر الكلام ، فإنْ كان خيراً أبداه ، وإنْ كان شرّاً واراه ، والمنافق قلبه وراء لسانه ، يتكلّم بما أتىٰ علىٰ لسانه ولا يبالي ما عليه ممّا له »(٤) .

---

(١) اصول الكافي ١١٥/١ حديث ١٤ جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ! أوصني . قال : « احفظ لسانك .. ويحك ! وهل يُكبّ الناس علىٰ مناخرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم ؟! » .

(٢) بحار الأنوار ١٩١/١٥ طبعة كمپاني [الطبعة الحروفية ٢٩٠/٧١] ، ونهج البلاغة ١٠٧/٢ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « إذا تمّ العقل نقص الكلام » .

(٣) مستدرك الوسائل ٩١/٢ باب ١٠٣ حديث ١٣ [الطبعة المحققة ٣/٩ حديث ١٠١٢١ ، وعن نهج البلاغة ، فيه ١٢٣/٩ حديث ١٠٤٢٧] عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ، بلفظه .

(٤) نهج البلاغة ١١٣/٢ خطبة ١٧١ [٩٣/٢ ـ ٩٤ من طبعة بيروت ، وفي طبعة صبحي صالح : ٢٥٣] منها : « .. واجعلوا اللسان واحداً ، وليخزن الرجل لسانه ، فإنّ هذا اللسان جموح بصاحبه . والله ما أرىٰ عبداً يتّقي تقوىٰ تنفعه حتّىٰ يخزن لسانه ، وأنّ لسان المؤمن وراء قلبه ، وأنّ قلب المنافق من وراء لسانه ، لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره

⇐

وأنّ « الصمت لا يورث الندم » ، و« رُبَّ كلام يورث الندم في الدّنيا والآخرة »[١] . وأنّ « المرء مخبو[*] تحت لسانه »[٢] .

فَزِنْ بنيّ كلامك قبل أن تنطق به ، وآعرضه علىٰ العقل والمعرفة فإنْ كان لله وفي الله فتكلّم به ، وإلّا فالسكوت .. الصمت الصمت .. الخرس الخرس ..

ولقد أجاد من قال :

زبان ، بسيار سر برباد داده است   زبان ، مارا عدوّى خانه زاد است[٣]

⇐ في نفسه فإن كان خيراً أبداه وإن كان شرّاً واراه ، وأنّ المنافق يتكلّم بما أتىٰ علىٰ لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه .

(١) مستدرك الوسائل ٨٩/٢ حديث ١٢ [الطبعة المحققة ١٠٨/٩ حديث ١٠٠٨٤] عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ـ في جملة كلام لولده الحسن عليه السلام ـ : « .. وفي الصمت السلامة من الندامة ، وتلافيك ما فرّطت من صمتك أيسر من إدراك فائدة ما فات من منطقك ، وأحفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاء » .

(*) اي مستور تحت لسانه ، فإذا تكلم ظهر باطنه ، وإلىٰ ذلك أشار الشاعر الفارسي بقوله :

تامرد سخن نگفته باشد   عيب وهنرش نهفته باشد

[منه قدّس سرّه]

انظر : [گلستان سعدي الباب الأول وترجمته : ما دام لم ينبس الشخص ببنت شفه فكل ما فيه من عيب وامتياز فهو مخفي] .

(٢) نهج البلاغة ١٨٩/٣ رقم ١٤٨ بلفظه .

(٣) [وحاصل ترجمته : ان اللسان ؛ ارسل الكثير من الرؤوس إلىٰ خشبة الاعدام ؛ اذ كان اللسان لنا عدواً منذ القدم] .

وقال آخر :

دو گـوش بـدادنـد يكـى تـيغ زبـان

يعنى كه دو بشنو ويكى بيش مگوى[١]

وقد ورد أنّه ما من يوم إلاّ كلّ عضو من الأعضاء يخاطب اللّسـان ويقول له : أقسمك بالله تعالىٰ أن لا تلقني في العذاب[٢] .

وقيل إنّه لو خلّي التكلّم والسكـوت وطـبعهما فـالكلام مـن فـضّة والسكوت من ذهب[٣] . وعليه يحمل قول مَنْ قال :

إنْ كان مِنْ فضةٍ كلامُكِ يـا نَفْسُ إن السكوت من ذهب

نعم ، قد يكون الكلام ذهباً لعارض والسكوت تراباً ، كالتكلّم بالفقه والوعظ والآداب الشرعية والأخلاق المرضية ، بل قد يكون السكوت سمّاً قتّالاً[٤] ، كالسكوت عن الأمر بـالمعروف والنهـي عـن المـنكر ، وإرشـاد

---

(١) [معناه : قد أُعطيت اذنين ولسان واحد ، بمعنىٰ انه يلزمك ان تسمع مرتين ولا تقول اكثر من مرة واحدة ، اي يلزم ان يكون مسموعك اكثر من كلامك] .

(٢) وسائل الشيعة ٢/٢٢٦ باب ١١٩ وجوب حفظ اللسان حديث ١٠ [ط ج ٨/٥٣٤] عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « ما من يوم إلّا وكل عضو من أعضاء الجسد يكفّ اللسان بقول : « نشدتك الله أنّ نعذب فيك » » .

(٣) اصول الكافي ٢/١١٤ حديث ٦ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : قال لقمان لابنه : يا بنيّ ! إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضّة فإنّ السكوت من ذهب .

(٤) وسائل الشيعة ٢/٢٢٥ باب ١١٨ استحباب اختيار الكلام في الخير حديث ٢ [ط ج ٨/٥٣١] عن علي بن الحسين عليه السلام أنه سُئِل عن الكـلام والسكـوت أيهـما ⇐

المسترشد .. وفّقك الله تعالىٰ لمراضيه ، وجعل مستقبل حالك خيراً من ماضيه .

ومنها :

[محاسبة النفس]

محاسبة النفس في كلّ ليلة ، فعليك بنيّ ـ رزقك الله تعالىٰ خير الدارين ـ بأن تحاسِب نفسك قبل أن تُحاسَب ، فكما يحاسب التاجر مع عامله حتىٰ يعلم ما فعل في يومه ، فحاسِبْ نفسك في كل ليلة قبل النوم حتّىٰ تعلم ما فعلت فيها وفي النهار المتقدّم عليها .

فإنْ رأيت منها تقصيراً ـ بفعل معصية أو ترك طاعة ـ فاستغفر منه وتُبْ وتضرّع إلىٰ الله تعالىٰ في العفو عنه ، واجبر الفائت بالقضاء والإستغفار ..

وإنْ رأيت منها فتوراً وبطالة وغفلة وإضاعة لرأس المال ، فأدّبها بسوط النصيحة والموعظة ، وألزمها طرق الطاعة ، ثم راقبها كالتاجر حتىٰ

⇐ افضل ؟ فقال عليه السلام : « لكلّ واحد منهما آفات ، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت » ، قيل : وكيف ذاك يابن رسول الله (ص) ؟ فقال : « لأنّ الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت إنّما بعثهم بالكلام ، ولا استحقّت الجنّة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ، ولا وقيت الناس [خ . ل : النار] بالسكوت ، ولا تجنّب سخط الله بالسكوت ، إنّما ذلك كلّه بالكلام ، ما كنت لأعدل القمر بالشمس ، إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت » .

لا تضيّع أوقاتها بالغفلة ، ولا تبيع عمرها بثمن بخس أو خسارة ..

وإنْ رأيت منها معاملة حسنة ومداقة تامّة في صرف أوقاتها ، فاشكر الله تعالىٰ علىٰ ذلك ، واطلب منه أن يزيدها توفيقاً وهدىٰ .

وقد ورد عنهم عليهم السلام : « أنه ليس مِنْ شيعتنا من لم يحاسِب نفسه كلّ يوم ، فإن عمل حسنة استزاد الله ، وإن عمل سيئة استغفر الله منها وتاب »[١] .

ونقل إنّ الخواجه ربيع وضع عنده قلماً وقرطاساً وكان يكتب كلّما يقول ويفعله من أوّل اليوم إلىٰ وقت نومه في الليل ، ثم ينظر فيه .. فما كان من الطاعات يشكر الله تعالىٰ له ، وما كان من القبائح يستغفر الله تعالىٰ منه[٢] .

وعن صحف إبراهيم عليه السلام : إنّ علىٰ العاقل ـ مالم يكن مغلوباً علىٰ عقله ـ أن يكون له أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة فيها يتفكّر فيما صنع الله تعالىٰ إليه ، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال .. فإنّ هذه الساعة عون لتلك الساعات ، واستجمام[*] القلوب توديع لها[٣] .

---

(١) [أصول الكافي ٢/٤٥٣ ح ٢ عن أبي الحسن عليه السلام ، ومثله في مستدرك وسائل الشيعة ١٢/١٥٣ حديث ١٣٧٥٩].

(٢) مستدرك الوسائل ٢/٩٨ حديث ١٦ ، [الطبعة المحققة ٩/٢٠ ذيل حديث ١٠٠٨٨] نقل ذلك عن ربيع بن خيثم ، المعروف في خراسان بـ: خواجه ربيع .

(*) أي إراحة القلوب سبب لحفظها . [منه (قدس سرّه)] .

(٣) وسائل الشيعة ٢/٤٨٥ حديث ٤ من باب وجوب محاسبة النفس كل يوم ٩٤ [ط ج

ومنها :

[مراقبة النفس]

المراقبة ؛ فعليك بنيّ بها بملاحظة حضور الربّ واطّلاعه عليك في كلّ حالاتك وحركاتك ، وأفعالك وأقوالك ، وأنفاسك وخطراتك ، وخطواتك ولحظاتك ، فآثِرْ ما آثره الله سبحانه ، واخترْ ما اختاره الله تعالىٰ .

وقد حكي أنّ لقمان قال لابنه : يا بنيّ ! إذا راقبت الله تعالىٰ لم تقدم علىٰ معصية أبداً ، لأنّه بمجرد التفاتك إلىٰ أنّه يراك ويطّلع عليك يمنعك الحياء من مخالفته .

ومنها :

التفكر

فأوصيك بنيّ به ، فإنه من أعظم أسباب تنبّه النفس ، وصفاء القلب ، وله مدخل عظيم في رفع الكدورات ، وكسر الشهوات ، والتجافي عن دار

⇐ ١١ / ٣٧٨ باب ٩٦] عن أبي ذر رضوان الله عليه في حديث قال : قلت : يا رسول الله ! فما كانت صحف إبراهيم عليه السلام ؟ قال : « كانت أمثالاً كلها ؛ أيّها الملك المبتلىٰ المغرور ! إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها علىٰ بعض ، ولكن بعثتك لتردّ عنّي دعوة المظلوم ، فإنّي لا أردّها وإنْ كانت من كافر ، وعلىٰ العاقل مالم يكن مغلوباً أن تكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يحاسب نفسه ، وساعة يتفكّر فيها صنع الله إليه ، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال ، فإنّ هذه الساعة عون لتلك الساعات ، واستجمام للقلب وتفريغ لها » .

الغرور ، والتوجّه إلىٰ دار الخلود والسرور ، وأنه رأس العبادات ورئيسها ، ولُبّ الطاعات بل وروحها .

وقد ورد أنّ أفضل العبادة التفكّر في الله تعالىٰ وفي قدرته[١] .

وعلّل بأنّ الفكر يوصل العبد إلىٰ الله سبحانه ، والعبادة توصله إلىٰ ثواب الله عزّ وجلّ ، والّذي يوصل إليه تعالىٰ خير ممّا يوصل إلىٰ ثوابه ، وبأنّ الفكر عمل القلب ، والعبادة عمل الجوارح ، والقلب أشرف من سائر الجوارح ، فعمله يقتضي أن يكون أشرف من عمل سائر الجوارح .

وورد أنّ « تفكّر ساعة خير من عبادة سنة[٢] » .. أو ستين سنة .. أو سبعين سنة .. علىٰ اختلاف الروايات[٣] المحمول علىٰ اختلاف مراتب التفكرات .

وأنّ من التفكّر ما ينجي الإنسان من النّار ، كما نجىٰ الحرّ بن يزيد الرياحي بتفكّر ساعة .. ولو كان قد تعبّد سنة ـ بل سنين ـ لم تكن عبادته

---

(١) أصول الكافي ٢/٥٥ حديث ٣ بلفظه .

(٢) ولذا روي : « أنّ تفكر ساعة خير من عبادة سنة » ﴿ انّما يتذكّر أُولو الألباب ﴾ انظر : مستدرك الوسائل ٢/٢٨١ باب ٥ استحباب التفكر حديث ٢ [الطبعة المحققة ١١/١٨٣ حديث ١٢٦٨٩] .

(٣) مستدرك الوسائل ١/٨٨ حديث ٦ [الطبعة المحققة ١١/١٨٤ حديث ١٢٦٩٣] وفيه : وروي « فكر ساعة خير من عبادة سنة » ، فسألت العالم موسىٰ بن جعفر عليهما السلام عن ذلك فقال : « تمرّ بالخربة وبالديار القفار فتقول : أين بانوك ؟ أين سكّانك ؟ .. » إلىٰ آخر الحديث ، ولاحظ فيه ما عن مصباح الشريعة ٢/١٠٥ حديث ١٥٥١ من الطبعة المحققة .

تنفعه مع ما كان عليه ، ولكن تفكّر ساعة نفعه ونجّاه ، ولذا جعل تفكّر ساعة خيراً من عبادة سبعين سنة .

وورد أنه ليست العبادة كثرة الصلاة والصوم ، وإنّما العبادة التفكّر في الله سبحانه[1] .

فعليك بنّي بالتفكّر تارة في حال الماضين ، وأنّهم من أين جاءوا ؟ وإلىٰ أين ذهبوا ؟ وما صحبوا ؟ ولِمَنْ تركوا ؟ وبما اشتغلوا ؟ وكيف عن دنياهم انقطعوا ؟ وعن نعيمها حرموا .. ومَنْ كان لا يطأ التراب برجله ، وكان ينام علىٰ الديباج والحرير ، ويمشي علىٰ الأرض مرحاً .. كيف فارق المال ، وترك العيال والأطفال ، والقصور والديار ، والخدم والحشم ، ولبس الكفن ، ووضع خدّه اللطيف النظيف علىٰ التراب ، وصاحَبَ الدود والحيّات ، وسكن القبر المظلم وحيداً فريداً ؟![2] .

---

(١) أصول الكافي ٢/٥٥ حديث ٤ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم ، إنّما العبادة التفكّر في أمر الله عزّ وجلّ » .

(٢) نهج البلاغة ٢/٢٤٦ ـ ٢٤٧ خطبة ٢٢١ [من طبعة مصر ، وفي طبعة بيروت ٢/٢١٩ ـ ٢٢٠ ، وفي طبعة صبحي صالح : ٣٤٨ ـ ٣٤٩] قال عليه السلام : « دار بالبلاء محفوفة ، وبالغدر معروفة ، لا تدوم أحوالها ، ولا تسلم نزالها ، أحوال مختلفة ، وتارات متصرّفة ، العيش فيها مذموم ، والأمان فيها معدوم ، وإنّما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بحمامها . واعلموا عباد الله إنّكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا علىٰ سبيل مَنْ قد مضىٰ قبلكم ممّن كان أطول أعماراً ، وأعمر دياراً ، وأبعد آثاراً ، أصبحت أصواتهم هامدة ، ورياحهم راكدة ، وأجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية . استبدلوا

⇐

وأخــرىٰ ؛ في أنّ المــوت يأتي بــغتة ، وله سـاعة إذا جـاءت لا يستأخرون عنها ، ودقيقة لا يُمْهَلون بأُخرىٰ عند حضورها(١) . فكنْ مِنه في كل آنٍ علىٰ حذر ، وحضّر له نفسك قبل أن يخرج الامر من يـدك ، ولا تتساهل في التهيؤ له بالتوبة والعمل ، ولا تكن منها في غفلة ، وكـم مـن أناس أدركهم الموت بغتة لم يكن لهم لذكر الله سبحانه والإستغفار مـهلة . فاحذر من أن تكون كذلك فتكون حينئذ من أهل الحسرة والنـدم عـلىٰ تأخير التوبة والإنابة ، وقول ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾(٢) .

⇐ بالقصور المشيّدة ، والنمارق الممهّدة ، الصخور والأحجار المسندة ، والقبور اللاّطـئة الملحّدة، الّتي قد بُنِيَ بالخراب فناؤها ، وشُيِّد بالتراب بناؤها ، فمحلّها مقترب ، وساكنها مغترب ، بين أهل محلة موحشين ، وأهل فراغ متشاغلين ، لا يستأنسون بالأوطان ، ولا يتواصلون تواصل الجيران ، علىٰ ما بينهم من قرب الجوار ، ودنوّ الدار ، وكـيف يكون بينهم تزاور ، وقد طحنهم بكلكله البلىٰ ، وأكلتهم الجنادل والثرىٰ ؟! وكأنْ قد صرتم إلىٰ ما صاروا إليه ، وارتهنكم ذلك المضجع ، وضمّكم ذلك المستودع ، فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور ، وبعثرت القبور ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [سورة يونس (١٠) : ٣٠] ؟! .

(١) سورة آل عمران (٣) : ١٤٥ قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ .

وقوله تعالىٰ في سورة يونس (١٠) : ٤٩ ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

(٢) سورة المؤمنون (٢٣) : ٩٧ ـ ١٠٣ ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ⇐

وثالثة ؛ في أنّ الدّنيا ليست إلّا دار عناء وتعب ، ومشقّة ومحنة ونصب ، وأنّ صفوتها ممزوجة بكدورة ، وراحتها مقرونة بعناء ، وأنّ الله لم يخلق فيها راحة ، كما قال تعالىٰ في الحديث القدسي : « إنّ عبادي يطلبون منّي شيئاً لم أخلقه وهو الراحة في الدّنيا ، ويَدّعون طلب ما خلقته وهو النعيم المقيم » .

فإنّك ـ بنيّ ـ إذا تفكّرت في ذلك هَان عليك ما تلقاه من شدّة ، ورغبت في عمل الآخرة ، والتفتّ إلىٰ أنّه إذا كان لابدّ في الدنيا من التعب والمشقّة فتحمُّل المشقّة للنعيم الدائم أولىٰ وأهون .

ورابعة ؛ فيما تستقبله قريباً من عوالم ما بعد الموت .. من القبر ، والبرزخ ، والحشر ، والنشر ، وتطاير الكتب ، وتجسّم الأعمال والعقائد ، والحساب ، والصراط ، والميزان ، وما اعَدّ الله للمتّقين والمجرمين من الجنّة وأنواع نعيمها والنار وأقسام عذابها .

وخامسة ؛ في أنّه لا ينفع من مالك إلّا ما قدّمت صرفه في سبيل الله تعالىٰ ، وأنّك لا تصحب شيئاً منه إلّا مقدار كفنك ، وأنّ ولدك وعيالك وأطفالك وأحبّاءك وأقاربك لا ينفعوك إلّا بإضجاعك في حفرتك ،

⇐ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُون * حَتَّىٰ إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ * إِنَّها كَلِمَةٌ هُو قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا هُمْ يَتَساءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خٰلِدُونَ ﴾ .

وتسليمك إلىٰ عملك ، وأنّ ما ينفعك إنّما هو ما عملتَه لوجه الله سبحانه ، فإنّه يصاحبك ولا يفارقك . فإنّك إذا تفكّرت من الجهات المذكورة ، أكثرت من الأعمال الحسنة ، وأخلصت فيها النيّة ، ونجوت من الهلكة ، وقدّمت لغدك قبل أن يخرج الأمر من يدك .

وقد ورد أنّ أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت ، وأفضل العبادة ذكر الموت ، وأفضل التفكّر فكر الموت[1] .

ومَن غفل عن ذكر الموت صرف عمره فيما لا يعنيه ، ومَن لا زم ذكر الموت صرف عمره فيما ينفعه ، وأنه لأَحْسَنُ واعظ ، وأسرع زاجر ، وكفىٰ بذكر الموت حُسْناً ، إنّه يهوّن الضيق والعسر علىٰ من ابتلي به ، ويقيم الغني علىٰ الجود بماله الموجب للأجر ، ويثبّط العبد عن الإشتغال بما لا ينفعه .

ولقد أجاد من قال : إنّه مهوّن للمصاب ، ومرغّب فيما ينفع يوم الحساب ، وملزم بالتوبة قبل الموت ، والتدارك قبل الفوت ، وقاطع للأمل ، ومانع من الفرح بـ : لَيْتَ ولعلّ .

---

(١) مستدرك الوسائل المجلّد الأول حديث ١٧ [الطبعة المحققة ٢/١٠٤ حديث ١٥٤٧] عن جامع الأخبار عن النّبي صلّىٰ الله عليه وآله قال : « أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت ، وأفضل العبادة ذكر الموت ، وأفضل التفكّر ذكر الموت ، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنّة » .

ومنها :

[الصبر والشكر والرضا]

الصبر علىٰ البلاء ، والشّكر علىٰ النعماء ، والرّضا بالقضاء .

فأوصيك بنيّ بذلك ، فإنّه من أعظم أسباب الفرج ، وأنّ عباداً نالوا المراتب العالية في الدّارين به ، كما لا يخفىٰ علىٰ من راجع حال الماضين .

ولقد أجاد من قال :

تَــرَدَّ رِدَاء الصــبر عــند النــوائب
تَنَلْ من جميل الصبر حسن العواقب

واجعل بنيّ نفسك طيّبة بالصدمات علىٰ نحو طيبها بالنعم .

واجعل كلّ ما يختاره لك من الصحّة والسقم ، والعافية والبلاء ، والشباب والهرم ، والقوّة والضعف ، والغنىٰ والفقر .. ونحوها محبوباً لك ، لأنه ممّا اختاره لك حكيم عالم بالعواقب ، محبّ لك ، أرأف [بك] من أبويك ونفسك .. فهو عين صلاحك .

واحبس بنيّ نفسك من الجزع عند المصيبة والمكروه ، والفزع منه ، وارضَ بما يفعله الحكيم الرؤوف تعالىٰ شأنه ، واترك الشكوىٰ والإخبار بالسوء بما يصيبك . وقد نُقل أنّ سيد الساجدين عليه السلام قال :

فـإذا بـليت بعثرة فـاصبر لهـا   صـبر الكـريم فـإنّ ذلك أحـزم
لا تشكـونّ إلىٰ الخـلائق إنّمـا   تشكو الرحيم إلىٰ الّذي لا يرحم

وطيّب بنيّ نفسك بالضرّاء كطيبها بالسرّاء ، وبالفاقة كطيبها بالغناء ، وبالبلاء كطيبها بالعافية .. وهكذا . وقد قالوا عليهم السلام ما معناه : إنّ

الصبر صبر علىٰ ما تكره من بلاء وشدة ، وصبر علىٰ طاعة الله سبحانه ، وهو أفضل من الأول ، وأفضل منه الصبر علىٰ ترك ما حرم الله تعالىٰ[١] .

ورُوي عن النّبي صلّىٰ الله عليه وآله أنه قال : « إن مَنْ صبر علىٰ المصيبة حتىٰ يردّها بحسن عزائها ، كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلىٰ الدرجة كما بين السماء و[٢]الارض . ومن صبر علىٰ الطاعة كتب الله له ستّمائة درجة ، ما بين الدرجة إلىٰ الدرجة كما بين تخوم الأرض إلىٰ العرش . ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلىٰ الدرجة كما بين تخوم الأرض إلىٰ منتهىٰ العرش »[٣] .

[مراتب الصبر وأنواعه]

وقد ذكر علماء الأخلاق للصبر مراتب :

الأولىٰ : الصبر عن الركون إلىٰ ما يوافق الهوىٰ .. من الصحّة والسلامة ، والمال والجاه ، وكثرة العشيرة ، واتّساع الأسباب ، وسائر ملاذّ

---

(١) أصول الكافي ٢/٩٠ حديث ١١ عن الأصبغ قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الصبر صبران : صبر عند المصيبة حسن جميل ، وأحسن من ذلك الصبر عندما حرّم الله عزّ وجلّ عليك . والذكر ذكران : ذكر الله عزّ وجلّ عند المصيبة ، وأفضل من ذلك ذكر الله عندما حرّم عليك فيكون حاجزاً لك » .

(٢) خ . ل : إلى ، بدلاً من الواو .

(٣) أصول الكافي ٢/٩١ حديث ١٥ بلفظه . وجاء في أوله : الصبر ثلاثة : صبر عند المصيبة ، وصبر علىٰ الطاعة ، وصبر عن المعصية ..

الدنيا . وما أحوج العبد إلىٰ الصبر عن هذه الأمور ، وضبط نفسه عن الركون إليها والانهماك فيها ، المؤدّي إلىٰ الطغيان .

الثانية : الصبر علىٰ الطاعة .. وهو شديد ؛ لأنّ النفس بطبعها تنفر العبوديّة ، وتشتهي الربوبيّة . ولذلك قيل : ما من نفس إلّا وهي مضمرة ما أظهره فرعون ، ولكن فرعون وجد مجالاً فأظهره . وما من أحد إلّا ويدّعي ذلك مع عبيده وخدمه وأتباعه وإن كان ممتنعاً من إظهاره ، ولذا ترىٰ غيظه عند تقصيرهم في خدمته ، فإنّ ذلك ليس إلّا من الكبر .

واعلم بنيّ إنّ الصبر علىٰ الطاعة لازم قبل العمل وحاله وبعده :

أمّا قبله ؛ فلتصحيح النيّة .

وأمّا حاله ؛ فلأن لا يغفل عن ذكر الله تعالىٰ ، ولا يستعمل الرياء .

وأمّا بعده ؛ فلأن لا يستعمل العُجْب ونحوه ممّا يفسده .

الثالثة : الصبر عن ارتكاب المعاصي ؛ فإنّ العبد في غاية الحاجة إلىٰ ذلك ، وذلك أنّ المعاصي ـ سيّما الكذب والغيبة والنميمة والبهتان ـ مألوفة بالعادة ، والعادة طبيعة ثانية ، فإذا انضافت إلىٰ الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان علىٰ جند الله عزّ وجل ، وكلّما كان الذنب ألذّ علىٰ النفس كان الصبر عنه أصعب .

الرابعة : ماليس هجومه تحت اختياره ـ كما لو أوذي بفعل أو قول ؛ فإنّ الصبر عليه بترك المكافأة حسن جميل .

فعليك بنيّ بالصبر عمّن أساء إليك ، وإيكال الأمر إلىٰ الله سبحانه ، وعدم التعرّض للمسيء بوجه وإنْ قدرت علىٰ أخذ الثار والمكافأة ؛ فإنّ

التجربة الأكيدة ـ فضلاً عن الأخبار[١] ـ قد قضت بأنّ الله تعالىٰ خير مكافئ في الدّنيا قبل الآخرة ، وخير منتصر للمظلوم من الظالم ولو بعد حين .

الخامسة : مالا يدخل تحت الاختيار أوّله ولا آخره : كالمصاب [في] مثل فقد الأعزّة والأحباب ، وتلف الأموال ، وزوال الصّحة ، وعمىٰ العين ، وفساد الأعضاء، والفقر والفاقة .. وأشباه ذلك . والصبر علىٰ ذلك صعب غالباً ، ولكن أجره عظيم ، حتّىٰ قال جَلّ ذكره : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[٢] .

واعلم بنيّ رزقك الله تعالىٰ الصبر بأقسامه ـ أنّ الصبر عند المكاره يحصل بملاحظة أمور تجعل مرارته عند أهله أحلىٰ من العسل :

---

(١) أصول الكافي ٢/٣٣٢ حديث ٩ عن الصادق أبي عبد الله عليه السلام قال : « من ظلم مظلمة أخذ بها في نفسه أو في ولده أو في ماله .. » .

وفيه صفحة : ٣٣١ حديث ٥ منه ما خلاصته قول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للحسن عليه السلام : « إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلّا الله » .

وفي مستدرك الوسائل ٢/٣٤٣ حديث ١٢ [الطبعة المحققة ٩/١٠ حديث ١٠٠٥٣ و١٢/١٠٢ حديث ١٣٦٣٣] من باب تحريم الظلم ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « .. لا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك ، فإنّما يسعىٰ في مضرته ونفعك ، وليس جزاء من سرّك أن تسوءه ، ومن سلّ سيف البغي قتل به ، ومن حفر بئراً لاخيه وقع فيها .. » إلىٰ آخر الحديث .

(٢) سورة البقرة (٢) : ١٥٦ .

أحدها : ما ورد من جزيل الثواب الأخروي ؛ فقد استفاضت الأخبار بأنّ الصابرين يدخلون الجنة بغير وقوف في العرصات ، ولا نصب ميزان ، ولا نشر ديوان ولا حساب[1] .

وورد أنّ « من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم ، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدّام آل محمّد صلّىٰ الله عليه وآله »[2] .

---

(١) وسائل الشيعة ٢/٤٥١ حديث ١ باب ١٨ [ط ج ١١/١٨٦ باب ١٩] عن هشام بن الحكم عن الصادق أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا كان يوم القيامة ، يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنّة ، فيقال : مَنْ انتم ؟ فيقولون : نحن أهل الصبر ، فيقال لهم : علىٰ ما صبرتم ؟ فيقولون : كنّا نصبر علىٰ طاعة الله ونصبر عن معاصي الله . فيقول الله عزّ وجلّ : صدقوا ، أدخلوهم الجنّة ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [وقريب منه في ما ورد في كتاب نوادر الحسين بن سعيد ـ كما حكاه العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٧/١٨١ حديث ٢٤ وجاء في تفسير علي بن ابراهيم القمي : ١١٨ [من الطبعة الحرية] في ذيل آية ٢٠٠ من سورة آل عمران [٢/١٢٩ باختلاف يسير] باسناده عن ابي عبدالله الصادق عليه السلام ، قال : « اصبروا على المصائب ... » ، وقال : « اذا كان يوم القيامة نادىٰ مناد : اين الصابرون ؟ فيقوم فئام من الناس ، ثم ينادي : اين المتصبرون ؟ فيقوم فئام من الناس . قلت : جعلت فداك ؟ وما الصابرون ؟ [وما المتصبرون ، قال : « الصابرون] على اداء الفرائض ، والمتصبرون على اجتناب المحارم » . وقريب منه في الفقه الرضوي : ٣٦٨ ، فراجع] .

(٢) وسائل الشيعة ٢/٤٥٥ باب استحباب الصبر في جميع الأمور حديث ٥ [ط ج ١١/ ٢٠٩ باب ٢٥] عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « إني لأَصبر من غلامي هذا ومن أهلي علىٰ ماهو أمرّ من الحنظل ، إنّه من صبر ⇐

وأنّ « الصبر علىٰ الفاقة جهاد »[1] ، وأنّه « أفضل من عبادة ستين سنة »[2] .

وأنّ « من آبتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد[3] .. » .

.. إلىٰ غير ذلك من الأجور المتقدّم بعض منها .

ثانيها : ما يترتب عليه بالتجربة من نيل المراتب العالية .

ثالثها : تفاني المحنة بمرور الآنات ، وفناء العمر علىٰ كلّ حال ، وأنّ الساعة التي تمضي لا يبقىٰ سرورها ولا ألمها ، والّتي تأتي لا تدري ماهي ، وإنّما هي ساعتك الّتي أنت فيها .

رابعها : عدم نتيجة للجزع والفزع والشكوى إلّا قلّة الأجر ، فإنّ المقدّر كائن، وقضاء الله لا يُرَدّ ولا يُبدَّل ، والعبد مملوك لا يقدر علىٰ شيء أبداً .

⇐ نال بصبره درجة الصائم القائم ، ودرجة الشهيد الذي ضرب بسيفه قدام محمد صلّىٰ الله عليه وآله » [ومثله في ثواب الأعمال : ١٧٣ و ١٧٥] .

(١) يستفاد هذا من الحديث المتقدّم ؛ حيث جعل للصابر درجة الشهيد الذي ضرب بسيفه قدام النبي صلىٰ الله عليه وآله » .

(٢) جامع السعادات ٣/٢٠٧ عن الصادق عليه السّلام أنه قال : « من اشتكىٰ ليلة فقبلها بقبولها ، وأدّىٰ إلىٰ الله شكرها ، كانت كعبادة ستين سنة » [وفي ثواب الأعمال : ١٧٥ : كفارة ستين سنة ، وفي ذيله : قال : قلت : وما قبلها بقولها ؟ . قال : « صبر على ما كان فيها » . ولاحظ : الكافي ٣/١١٦ حديث ٥] .

(٣) أصول الكافي ٢/٩٢ باب الصبر حديث ١٧ بلفظه .

خامسها : ملاحظة حال الممتحَنين بأعظم من امتحانه ، الصابرين عليه أجمل صبر .

سادسها : ملاحظة أنّ الابتلاء من السعادة ، وأنّ البلاء للولاء ، بل شدّة البلاء للمؤمن تكشف عن شدة القرب إليه تعالىٰ .

سابعها : تذكّر أنّ ذلك من الحكيم الرؤوف ، وأنّه لا يختار لعبده إلّا مافيه صلاحه ، وأنه غنيّ علىٰ الإطلاق ، وأنه علىٰ كلّ ما يشاء قدير .

ثامنها : تذكّر أنّ ذلك تزكية لنفسه .

تاسعها : أنه لا أثر للشكوىٰ إلّا فرح العدوّ وحزن الصديق .

عاشرها : أنّ الصبر محمود العاقبة حتّىٰ في الدنيا ، كما يستفاد من الأخبار وقضايا الصابرين ، ألا ترىٰ أنّ صبر يوسف عليه السلام عن معصية الله تعالىٰ وعلىٰ المحن كيف أدّىٰ إلىٰ بلوغه الغاية القصوىٰ من العزّ ، ومن تَصيير الجبّار العاتي له عبداً بعد أن كان له مالكاً ، والاخوة له حُقراً ، وزليخا له ذليلة جالسة في طريقه، ونال منها بنهاية العزّ بعد عود شبابها وجمالها وعينها إليها ، كما لا يخفىٰ علىٰ من راجع الأخبار الواردة في تفسير السورة[١] .

وكذلك أيّوب عليه السّلام ؛ رَدّ الله ـ بصبره ـ إليه ما فاته من الصحّة والأولاد والأزواج ، وأعطاه أموالاً جزيلة ، وأمطر في داره

---

(١) مجمع البيان ٥/٢٤١ [في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَالِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ ﴾ [سورة يوسف (١٢) : ٥٦] أي الصابرين] ؛ فراجع القصة بطولها .

جراداً من ذهب[١].

---

(١) مجمع البيان ٤٧٧/٨ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نَـادَىٰ رَبَّـهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصبٍ وَعَذَابٍ * اَركُض بِرجلِكَ هَذا مُغْتَسَلُ بَارِد وشَرَاب * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمثلَهُم مَعَهُم رَحْمَةً مِنَّا وَذِكرَىٰ لاولِي الألبَابِ ، وَخُذ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضرِب بِهِ وَلاَ تَحْنث اَنَّا وَجَدناهُ صَابِرَاً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّه أَوَّاب ﴾ [سورة ص (٣٨): ٤١ ـ ٤٥].

وعن تفسير الصافي: ٤٦٢ [٣٠٣/٤ ـ ٣٠٥] في تفسير الآيات الكريمة عن عليّ بن ابراهيم عن الصادق عليه السلام، انّه سُئل عن بليّة أيوب الّتي آبتلي بها في الدّنيا لأيّ علّة كانت؟ قال: « لنعمة أنعم الله عزّ وجلّ عليه بها في الدّنيا وأدّىٰ شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس عن دون العرش، فلمّا صعد ورأىٰ شكر نعمة أيوب عليه السلام حسده إبليس، فقال: يا ربّ! إنّ أيوب لم يؤدّ إليك شكر هذه النعمة إلّا بما أعطيته من الدّنيا، ولو حرمته دنياه ما أدّىٰ إليك شكر نعمة أبداً، فسلّطني علىٰ دنياه حتّىٰ تعلم أنّه لا يؤدّي إليك شكر نعمة أبداً، فقيل له: قد سلّطتك علىٰ ماله وولده. قال: فانحدر إبليس فلم يبق له مالاً ولا ولداً إلا أعطبه، فازداد أيّوب لله شكراً وحمداً. قال: سلّطني علىٰ زرعه، قال: قد فعلت. فجمع شياطينه فنفخ فيه فاحترق، فازداد أيّوب عليه السّلام لله شكراً وحمداً. فقال: يا ربّ! فسلّطني علىٰ غنمه، فسلّطه علىٰ غنمه فأهلكها، فازداد أيّوب عليه السّلام شكراً وحمداً. فقال: يا ربّ! سلطني علىٰ بدنه، فسلّطه علىٰ بدنه ـ ما خلا عقله وعينيه ـ، فنفخ فيه إبليس فصار قرحة واحدة من قرنه إلىٰ قدمه، فبقي في ذلك دهراً طويلاً يحمد الله [فيه] ويشكره حتّىٰ وقع في بدنه الدود، فكانت تخرج من بدنه فيردّها، فيقول لها: « ارجعي إلىٰ موضعك الّذي خلقكِ الله منه ..!» ونتن حتّى أخرجوه أهل القرية من القرية، وألقوه في المزبلة خارج القرية، وكانت امرأته رحمة بنت يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم [عليهم السلام] تتصدّق من النّاس وتأتيه بما تجده. قال: فلمّا طال عليه البلاء ورأىٰ إبليس صبره أتىٰ أصحاباً لأيوب كـانوا رهـباناً في

⇐

. . . .

⇐ الجبال وقال لهم : مرّوا بنا إلىٰ هذا العبد المبتلىٰ فنسأله عن بليّته ، فركبوا بغالاً شهباً ، وجاءوا فلمّا دنوا منه نفرت بغالهم من نتن ريحه ، فنظر بعضهم إلىٰ بعض ثمّ مشوا إليه ـ وكان فيهم شابّ حدث السنّ ـ فقعدوا إليه ، فقالوا : يا أيوب ! لو أخبرتنا بذنبك لعل الله كان يمكّننا [خ . ل يملكنا] إذا سألناه ، وما نرىٰ ابتلاك بهذا البلاء الذي لم يبتل به أحد الّا من أمرٍ كنت تستره ؟ فقال أيوب عليه السلام : « وعزّة ربّي إنّه ليعلم أنّي ما أكلت طعاماً إلّا ويتيم أو ضعيف يأكل معي ، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة لله إلّا [و]أخذت بأشدّهما علىٰ بدني » . فقال الشاب : سوءة لكم عيّرتم نبيّ الله حتّىٰ أظهر من عبادة ربّه ما كان يسترها . فقال أيوب عليه السلام : « يا ربّ ! لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت بحجّتي » . فبعث الله عزّ وجلّ إليه غمامة فقالت : « يا أيوب ! أدل بحجّتك فقد أقعدتك مقعد الحكم ، وها أنا ذا قريب ولم أزل » . فقال : « يا ربّ ! إنّك لتعلم أنه لم يعرض لي أمران قط كلاهما لك طاعة إلّا أخذت بأشدّهما علىٰ نفسي ، ألم أحمدك ؟ ألم أشكرك ؟ ألم أسبّحك ؟ » قال : فنودي من الغمامة بعشرة آلاف لسان : « يا أيّوب ! مَنْ صيّرك تعبد الله والنّاس عنه غافلون ؟! ، وتحمده وتسبّحه وتكبّره والنّاس عنه غافلون ؟ .. أتمنّ علىٰ الله بما لله فيه المنّة عليك ؟! » قال : فأخذ التراب فوضعه في فيه ، ثم قال : « لك العتبىٰ يا رب أنت فعلت ذلك بي » .. فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء ، فغسله بذلك الماء فعاد أحسن ما كان وأطرأ ، وأنبت الله عليه روضة خضراء ، وردّ عليه أهله وماله وولده وزرعه ، وقعد معه الملك يحدّثه ويؤنسه ، فأقبلت امرأته معها الكسرة ، فلما انتهت إلىٰ الموضع إذا الموضع متغيّر ، وإذا رجلان جالسان ؛ فبكت وصاحت وقالت : يا أيوب ! ما دهاك ؟ فناداها أيوب فأقبلت ، فلما رأته [و]قد ردّ الله عليه بدنه ونعمته ، سجدت لله عزّ وجل شكراً . فرأى ذؤابتها مقطوعة ـ وذلك أنّها سألت قوماً أن يعطوها ما تحمله إلىٰ أيوب عليه السلام من ⇐

وقضايا حسن نتيجة الصبر كثيرة مذكورة في المفصّلات .

وعليك بنيّ عند المصيبة بتذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام ؛ إذ ما من مصيبة إلّا وفيهم أتمّ فرد منها ، فإذا تذكّرت مصائبهم العظام ـ وهم سادات الأنام ، ولأجلهم خُلِقَت الدنيا ومَنْ فيها(*) (١) ـ هانت عليك

⇐ الطعام ، وكانت حسنة الذوائب . فقالوا لها : تبيعينا [بيعينا] ذؤابتك هذه حتىٰ نعطيك ، فقطعتها ودفعتها إليهم ، وأخذت منهم طعاماً لأيوب عليه السلام ـ فلما رآها مقطوعة الشعر غضب وحلف عليها أن يضربها مائة ، فأخبرته أنه كان سببه كيت وكيت . فاغتمّ أيوب عليه السّلام من ذلك ، فأوحىٰ الله عزّ وجلّ إليه : ﴿ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلاَ تَحْنَثْ .. ﴾ [سورة ص (٣٨) : ٤٤] فأخذ عذقاً مشتملاً علىٰ مائة شمراخ ، فضربها ضربة واحدة ، فخرج من يمينه . قال عليه السلام : « فردّ الله عليه أهله الذين ماتوا قبل البلاء ، وردّ عليه أهله الذين ماتوا بعدما أصابهم البلاء ، كلّهم أحياهم الله له ، فعاشوا معه » .

وسُئل أيوب عليه السلام بعدما عافاه الله : أي شيء كان أشدّ عليك ممّا مرّ عليك ؟ فقال : « شماتة الأعداء » .

قال عليه السلام : « فأمطر الله عليه في داره جراد الذهب ، وكان يجمعه ، فكان إذا ذهبت الريح منه بشيء عدا خلفه فردّه ، فقال له جبرئيل : أما تشبع يا أيوب ؟! قال : « ومن يشبع من رزق ربّه عزّ وجل ؟! » .

(*) خ . ل : وما فيها [منه (قدّس سرّه)] .

(١) بمضمون هذه الجملة « خلق الأرض والسماء ومن فيها » ، وردت أحاديث جمّة مذكورة في الموسوعات الحديثية وتفاسير أهل البيت عليهم السّلام . وفي الحديث المشهور بحديث الكساء قوله عزّ من قائل مخاطباً جبرئيل عليه السلام : « وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني ما خلقت سماءاً مطويّة ، ولا أرضاً مدحيّة ، ولا شمساً مضيئة ، ولا قمراً ⇐

مصيبتك ، ولقد أجاد من قال :

أنْسَتْ رزيّتكم رزايانا الّتي سَلَفَتْ وهَوَّنت الرزايا الآتيهْ

وإيّاك بنيّ أن يكون صبرك صبر بعض العوام ، وهو حبس النفس علىٰ وجه التجلّد ، فإنّه رياء محض ، بل ليكن صبرك ـ أقلاً ـ صبر المتّقين ؛ وهو ما كان لتوقّع أجر الآخرة ، وأجود منه صبر العارفين ، وهو التلذّذ بالمكروه بالنظر إلىٰ كونه من المحبوب الرؤوف العالم بالعواقب[1] .

⇐ منيراً ، ولا فلكاً يدور .. إلّا لمحبة هؤلاء الخمسة .. » إلىٰ آخر الحديث . انظر : تفسير مرآة الانوار تأليف أبي الحسن بن محمد طاهر بن عبد الحميد ابن موسىٰ بن علي بن معتوق بن عبد الحميد النباطي الفتوني العاملي الأصل الإصفهاني المولد والنجفي المسكن المتوفىٰ سنة ١١٣٨ هجرية ، صفحة : ٣٠ طبعة طهران ايران لسنة ١٣٧٤ .

(١) جامع السعادات ٢ / ٢٨٠ ، قال : أهل الصبر علىٰ ثلاث مقامات :

الاول : ترك الشكوىٰ ؛ وهذه درجة التائبين .

الثاني : الرضا بالمقدّر ؛ وهذه درجة الزاهدين .

الثالث : المحبّة لما يصنع به مولاه ؛ وهذه درجة الصدّيقين . وكأنّ هذا الإنقسام مخصوص بالصبر علىٰ المكروه من المصائب والمحن .

ثم الباعث للصبر : إما اظهار الثابت وطمأنينة القلب عند الناس ليكون عندهم مرضيّاً ـ كما نقل عن معاوية ـ أنه أظهر البشاشة وترك الشكوىٰ في مرض موته ، وقال :

وتَجَلُّدِي للشامتين أُرِيْهِمُ أني لريب الدهر لا أتزعزعُ

وهذا صبر العوام ، ﴿ وَيَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [سورة الروم (٣٠) : ٧] .

أو توقّع الثواب ونيل الدرجات الرفيعة في دار الآخرة ، وهذا صبر الزهّاد والمتّقين ،

⇐

وآعلم بنيّ أنّ الصبر لا ينافي البكاء على المصيبة ، ألاٰ تـرى إلى أنّ سيد الكونين صلوات الله عليه وآله بكى في وفاة ولده إبراهيم ، فقيل له ما معناه : إنك تأمرنا بالصبر فما هذا البكاء ؟ فزجر صلّى الله عليه وآله القائل بقول معناه ـ : « ويحك ! القلب يحترق ، والعين تدمع ، وإنّما لا نتكلم بما يسخط الربّ ولا يرضيه[1] » .

وعليك بنيّ عند المصيبة من إكثار الإسترجاع كي يكون لك بمقتضى

⇐ وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ في سورة الزمر (٣٩) : ١٠ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

أو الالتذاذ والابتهاج بورود المكروه من الله سبحانه ، إذ كلّ ما يرد من المحبوب محبوب ، والمحبّ يشتاق إلىٰ التفات محبوبه ويرتاح به ، وإن كـان مـا يـؤذيه ابـتلاءاً وامتحاناً له ، وهذا صبر العارفين ، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ سورة البقرة (٢) : ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ .

(١) مستدرك وسائل الشيعة ١/١٣٣ باب ٥٨ حديث ٤ [الطبعة المحققة ٢/٣٨٥ حديث ٢٢٥٦] عن عبدالرحمن بن عوف قال : دخلت النخل مع رسول الله صلّى الله عليه وآله فاذا ابراهيم يجود بنفسه ، فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجره وفاضت عيناه . فقلت : يا رسول الله ! أتبكي ؟! أما نهيتنا عن البكاء ؟ قال : « ليس عن البكاء نهيت .. » إلى أن قال : « وهذه رحمة ، فمن لا يَرْحم لا يُرْحم ، يا إبراهيم ! لولا أنّه أمر حقّ ووعد صدق ، وسبيل لابدّ أنها مأتية ، وأن آخرنا سوف يلحق أولنا .. ، لحزنّا عليك حزناً هو أشدّ من هذا ، وانّا بك لمحزونون ، تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الربّ تبارك وتعالىٰ » .

الآية الكريمة[١] صلوات من ربّك ورحمة ، وتكون مِن المهتدين ، وإكثار تذكّر حال الصابرين السابقين حتى يكون الصبر مَلَكة لك .

وآعلم بنيّ أنّه قد رُوي عن مولانا الصادق عليه السلام : أنّ عند فناء

---

(١) وهو قوله عز من قائل في سورة البقرة (٢) : ١٥٥ و١٥٦ ﴿ اَلَّذِيْنَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِيْبَةٌ قٰالُوا إِنّٰا لِلّٰهِ وَإِنّٰا اِلَيْهِ رٰاجِعُونَ * أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولٰئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ ﴾ .

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلّى الله عليه وآله قال : « أَربع مَنْ كنّ فيه كتبه الله من أهل الجنة :

أولاً ـ من كانت عصمته شهادة أن « لا إله إلّا اللهُ » .

ثانياً ـ وَمن إذا أنعم الله عليه نعمة قال « الحمد لله » .

ثالثاً ـ ومن إذا أصاب ذنباً قال « استغفر الله » .

رابعاً ـ ومن إذا أصابته مصيبة قال « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » .

وانظر : مجمع البيان ٢٣٨/١ [وقريب منه ما جاء في الخصال ١٠٥/١ ـ ١٠٦ ومثله في المجالس للبرقي : ٨ و٤٣ .

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلم بنفس الاسناد قال : « اربع من كن فيه كان في نور الله الأعظم : من كانت عصمة أمره شهادة ان « لا اله الا الله وأني رسول الله » .

ومن اذا اصابته مصيبة قال : « انا لله وانا اليه راجعون » .

ومن اذا اصابه خيراً قال : « الحمد لله رب العالمين » .

ومن اذا اصاب خطيئة قال : « استغفر الله واتوب إليه » .

ومثله في المجالس للشيخ المفيد : ٤٦ [صفحة : ٥٤] ، وكذا في مسكن الفوائد ، وحكاه عنه في بحار الأنوار ١٢٩/٨٢ ـ ١٣٠ ، وجامع الأخبار : ٥٨ ، وتفسير العياشي ٦٩/١ ووسائل الشيعة ٢٤٨/٣ حديث ٣٥٣٩ وغيرها] .

الصبر الفرج[١] ، والتجربة أيضاً تشهد بذلك[٢] ، وبأنّ لكل عسر يسراً[٣] .

ولقد أجاد من قال[٤] :

وكم للهِ من لطفٍ خفيّ ... يَدقُّ خفَاه عن فهم زكيّ[٥]

وكم يُسر أتى من بَعْد عُسر ... ففرّج(*) كربةَ القلب الشَّجيّ

---

(١) وسائل الشيعة ٤٥٥/٢ باب ٢٤ حديث ٩ [ط ج ٢٠٩/١١ باب ٢٥] عن الصادق عليه السلام : أنه جاءت إليه امرأة فقالت : إنّ ابني سافر عنّي وقد طالت غيبته عنّي ، واشتدّ شوقي إليه فادع الله لي . فقال لها : « عليكِ بالصبر » .. فاستعملته ، ثم جاءت بعد ذلك فشكت إليه طول غيبة ابنها ، فقال لها : « ألم أقل عليكِ بالصبر ؟ » . فقالت : يابن رسول الله ! كم الصبر ؟ فوالله لقد فنى الصبر . فقال : « إرجعي إلى منزلك تجدي ولدك قد قدم من سفره » ، فنهضت فوجدته قد قدم ، فأتت به إليه فقالت : أوحيٌ بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟! قال : « لا ، ولكن عند فناء الصبر يأتي الفرج ، فلمّا قلتِ : فني الصبر ، عرفت أنّ الله قد فرّج عنك بقدوم ولدك » .

(٢) وإذا أردت الاطلاع على الحوادث والقصص التي تدلّ على أنّه عند فناء الصبر يحصل الفرج فراجع كتاب « الفرج بعد الشدة » للقاضي أبي علي الحسن بن أبي القاسم التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، وكشكول الشيخ البهائي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ ، وغيرهما .

(٣) سورة ألم نشرح (٩٤) : ٥ و٦ ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ ولاحظ ما في مجمع البيان ٥٠٩/١٠ .

(٤) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام : ١٠٦ [طبعة الاعلمي بيروت ولم ترد في طبعة الغري في النجف الاشرف] .

وجاء فيه ما قبل آخره :

توسل بالنبي فكل خطب ... يهونُ إذا تُوسّل بالنبي

(٥) في الديوان : الذّكيّ .

(*) خ . ل : وفرّج ، [منه (قدّس سره)] . كذا جاء في ديوان أمير المؤمنين عليه السلام .

وكم أمر تُسَاءُ بـه صـباحاً　　فـتأتيك المَـسرّةُ بـالعشي
إذا ضاقت بك الأحوالُ يوماً　　فثِقْ بـالواحـدِ الفَـردِ العَـليّ
ولا تجزع إذا ما نابَ خَطبٌ　　فكـم للهِ مـن لطـفٍ خـفيّ

بل ورد أنّ لكل عسر يسرين[1] ، كما قال الشاعر :

إذا ضـاقت بك الدنـيا　　تـفكر[*] في ألم نـشرح
تجد يسرين[**] بعد العسر　　إنْ فكّـرته تـفرح

---

(١) مجمع البيان ٥٠٩/١٠ عن الحسن عليه السلام قال : خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك ويقول : « لن يغلب عسر يسرين ، فإنّ مع العسر يسراً ، إنّ مع العسر يسراً » .

روى عطاء عن ابن عباس ، قال : يقول الله تعالى : خلقتُ عسراً واحداً ، وخلقتُ يسرين ، فلن يغلبَ عسر يسرين .

(*) خ . ل : فطالع [منه (قدّس سرّه)] .

(**) الوجه في ما قاله الشاعر ما قرره أهل الأدب من أنّ إعادة النكرة تكريراً لها دون المعرفة ، واليسر قد كرر في السورة نكرة ، والعسر معرفة ، فيكون يسران بعد عسر واحد ، [منه (قدّس سرّه)] .

أقول : أما أنّ العسرَ واحدٌ واليسرَ اثنان مع تكررهما ، فذلك لأنّ تكرر المعرفة يكون هو هو ، مثل أن تقول إن رُزقتَ درهماً فتصدق بالدرهم ، فالدرهمُ المأمور بالتصدق به نفس ذلك الدرهم الذي رزقته ، أما إذا كررت النكرة كان الثاني غير الأول ، مثل إذا كسبتَ درهماً فتصدق بدرهم ، فإن الدرهم الثاني غير الأول بالبداهة . وفي الآية الكريمة كلمة « العسر » معرّفة لمكان الالف واللام ، و« اليسر » نكرة لعدم أداة التعريف . هذا على رأي الفراء والزجاج ، فيكون المعنى ان مع العسر يسرين .

وقال السيد المرتضى علمُ الهدىٰ : الظاهر من تعدد الخطاب خالياً من الفاء والواو تعدد ⇐

وٱعلم بنيّ أنّ جملة من محـامد الأخلاق ترجع إلى الصبر ، لكـن له بكل مورد من موارده اسماً :

فإنْ كان صبراً عن شهوة البطن والفرج سمّي (عِفَّة) .

وإنْ كان على احتمال مكروه ؛ اختلف أساميه باختلاف المكروه الذي عليه الصبر .

فإنْ كان مصيبة ٱقتصر على اسم (الصبر) ، ويضادّه : الجزَع .

وإنْ كان في ترك معصية سمّي (بالتقوى) .

وإنْ كان في احتمال الغنى سمي (ضبط النفس) ، ويضادّه : البَطَر .

وإنْ كان في حرب ومقاتلة سمّي (شجاعة) ، ويضادّه : الجبن .

وإنْ كان في كظم الغيظ والغضب سمّي (حِلماً) ، ويضادّه : السفَه .

وإنْ كان في نائبة من نوائب الدنيا سمّي (سعة الصـدر) ، ويـضاده : الضجَر ، والتبرُّم ، وضيق الصدر .

وإنْ كان في إخفاء كلام سمّي (كتمان السّر) ، ويضادّه : إفشاء السّر .

وإنْ كان في فضول العيش سمّي (زهداً) ، ويضادّه : الحِرْص .

وإنْ كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمّي (قناعة) ، ويضادّه : الشرَه .

.. إلى غير ذلك من الموارد المشروحة في المفصلاّت .

⇐ مدلولهما ، فيكون بناءاً على هذا الآية الكريمة الأُولى معناها : إنّ مع العسر في الدنيا يسراً في الدنيا . والآية الثانية : إنّ مع العسر في الدنيا يسراً في الآخرة ، وذلك حيث لا عهد بين المتخاطبين .

ومنها :

التوكّـل

فكن بنيّ وفقك الله تعالىٰ لخير الدارين ـ في جميع أمورك متوكّلاً على الله تعالىٰ واثقاً به ، لأنّ مجاري الأمور جميعها بيده ، وتحت قضائه وتقديره . فبالتوكّل عليه تستريح من الهموم وتعب السعي . فإنّ بين السعي والوصول عموماً من وجه ، فإن وافق القضاء السعي اجتمعا ، وإن خالفه افترقا ، ففي افتراقهما وعدم النيل تتألم ، وفي اتّفاقهما تنال تعباً[1] ، بخلاف ما إذا توكّلت على الله تعالى ، فإنّه إنْ اقتضى التقدير حصول مرادك نلته بغير تعب ، وإنْ آقتضى عدمه لم تكن تاعباً بالطلب والسعي حتى تتحسّر على التـخلّف ، وقد فسّر قوله عـز مـن قـائل : ﴿ وَمَـا يُـؤْمِنُ أَكْـثَرُهُمْ بِـاللهِ إِلَّا وَهُـم مُّشْرِكُونَ ﴾[2] في أخبار أهل البيت عليهم السلام بالنظر إلى الأسباب[3] .

فتوكّل بنيّ في أمورك على اللطيف الخبير ، صاحب القضاء والتقدير ، واترك الأسباب والاعتماد على غير الله سبحانه ، وافرض من سواه تـعالى أعجز من البعوضة .

---

(١) في الأصل : بتعبٍ .

(٢) سورة يوسف (١٢) : ١٠٦ .

(٣) مجمع البيان ٢٦٨/٥ عن أبي عبدالله عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ . قال : « إنّ قول الرجل لولا فلان لهلكت ، ولولا فلان لضاع عيالي ، جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه » . فقيل له : لو قال : لولا أنْ مَنَّ الله عليَّ بفلان لهلكت ؟ فقال : « لا بأس . وهو شرك في الطاعة ، لا شرك عبادة » .

ولا يخدعك ما يستند إليه القاصرون من أنّ الله [تعالى] أبىٰ أن يجري الأمور إلّا بأسبابها ، فإنّ ذلك ناشٍ من عدم نيل المراد بذلك ، فإنّ المراد به أنّ الأمور لا تحصل بغير الأسباب ، وأين ذلك من اعتبار تسبيب العبد بنفسه الأسباب ؟! كيف ، والأدعية مشحونة بأنّ الله تعالى مسبّب الأسباب من غير سبب . فالّذي أبىٰ جريان الأمور بغير أسبابها هو الذي يسبّب الأسباب على مقتضى تقديره من غير تسبيب العبد .

ولا يغرّنك ورود الأوامر الأكيدة ـ في غير طالب العلم ـ بطلب الرزق ، فإنّ ذلك لإقامة نظم العالم المطلوب لربّ العالمين جلّ شأنه ، ولذا ترى ورود الأوامر الأكيدة بالاقتصاد فيه وعدم الإفراط(١) .

---

(١) مستدرك الوسائل ٢/٤١٨ باب استحباب الإجمال في طلب الرزق حديث ١ [الطبعة المحقّقة ١٣/٢٧ حديث ١٤٦٤٣] عن أبي جعفر عليه السلام قال : خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع فقال : « أيّها الناس ! انّه ـ والله ـ ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النّار إلّا وقد أمرتكم به ، وما من شيء يقرّبكم من النّار ويباعدكم من الجنّة إلّا وقد نهيتكم عنه ، وإنّ الروح الأمين قد نفث في روعي أنّه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها ، فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنّ أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حق ، فإنّه لا يدرك شيء ممّا عند الله إلّا بطاعته » .

وحديث ٨ ـ من المصدر والجلد والصفحة نفسها ـ [الطبعة المحققة ١٣/٢٩ حديث ١٤٦٥٠] عن أبي محمد الحسن العسكري عليهما السّلام انه قال : « إدفع المسألة ما وجدت التحمّل يمكنك ، فإنّ لكلّ يوم رزقاً جديداً ، واعلم أنّ الإلحاح في المطالب يسلب البهاء ، ويورث التعب والعناء ، فاصبر حتى يفتح الله لك باباً يسهل الدخول

⇐

فكن بنيّ في جميع أمور دنياك ـ من الرزق والعزّ .. ونحوهما ـ معتمداً على الله سبحانه ، واثقاً به ، معرضاً عن الأسباب ، موكلاً للأمر إلى مسبّبها ، كما قال الشاعر الناصح :

كن عن أمورك معرضاً وكِل الامور إلى القضا
فلربّما اتّسع المضيق وربّما ضاق الفضا
ولرُبَّ أمر مُتْعِب لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشا فلا تكن متعرّضا
الله عوّدك الجميل فَقِسْ على ما قد مضى

نعم ، إن لم تكن طالب علم ، فعليك بالكسب بمقدار رفع حاجتك

⇐ فيه ، فما أقرب الصنع إلى الملهوف ، والأمن من الهارب المخوف ، فربّما كانت الغير نوع أدب من الله ، والحظوظ مراتب ، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك ، وانّما تنالها في أوانها ، واعلم أنّ المدبّر لك أعلم بالوقت الّذي يصلح حالك ، ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها فيضيق قلبك وصدرك ويغشاك القنوط » .

وحديث ١١ ـ من المصدر والمجلد نفسه ـ ص٤١٩ [الطبعة المحققة ١٣ / ٣٠ حديث ١٤٦٥٣] عن اسماعيل بن كثير رفع الحديث الى النبي صلّى الله عليه وآله قال : لمّا نزلت هذه الآية ﴿ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ قال : فقال أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله : ما هذا الفضل ؟ أيّكم يسأل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن ذلك ؟ قال : فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : « أنا أسأله ، فسأله عن ذلك الفضل ما هو ؟ » فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إنّ الله تعالى خلق خلقه وقسّم لهم أرزاقهم من حلّها ، وعرض لهم بالحرام ، فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام وحوسب به » .

مقتصداً فيه أيضاً ، بل المستفاد من الأخبار والتجربة الأكيدة ، إنّ تارك الأسباب المتوكّل على الله أحسن حالاً من مرتّبها ، وإنّ تسبيبها ـ سيّما ممّن يحبّه الله عزّوجلّ ـ يوجب إعراض الله تعالى عنه ، وإيكاله إلى نفسه ، بل منع الأسباب من أن تؤثّر .

وكفاك بنيّ في ذلك ما ورد من أنّ يوسف عليه السلام لو لم يقل : ﴿ اِجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾[١] لَوَلَّاه من ساعته ، ولكنه لما سعى في حقّ نفسه ، أخّر الله تعالى ذلك سنة[٢] . وأنّ اعتماده على أحد صاحبيه في السجن ، بقوله : ﴿ أُذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾[٣] أخّر نجاته سبع سنين ، وعاتبه الله تعالى بأنه كيف استعنت بغيري ولم تستعن بي ، ولم تسألني أن أخرجك من السجن واستعنت وأمّلت عبداً من عبادي ، ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي ، ولم تفزع إليّ ؟! اِلْبَث في السجن بذنبك بضع سنين بإرسالك عبداً إلى عبد[٤] ، ولم ينجُ بعد ذلك إلّا بالتوكل حيث أتاه جبرئيل

---

(١) سورة يوسف (١٢) : ٥٥ .

(٢) مجمع البيان ٥/٢٤٣ روي عن ابن عباس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال : « رحم الله أخي يوسف لو لم يقل ﴿ اِجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾ لَوَلَّاه من ساعته ، ولكنه أخّر ذلك سنة .

(٣) سورة يوسف (١٢) : ٤٢ .

(٤) مجمع البيان ٥/٢٣٥ روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء جبرئيل عليه السّلام فقال : « يا يوسف ! مَنْ جعلك أحسن الناس ؟ قال : ربّي . قال : فمن حبّبك إلى أبيك دون إخوتك ؟ قال : ربّي . قال : فمن ساق إليك السيّارة ؟ قال : ربّي . قال : فمن ⇐

عليه السلام وسأله عن حبّ النجاة ، فأوكل ذلك إلى مشيئة الله تعالى ، فعلّمه جبرئيل عليه السّلام دعاء التوسّل ، فدعا به فنجى[١] .

⇐ صرف عنك الحجارة ؟ قال : ربي . قال : فمن أنقذك من الجُبّ ؟ قال : ربّي . قال فمن صرف عنك كيد النسوة ؟ قال : ربّي . قال : فإنّ ربك يقول : ما دعاك إلى أن تنزل حاجتك بمخلوق دوني ، البث في السجن بما قلت بضع سنين » .

واختلف في البضع : فقيل من ثلاث إلى خمس عن أبي عبيدة ، وقيل إلى سبع عن قطرب ، وقيل يطلق بضع من ثلاث إلى تسع عن الأصمعي ، وقول قطرب مرويّ عن مجاهد . وقال ابن عباس : البضع ما دون العشر ، وأكثر المفسرين على أنّ البضع في الآية سبع سنين .

(١) مجمع البيان ٥/ ٢١٧ عن الصادق عليه السلام قال : « لما ألقى إخوة يوسف يوسف عليه السلام في الجبّ ، نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له : « يا غلام ! من طرحك هنا ؟ فقال : إخوتي لمنزلتي من أبي حسدوني ، ولذلك في الجبّ طرحوني . فقال : أتحبّ أن تخرج من هذا الجبّ ؟ قال : ذلك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب . فقال له : فإنّ إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب يقول لك قُل : (اللهم إني أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت بديع السماوات والأرض ياذا الجلال والإكرام ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تجعل لي في أمري فرجاً ومخرجاً وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب) فجعل الله له من الجب يومئذ فرجاً ومخرجاً ، ومن كيد المرأة مخرجاً ، وآتاه مُلك مصر من حيث لم يحتسب » .

[اقول : قد روى في تفسير علي بن ابراهيم القمي : ٣٣٠ ـ ٣٣١ من الطبعة الحجرية ، ونظيره في قصص الأنبياء وتفسير العياشي ـ كما قد حكاه عنهما العلامة المجلسي في بحار الأنوار ١٢/ ٢٤٨ ـ هذه القصة والدعاء بالفاظ مقاربة والمعنىٰ واحد . ولاحظ ما ورده في مهج الدعوات : ٣٨٣ ، وحكاه عنه في بحار الأنوار ٩٥/ ١٧٠ ـ ١٧١ وصفحة ١٨٦] .

وكذلك يعقوب عليه السلام عاتبه الله تعالى في شكايته مصائبه إلى عزيز مصر ، وعدم استغاثته بالله تعالى ، ولم ينج إلّا بعد الاستغفار والإنابة[١] .

فلا ترفع بنيّ حاجتك إلى غير الله سبحانه وتعالىٰ ، ولا تشكو مصائبك إلّا إليه ، فإنه الجواد الكريم ، وقد أعطى الله تعالى إبراهيم عليه السلام منصب الخلّة لأنه لم يسأل أحداً شيئاً قط[٢] .

---

(١) تفسير الصافي [٣/٤٢ ـ ٤٣] سورة يوسف في تفسير قوله تعالى ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾ [سورة يوسف (١٢) : ٩٢] : .. لمّا كتب يعقوب كتاباً إلى عزيز مصر بتعطيفه على نفسه وولده ـ ما حاصله ـ : نزل جبرئيل عليه السلام على يعقوب ، فقال له : « يا يعقوب ! إنّ ربّك يقول لك : من ابتلاك بمصائبك التي كتبت بها إلى عزيز مصر ؟ » قال يعقوب : « أنت بلوتني بها عقوبة منك وأدباً لي » . قال الله : « فهل يقدر على صرفها عنك أحد غيري ؟ » قال يعقوب : « اللهم لا » . قال : « فما استحييت مني حين شكوت مصائبك إلى غيري ، ولم تستغث بي وتشكو ما بك إليّ » . فقال يعقوب : « أستغفرك يا الهي وأتوب إليك وأشكو بثي وحزني إليك » ، فقال الله تعالىٰ : « قد بلغت بك ـ يا يعقوب وبولدك الخاطئين الغاية ـ في أدبي ، ولو كنت يا يعقوب شكوت مصائبك إليَّ عند نزولها بك ، واستغفرت وتبت إليّ من ذنبك ، لصرفتها عنك بعد تقديري إياها عليك ، ولكن الشيطان أنساك ذكري فصرت إلى القنوط من رحمتي ، وأنا الله الجواد الكريم ، أحبّ عبادي المستغفرين التائبين الراغبين إليّ فيما عندي ، يا يعقوب ! أنا رادّ إليك يوسف وأخاه ، ومعيد إليك ما ذهب من مالك ولحمك ودمك ، ورادّ إليك بصرك ، ومقوم لك ظهرك ، وطب نفساً ، وقُرّ عيناً ، وإنّما الذي فعلته بك كان أدباً مني لك ، فاقبل أدبي .. » .

(٢) تفسير الصافي : ١٢٠ [٣/٤٦٦] في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾

وقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله انّه قال : « رأيت الخير كُلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس »[١] .

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال : « إذا أراد أحدكم أنْ لا يسأل ربّه شيئاً إلّا أعطاه ، فلييأس من الناس كلّهم ، ولا يكون له رجاء إلّا من عند الله ، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلّا أعطاه »[٢] .

⇐ [سورة النساء (٤) : ١٢٥] عن الصادق عليه السلام : « إنّ إبراهيم عليه السلام كان أبا أضياف ، وكان إذا لم يكونوا عنده يخرج يطلبهم ، وأغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب الأضياف ، وأنّه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار . فقال : يا عبدالله ! بإذن مَن دخلت هذه الدار ؟ فقال : دخلتها بإذن ربّها ـ يردّد ذلك ثلاث مرات ـ فعرف إبراهيم عليه السلام أنّه جبرئيل ، فحمد ربّه ، ثم قال : أرسلني ربّك إلى عبد من عبيده يتّخذه خليلاً ، قال إبراهيم عليه السلام : فأعلمني من هو أخدمه حتى أموت ؟ قال : فأنت . قال : وبمَ ذلك ؟ قال : لأنّك لم تسأل أحداً شيئاً قطّ ، ولم تسأل شيئاً قطّ ، فقلت : لا » .

(١) وسائل الشيعة ٢/٤٧٥ باب ٦٦ حديث ٣ [ط ج ١١/٣٢١ باب ٤٧] عن معمر عن الزهري قال : قال عليّ بن الحسين عليه السلام : « رأيت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس » .

(٢) وسائل الشيعة ٢/٤٨٥ باب وجوب محاسبة النفس ٩٤ حديث ٢ [ط ج ١١/٣٧٧ باب ٩٦] عن حفص بن غياث قال : قال أبو عبدالله عليه السّلام : « إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله شيئاً إلّا أعطاه ، فلييأس من الناس كلّهم ، ولا يكون له رجاء إلّا من عند الله جَلّ ذكره ، فإذا علم الله ـ جَلّ وعزّ ـ ذلك من قلبه ، لم يسأل الله شيئاً إلّا أعطاه ، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا عليها ، فإنّ للقيامة خمسين موقفاً ، كل موقف مقداره ⇐

وعليك بملاحظة الدعاء الثالث عشر من أدعية الصحيفة [السجاديّة] في طلب الحـوائج الى الله عزّ وجلّ والتفكّر فيه وقراءته ، حتى يـتبيّن لك صحّة ما ذكرته لك من مرجوحيّة تسبيب الأسباب[1] .

⇐ ألف سنة . ثم تلا قوله تعالى ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [سورة السجدة (٣٢) : ٥] .

راجع روايات الباب تجدها متضافرة بهذا المعنىٰ .

(١) الصحيفة السجادية الأولى دعاء في طلب الحوائج [١١٥/٥ دعاء ٤٢] ، [الصحيفة السجادية الكاملة : ٨٤ ـ ٨٦ ، واخرجه عنه في بحار الأنوار ١٣٢/٩٤] وهو هـذا : « اللهم يا منتهىٰ مطلب الحاجات ، ويا من عنده نيل الطلبات ، ويا من لا يبيع نعمه بالأثمان ، ويا من لا يكدر عطاياه بالامتنان ، ويا من يُسْتَغْنَىٰ به ولا يُسْتَغْنَىٰ عنه ، ويا من يُرْغَب إليه ولا يرغب عنه ، ويا من لا تُفْني خزائنَه المسائل ، ويا مـن لا تـبدّل حكمته الوسائل ، ويا من لا تنقطع عنه حوائج المحتاجين ، ويا مـن لا يـعنّيهِ دعـاء الداعين . تمدّحت بالغناء عن خلقك وأنت أهل الغنى عنهم ، ونسبتهم إلى الفقر وهم أهل الفقر إليك ، فمن حاول سدّ خلّته من عندك ، ورام صرف الفقر عن نفسه بك ، فقد طلب حاجته [خ . ل : في] من مظانّها ، وأتى طلبته من وجهها . ومن توجّه بحاجته إلى أحد من خلقك ، أو جعله سبب نجحها دونك ، فقد تعرّض [منك] للحرمان ، واستحقّ من عندك فوت الإحسان .

اللّهم ولي إليك حاجة قد قصر عنها جهدي ، وتقطّعت دونهـا حـيلتي [خ . ل : حيلي] وسوّلت لي نفسي رفعها إلى من يرفع حوائجه إليك ، ولا يستغني في طلباته عنك ، وهي زلّة من زلل الخاطئين ، وعثرة من عثرات المذنبين . ثم انتبهت بتذكيرك لي من غفلتي ، ونهضت بتوفيقك من زلّتي ، ونكصت بتسديدك عـن عـثرتي ، وقـلت سبحان ربّي كيف يسأل محتاج محتاجاً ، وأنّىٰ يرغب معدم إلى معدم . فقصدتك ـ يا إلهي ⇐

ومنها :

القناعة

فعليك بنيّ بها ، فإن فيها عزّ الدارين ، وراحة البدن ، وذلك أنك إنْ تركتها فربّما التجأت إلى ارتكاب ما ينقصك عند العباد في الدّنيا وما يوقعك في العذاب في الآخرة ، وإلى التعب والعناء .

ولا أريد بالقناعة الاقتار والضيق على العيال حتّى مع اليسار ، فإنّ ذلك خلاف التوسعة المندوبة[١] ، بل قد يكون تركاً لأداء ميزان نفقتهم

⇐ ـ بالرغبة ، وأوفدت عليك رجائي بالثقة بك ، وعلمت أنّ كثير ما أسألك يسير في وجدك [جهدك] ، وأنّ خطير ما أستوهبك حقير في وسعك ، وأنّ كرمك لا يضيق عن سؤال أحد ، وأنّ يدك بالعطايا أعلى من كلّ يد .

اللّهم فصلّ على محمّد وآله ، واحملني بكرمك على التفضلّ ، ولا تحملني بعدلك على الاستحقاق ، فما أنا بأول راغب رغب إليك فأعطيتَه وهو يستحق المنع ، ولا بأولّ سائل سألك فأفضلتَ عليه وهو يستوجب الحرمان .

اللّهم صلّ على محمّد وآله ، وكن لدعائي مجيباً ، ومن ندائي قريباً ، ولتضرّعي راحماً ، ولصوتي سامعاً ، ولا تقطع رجائي عنك ، ولا تبت سببي منك ولا توجّهني في حاجتي هذه وغيرها إلى سواك ، وتولّني بنجح طلبتي ، وقضاء حاجتي ، ونيل سؤلي ، قبل زوالي عن موقفي هذا بتيسيرك لي العسير ، وحسن تقديرك لي في جميع الأمور . وصلّ على محمّد وآله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبدها ، ولا منتهى لأمدها ، واجعل ذلك عوناً لي وسبباً لنجاح طلبتي إنّك واسع كريم . ومن حاجتي يا رب .. » ـ ثم تذكر حاجتك ـ ثم تسجد فتقول في سجودك : « فضلك آنسني ، وإحسانك دلّني ، فأسألك بك وبمحمّد وآله صلواتك عليهم أن لا تردّني خائباً » .

(١) وسائل الشيعة ٣/١٤١ باب استحباب التوسعة على العيال ٢٠ حديث ١ [ط ج

الواجبة ، بل المراد الرضا بالميسور ، والصرف بقدر المدخل ، فإنْ كنت ذا يسار فوسِّع على عيالك في النفقة والكسوة إلى حدّ لا يؤدّي إلى الإسراف والتبذير المحرَّمين ، وخذْ بالاقتصاد المطلوب في جميع الأمور ، حتى لا تُعَدَّ من أهل الدناءة والخسة ، ولا من أهل السرف والتبذير[1] ، وإنْ كنت من أهل الإعسار فاقنع بالميسور ، وآرضَ بالمقدّر ، ولا تكشف لأحد سِرَّك ،

⇐ ٢٤٨/١٥] ـ في حديث ـ عن أبي الحسن عليه السلام قال : « ينبغي إذا زيد في النعمة ، أن يزيد أُسَرَاءَه في التوسعة [خ . ل : السعة] عليهم » .

وحديث ٢ ص١٤٢ [خ . ل : ٢٤٨/١٥] عن علي بن الحسين عليه السلام قال : « أرضاكم عند الله أسبغكم [ن خ : أوسعكم] على عياله » .

وحديث ٧ ـ نفس المصدر ـ عن سعيد بن محمد عن مسعدة قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام : « إنّ عيال الرجل أُسَرَاؤه ، فمن أنعم الله عليه بنعمة فليوسّع على أسرائه ، فإن لم يفعل أوشك أن تزول النعمة » .

(١) إشارة إلى قوله تعالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قِواماً ﴾ [سورة الفرقان (٢٥) : ٦٧] ، انظر : وسائل الشيعة ١٤٣/٣ باب عدم جواز السرف والتقتير ٢٧ حديث ٣ [ط ج : ٢٦١/١٥ ـ ٢٦٢] محمد بن سنان عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزّوجلّ ﴿ وَالَّذِينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قِواماً ﴾ . قال : « القوام هو المعروف ؛ على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، على قدر عياله ومؤونته الّتي هي صلاح له ولهم ، لا يكلّف الله نفساً إلّا ما آتاها » .

وحديث ٦ ـ من الصفحة نفسها ـ عن العباس قال : استأذنت الرضا عليه السلام في النفقة على العيال ؟ فقال : « بين المكروهين » . قلت : لا أعرف المكروهين ؟ قال : « إنّ الله كره الإسراف وكره الإقتار ، فقال ﴿ وَالَّذِينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قِواماً ﴾ » .

ولا تظهر فقرك ، فإنّ الناس عبيد الدنيا ، فإذا اطلعوا على فقرك آستصغروك وأهانوك وآستذلّوك ، ولقد أجاد من قال :

خيار الناس من لزم القَنَاعَهْ   ولم يكشف لمخلوق قِنَاعَهْ
أفادتنا القناعة كل عزّ   ولا عزّ أعزّ من القناعهْ

ولقد جرّبْتُ بنيّ ـ صان الله تعالى ماء وجهك ـ فوجدت أنّ الكشف للمخلوق يزيد في الإعسار ، ويورث الذلّ والصغار ، ويُغضب الملك الجبّار . فإيّاك وأن تكشف لمخلوق سرّك وعسرك آستعطاءاً منه وآستعطافاً ، فإنّ الرزق مقدَّر مقسوم(١) ، قَسَّمَه حكيم على حسب حكمته واستصلاحه ، ولا يزيد ببذل ماء الوجه ، ولا ينقص بالعفة والتعزز(٢) ، بل

---

(١) أصول الكافي ٥/٨٠ باب الإجمال في الطلب حديث ١ عن أبي جعفر عليه السّلام قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع : ألا إنّ الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها ، فاتّقوا الله عزّوجلّ ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله . فإنّ الله تبارك وتعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسّمها حراماً ، فمن اتّقى الله عزّوجلّ وصبر أتاه الله برزقه من حلّه ، ومن هتك حجاب الستر وعجل فأخذه من غير حلّه ، قصر به من رزقه الحلال ، وحوسب عليه يوم القيامة » .

(٢) الكافي ٥/٨١ باب الإجمال في الطلب حديث ٩ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول : إعلموا علماً يقيناً أنّ الله عزّوجلّ لم يجعل للعبد ـ وإن اشتدّ جهده وعظمت حيلته وكثرت مكائدته ـ أن يسبق ما سمّي له في الذكر الحكيم ، ولم يحلّ من العبد في ضعفه وقلّة حيلته ، أن يبلغ ما سمّي له في الذكر الحكيم .

⇐

قد يكون الكشف للمخلوق شكاية من قاسم الأرزاق فيؤدي إلى غضبه في الدنيا بزيادة الإعسار ، وفي الآخرة بعذاب النّار .

ويرشدك إلى ذلك الأخبار(١) ؛ وكفاك منها قوله جلّ شأنه في

⇐ أيّها الناس ! إنّه لن يزداد آمرء نقيراً بحِذْقه ، ولم ينتقص آمرء نقيراً لحمقه . فالعالم لهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعته ، والعالم لهذا التارك له أعظم الناس شغلاً في مضرّته ، ورُبَّ مُنْعَمٍ عليه مستدرَج بالإحسان إليه ، ورُبَّ مغرور في الناس مصنوع له . فأفق أيّها السّاعي من سعيك ، وقصّر من عجلتك وانتبه من سِنَة غفلتك ، وتفكّر فيما جاء عن الله عزّوجلّ على لسان نبيّه صلّى الله عليه وآله ، واحتفظوا بهذه الحروف السبعة فإنها من قول أهل الحِجَى ، ومن عزائم الله في الذكر الحكيم ، أنه ليس لأحد أن يلقى الله عزّوجلّ بخلّة من هذه الخلال :

١ ـ الشرك بالله فيما افترض الله .

٢ ـ أو إشفاء غيض بهلاك نفسه .

٣ ـ أو إقرار بأمر يفعل غيره .

٤ ـ أو يستنجح إلى مخلوق بإظهار بدعة في دينه .

٥ ـ أو يسره أن يحمده الناس بما لم يفعل .

٦ ـ والمتجبّر المختال .

٧ ـ وصاحب الأبهة والزهو .

أيّها الناس ! إنّ السباع همّتها التعدّي ، وإنّ البهائم همّتها بطونها ، وإنّ النّساء همتهن الرجال ، وإنّ المؤمنين مشفقون خائفون وَجِلُون » .

جعلنا الله وإيّاكم منهم ، وقد ذكرنا الحديث بطوله لكثرة فوائده .

(١) وسائل الشيعة ٥٣٢/٢ باب استحباب الإجمال في الطلب ـ ١٢ ـ حديث ٧ [ط ج : ٢٨/١٢] عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلّى الله عليه ⇐

الحديث القدسي : « وعزّتي وجلالي لأقطعنَّ أمل كلّ مؤمّل يؤمّل غيري باليأس ، ولأكسونَّه ثوب المذلّة في الناس ، ولأُبْعِدَنَّه من فَرَجي وفضلي[1] » .

⇐ وآله ـ في حديث المناهى ـ قال : « مَنْ لم يرضَ بما قسمه الله له من الرزق ، وبثّ شكواه ولم يصبر ولم يحتسب ، لم ترفع له حسنة ، ويلق الله وهو عليه غضبان إلّا أن يتوب » .

(١) وسائل الشيعة ٤٤٧/٢ باب ١٢ حديث ١ [ط ج ١١/١٦٧] عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قرأ في بعض الكتب : « إن الله تبارك وتعالى يقول : وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي ، لأقطعنّ أمل كلّ مؤمل من الناس غيري باليأس ، ولأكسونّه ثوب المذلّة عند الناس ، ولأنحينّه من قربي ، ولأبعدنّه من فضلي ، أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ؟! ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ؟ فمن ذا الذي أمّلني النائبة فقطعته دونها ؟! ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني ؟ جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي ، وملأت سماواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي . ألم يعلم من طرقَتْه نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها غيري إلّا بعد إذني ؟ فما لي أراه لاهياً عنّي ، أعطيته بجودي ما لم يسألني ، ثم انتزعته عنه فلم يسألني ردّه وسأل غيري ؟! أفتراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أُسأَل فلا أجيب سائلي ، أبخيل أنا فيبخّلني عبدي ؟! أو ليس الجود والكرم لي ؟! أو ليس العفو والرحمة بيدي ؟! أو ليس أنا محلّ الآمال فمَنْ يقطعها دوني ؟! أفلا يخشى المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري ؟! فلو أنّ أهل السماوات وأهل الأرض أمّلوا جميعاً ، ثم أعطيت كل واحد منهم ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي عضو ذرّة ، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه . فيا بؤساً للقانطين من رحمتي ، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني » انتهى الحديث الشريف ، وإنما ذكرناه بطوله لتضمّنه معاني قدسيّة جليلة ، لعل الله أن يوفّقنا ⇐

ومنها :

الحيـاء

فإنّه من الصفات الحميدة والأخلاق المحمودة في الدّنيا والآخرة ، حتّى ورد عنهم عليهم السلام : « إنّ الحياء من الإيمان والإيمان في الجـنّة »[١] . وأن « الحياء والإيمان مقرونان ، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه »[٢] . وأنه « لا إيمان لمن لا حياء له »[٣] . وأنّ : « أربعاً مَنْ كنَّ فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدَّلها الله تعالى حسنات : الصدق ، والحياء ، وحسن الخـلق ، والشكر »[٤] .

وفي خبر آخر : « أداء الأمانة » بدل : « الشكر »[٥] .

⇐ وبعض الناظرين والمطالعين للعمل بـبعض مـضامينه ، والله سـبحانه وليّ التـوفيق والسداد .

(١) أصول الكافي ٢/١٠٦ حديث ١ بلفظه .

(٢) أصول الكافي ٢/١٠٦ حديث ٤ عن أحدهما عليهما السلام قال : « الحياء والإيمـان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه » .

(٣) أصول الكافي ٢/١٠٦ حديث ٥ بلفظه .

(٤) أصول الكافي ٢/١٠٧ حديث ٧ بلفظه .

(٥) وسائل الشيعة ٢/٢٢١ باب ١٠٤ حديث ٢ [ط ج ٨/٥٠٤] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « أربع من كنّ فيه كمل إيمانه ، وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك . قال : وهو الصدق ، وأداء الأمانة ، والحياء ، وحسن الخلق » .

وأخذه من أصول الكافي ٢/١٠٠ حديث ٥ .

ومنها :

حسن الخلق

فعليك بنيّ ـ أحسن الله تعالىٰ إليك ـ به ، فإنّ فيه فوائد عظيمة في الدارين . وكفى في فضله مدح الله جلّ شأنه لأشرف المرسلين صلّى الله عليه وآله به[١] .

وقد ورد أنّه « نصف الدّين »[٢] ، و« أفضل ما أعطي المرء »[٣] ، وأنّه « ما يوضع [في ميزان آمرئ] يوم القيامة أفضل منه »[٤] ، وأنّ « لصاحبه أجر الصائم القائم »[٥] ، و« أجر المجاهد في سبيل الله »[٦] ، وأنّه « يميث

---

(١) وذلك قوله تعالىٰ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ سورة القلم (٦٨) : ٤ .

(٢) وسائل الشيعة ٢/٢٢١ باب ١٠٤ حديث ٢٧ [ط ج ٨/٥٠٧] عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « حسن الخلق نصف الدين » .

(٣) وسائل الشيعة ٢/٢٢١ باب ١٠٤ حديث ٢٨ [ط ج ٨/٥٠٨] عن علاقة بن شريك قال : قيل يا رسول الله (ص) ما افضل ما اعطي المرء المسلم ؟ قال : « الخلق الحسن » .

(٤) أصول الكافي ٢/٩٩ باب حسن الخلق حديث ٢ عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « ما يوضع في ميزان آمرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق » .

(٥) أصول الكافي ٢/١٠٠ حديث ٥ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم » .

(٦) أصول الكافي ٢/١٠١ حديث ١٢ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله ، يغدو عليه ويروح » .

الخطيئة كما تميث الشمس الجليد »[١] ، وأنه « يذيب الذنوب كما يذيب الماء الملح »[٢] ، وأن « أكثر ما تلج به هذه الامّة الجنّة تقوى الله ، وحسن الخلق »[٣] ، و« أنّ الله تعالىٰ ليستحي يوم القيامة من أن يطعم لحم حَسَن الخلق النار »[٤] ، وأنه « يزيد العمر »[٥] ، حتى ورد الأمر بحسن الخلق في مجالسة اليهودي أيضاً[٦] .

وقد وجدت بنيّ مِنْ حسن الخلق آثاراً غريبة ، ولله درّه عليه أفضل الصلاة والسلام في قوله : « إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم ، فسعوهم ببسط الوجه ، وحسن الخلق »[٧] .

---

(١) أصول الكافي ٢/١٠٠ حديث ٧ عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام .. بلفظه .

(٢) يعلم من الحديث المتقدم بتغيير يسير .

(٣) أصول الكافي ٢/١٠٠ حديث ٦ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله .. بلفظه .

(٤) وسائل الشيعة ٢/٢٢١ باب ١٠٤ حديث ٣١ [ط ج ٨/٥٠٨] عن أبي الحسن عليه السلام قال سمعته يقول : « ما حسّن الله خَلْق عبد ولا خُلُقه إلاّ استحى أن يطعم لحمه يوم القيامة النّار » .

(٥) أصول الكافي ٢/١٠٠ حديث ٨ عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « البرّ وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار » .

(٦) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٦٠ باب ٢ حديث ٣ [الطبعة المحققة ٨/٣١٦ حديث ٩٥٣٧] عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال : « صانع المنافق بلسانك ، وأخلص وُدكّ للمؤمن ، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته » .

(٧) أصول الكافي ٢/١٠٣ باب حسن البشر حديث ١ عن الحسن بن الحسين قال :

⇐

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « حسّن مع جميع الناس خلقك ، حتّى إذا غبت عنهم حنّوا إليك ، وإذا متّ بكوا عليك ، وقالوا : (إنّا لله وإنّا إليه راجعون) ، ولا تكن من الّذين يقال عند موتهم : (الحمد لله ربّ العالمين)[١] » .

وسُئل الصادق عليه السلام عن حدّ حسن الخلق ، فقال عليه السلام : « تلين جانبك ، وتطيّب كلامك ، وتلق أخاك ببشر حسن »[٢] .

وعنه عليه السلام أيضاً : « إنّ حسن الخلق مع المؤمنين هو بسط

⇐ سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا بني عبد المطلب ! إنّكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم فألقوهم بطلاقة الوجه ، وحسن البشر » .

وحديث ٤ ـ من الصفحة نفسها ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ما حدّ حسن الخلق ؟ قال : « تلين جناحك ، وتطيب كلامك ، وتلقى أخاك ببشر حسن » .

(١) وسائل الشيعة ٢٢٧/٢ باب استحباب مداراة الناس ـ ١٢١ ـ حديث ٨ [ط ج ٥٤١/٨] عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لمحمد بن الحنفية قال : « .. وأحسن إلى جميع الناس كما تحبّ أن يحسن إليك ، وارض لهم ما ترضاه لنفسك ، واستقبح لهم ما تستقبحه من غيرك ، وحسّن مع الناس خلقك حتى إذا غبت عنهم حنّوا إليك ، وإذا متّ بكوا عليك وقالوا (انّا لله وانا إليه راجعون) ، ولا تكن من الذين يقال عند موته (الحمد لله رب العالمين) . واعلم أن رأس العقل ـ بعد الايمان بالله عزّوجلّ ـ مداراة الناس ، ولا خير فيمن لا يعاشر بالمعروف مَنْ لابد من معاشرته حتّى يجعل الله إلى الخلاص منه سبيلاً ، فإنّي وجدت جميع ما يتعايش به الناس وبه يتعاشرون ملء مكيال ؛ ثلثاه إستحسان ، وثلثه تغافل » .

وفي خبر آخر : « ثلثاه فطنة ، وثلثه تغافل » .

(٢) أصول الكافي ١٠٣/٢ حديث ٤ بلفظه .

الوجه والبشرة لهم ، ومع المخالف التكلم بالمداراة لاستجذابه إلى الايمان ، ومع اليأس من إيمانه فكفّ شرّه عن النفس وإخوانه[١] المؤمنين »[٢] .

وقال عليه السلام : « إنّ مداراة أعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه »[٣] .

وإيّاك بنيّ وسوء الخلق ، سيّما مع الأهل والعيال ، وقد ورد « أنّ سوء الخلق في النّار لا محالة »[٤] ، وأنّه يفسد الايمان كما يفسد الخلّ

---

(١) في الأصل : والإخوان .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٩١ باب ١٠٤ استحباب مداراة الناس حديث ٣ [الطبعة المحققة ٩/٣٦ حديث ١٠١٣٦ ، و١٢/٢٦١ حديث ١٤٠٦١] عن أبي محمد العسكري عليهما السلام في تفسيره في قوله تعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً ﴾ ، قال الصادق عليه السلام قال : « قولوا للناس كلّهم حسناً مؤمنهم ومخالفهم ؛ أمّا المؤمنون فيبسط لهم وجهه ، وأمّا المخالفون فيكلّمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الايمان ، فإن استتر من ذلك يكفّ شرورهم عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين » .

(٣) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٩١ باب ١٠٤ استحباب مداراة الناس في آخر حديث ٣ [الطبعة المحققة ٩/٣٦ حديث ١٠١٣٦] قال الامام عليه السلام : « إنّ مداراة أعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه ، كان رسول الله صلّى الله عليه وآله في منزله إذ استأذن عليه عبدالله بن أبي سلول ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « بئس أخو العشيرة .. ائذنوا له » فأذنوا له ، فلمّا دخل أجلسه وبشر في وجهه ، فلمّا خرج قالت عائشة : يا رسول الله ! قلت فيه ما قلت ، وفعلت به من البشر ما فعلت ؟! فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « يا عويش ! يا حميراء ! إنّ شرّ النّاس يوم القيامة من يُكْرَم إتّقاء شره » .

(٤) وسائل الشيعة ٢/٢٢١ باب ١٠٤ إستحباب حسن الخلق مع جميع الناس حديث

العسل »[١] ، وأن سَعْداً شيَّعه سبعون ألف مَلَك ومع ذلك أصابته ضمّة القبر لسوء خلقه في أهله[٢] .

ومنها :

الحلم والعفو

فعليك بنيّ بهما ، فإنّ أهلهما يدخلون الجنّة بغير حساب ، وكفاهما شرفاً أنهما مما وصف الله سبحانه بهما نفسه ، وقصص الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في الحلم كثيرة ليس هنا محل ذكرها . وقد ورد أنّ الرجل لا يكون عابداً حتى يكون حليماً[٣] ، وأنّ الله يحب

⇐ ١٧ [ط ج ٧/٥٠٦] عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « عليكم بحسن الخلق ؛ فإنّ حسن الخلق في الجنّة لا محالة ، وإيّاكم وسوء الخلق ؛ فإن سوء الخلق في النار لا محالة » .

(١) أصول الكافي ٢/٣٢١ باب سوء الخلق حديث ٣ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ سوء الخلق ليفسد الايمان كما يفسد الخل العسل » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٣٨ باب تحريم سوء الخلق حديث ٤ [الطبعة المحققة ١٢/٧٤ حديث ١٣٥٤٨] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقيل : إنّ سعد بن معاذ قد مات .. إلى أن ذكر تجهيزه ودفنه ، ثم قال : فقالوا أمرت بغسله وصلّيت على جنازته ولحّدته ، ثم قلت : إنّ سعداً قد أصابته ضمّة . فقال صلّى الله عليه وآله : « نعم ، إنّه كان في خلقه مع أهله سوء » .

(٣) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٠٤ باب استحباب الحلم حديث ٤ [الطبعة المحققة ⇐

الحليم[١] ، وأنّ الحلم من صفات المؤمن[٢] ، وأنّ من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه ملأ الله تعالى قلبه يوم القيامة رضاً وأمناً وإيمـاناً[٣] ، ودعاه على رؤوس الخلائق حتّى يخيّره في أيّ حور العين شاء أخـذ منهن[٤] ، وأعطاه أجر شهيد[٥] ، وأنّه ما من جرعة يتجرّعها العبد أحبّ إلى الله تعالى

⇐ ٢٨٨/١١ حديث ١٣٠٤٤] عن الرضا عليه السلام أنّه قال لرجل من القمّيّين : « اتّقوا الله ، وعليكم بالصمت والصبر والحلم ؛ فإنّه لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً » . وقال : « ولا يكون عاقلاً حتّى يكون حليماً » .

(١) مشكاة الأنوار : ١٩٥ الفصل الحادي عشر في الحلم وكظم الغيظ ، حديث ١ عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنّ الله عزّوجلّ يحبّ الحييّ الحليم » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٣٠٤/٢ باب استحباب الحلم حـديث ٦ [الطـبعة المحـققة ٢٨٨/١١ حديث ١٣٠٤٦] عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « لا يكمل إيمان المؤمن حتّى تكون فيه ثلاث خصال ؛ حلم يردعه عن الجـهل ، وورع يحـجزه عـن المعاصي ، وكرم يحسن به صحبته » .

(٣) مستدرك وسائل الشيعة ٨٨/٢ باب استحباب كظم الغيظ حديث ١٤ [الطبعة المحققة ١٢/٩ حديث ١٠٠٥٩] عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمناً وايماناً » .

وقريب منه في وسائل الشيعة ٢٢٤/٢ باب استحباب كظم الغيظ ١١٤ حديث ٨ [ط ج ٥٢٤/٨] عن أبي عبدالله عليه السلام .

(٤) مستدرك وسائل الشيعة ٨٨/٢ باب استحباب كظم الغيظ حديث ١٥ [الطبعة المحققة ١٤/٩ حديث ١٠٠٦٩] عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : « من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، وخيّره أن يختار من الحور العين ما أراده » .

(٥) وسائل الشيعة ٢٢٤/٢ باب استحباب كظم الغيظ حديث ١٢ [ط ج ٥٢٥/٨] عن

من جرعة غيظ يتجرّعها عند تردّدها في قلبه ، إمّا بصبرٍ وإمّا بحلم[1] ، وأنّه ما من عبد كظم غيظاً الاّ زاده الله عزّوجلّ عزّاً في الدّنيا والآخرة ، واذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالىٰ الأوّلين والآخرين في صعيد واحد ، ثم ينادي منادٍ : أين أهل الفضل ؟ قال : فيقوم عنق من الناس فتلقّتهم الملائكة فيقولون : وما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنّا نصل مَنْ قطعنا ، ونعطي مَنْ حرمنا ، ونعفو عمّن ظلمنا . فيقال لهم : صدقتم .. أدخلوا الجنّة بغير حساب[2] ، وأنّ العفو زكاة الظفر[3] ، وأنّ أولى الناس بالعفو أقدرهم

⇐ الصادق عن آبائه عليهم السلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ في حديث المناهي ـ قال : « من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه وحلم عنه ، أعطاه الله أجر شهيد » .

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٨٧ باب استحباب كظم الغيظ حديث ٣ [الطبعة المحققة ٩/١١ حديث ١٠٠٥٧] عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال : « ما من جرعة يجرعها عبد أحبّ إلى الله من جرعة غيظ يردّدها في قلبه فردّها بصبر أو ردّها بحلم » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٨٧ باب استحباب كظم الغيظ حديث ٤ [الطبعة المحققة ٩/١١ ـ ١٢ حديث ٣(١٠٠٥٨)] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « ما من عبد كظم غيظاً إلّا زاده الله عزّوجلّ به عزاً في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران (٣) : ١٣٤] ، وآتاه الله تبارك وتعالى الجنّة مكان غيظه ذلك .

ولاحظ وسائل الشيعة ٢/٢٢٣ باب ١١٣ حديث ٢ [ط ج ٨/٥٢١] عن علي بن الحسين عليهما السلام . وليس فيه : بغير حساب .

(٣) نهج البلاغة ٣/٢٠٠ ـ ٢٠١ ضمن كلامه عليه السلام تحت ٢١١ بلفظه [طبعة

على العقوبة[١] ، وأنّ العفو لا يزيد العبد إلّا عزاً ، فاعفوا يعزّكم الله[٢] .

فعليك بنيّ بالعفو عمّن ظلمك حتّى يعفو عنك من ظلمته بمخالفته تعالى شأنه ، وتنال الرتب العالية المذكورة .

وإيّاك بنيّ ثمّ إيّاك والغضب ؛ فإنّه يكشف عن ضعف عقيدة المغضب ، وقد ورد أنّ الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخلّ أو الصبر العسل[٣] ؛ وأنه أحد أركان الكفر ، فإنّ أركانه أربعة : الرغبة ، والرهبة ، والسخط ، والغضب[٤] ، وأنّ « الغضب مفتاح كلّ شرّ »[٥] ، و« محق لقلب الحكيم »[٦] ، و« مَنْ لم يملك غضبه لم يملك عقله »[٧] ، وإنّ إبليس قال : الغضب رهقي ومصيادي ، وبه أصدّ خيار الخلق عن الجنّة وطريقها[٨] .

⇐ صبحي صالح : ٥٠٦] .

(١) وسائل الشيعة ٢/٢٢٣ باب ١١٢ حديث ٩ [ط ج ٨/٥٢٠] بتصرّف .

(٢) وسائل الشيعة ٢/٢٢٣ باب ١١٢ حديث ٢ [ط ج ٨/٥١٩] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « عليكم بالعفو ، فإنّ العفو لا يزيد العبد إلّا عزاً ، فتعافوا يعزّكم الله » .

(٣) أصول الكافي ٢/٣٠٢ باب الغضب حديث ١ بلفظه .

(٤) وسائل الشيعة ٢/٤٦٦ باب ٤٨ حديث ٢ بلفظه .

(٥) أصول الكافي ٢/٣٠٣ حديث ٣ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « الغضب مفتاح كلّ شرّ » .

(٦) أصول الكافي ٢/٣٠٥ حديث ١٣ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٢٦ باب ٥٣ وجوب تسكين الغضب حديث ١٠ [الطبعة المحققة ١٢/٩ حديث ١٣٣٦٧] بلفظه .

وقد ذكروا للغضب مسكِّنات :

فمنها : الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم[١] .

ومنها : ذكر الله سبحانه ؛ فقد ورد أنّه مكتوب في التوراة : « يـابن آدم ! آذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي ، فلا أمحقك فيمن أمحق ، وإذا ظُلمتَ بمظلمة فارضَ بانتصاري لك ، فإنّ انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك »[٢] .

ومنها : إن كان قائماً فليجلس ، وإن كان قاعداً فليضطجع أو ليقم[٣] .

---

(١) مجمع البيان ٥١٢/٤ في تفسير قوله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْـرِضْ عَـنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة الاعراف (٧) : ١٩٩] . قال ابن زيد : لما نزلت هذه الآية قال النبي صلّى الله عليه وآله : « كيف يا رب والغضب ؟ فنزل قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأعراف (٧) : ٢٠٠] .

وكيفيّتها تعلم من رواية معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام في الاستعاذة قال : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » .

انظر : وسائل الشيعة ٣٦٣/١ باب ٥٧ استحباب الاستعاذة في الصلاة حديث ٧ .

ورواية سماعة عن الصادق عليه السلام قال : سألته عن الرجل يقوم في الصـلاة فينسى فاتحة الكتاب ، قال : « فليقل « أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، انّ الله هـو السميع العليم » ثم ليقرأها ما دام لم يركع » .

وسائل الشيعة ٣٦٢/١ حديث ٣ .

(٢) وسائل الشيعة ٤٧٠/٢ باب ٥٣ وجوب ذكر الله عـند الغـضب حـديث ٣ [ط ج ٢٩١/١١ باب ٥٤] .

(٣) وسائل الشيعة ٤٧٠/٢ باب ٥٢ باب وجوب تسكين الغـضب حـديث ١٩ [ط ج

⇐

ومنها : تغيير المكان ؛ فإنّ الشيطان قال لموسى عليه السلام في تضاعيف نصايحه : إذا استولى عليك الغضب فغيّر مكانك ، وإلّا ألقيتك في الفتنة[١] .

ومنها : أن يتوضّأ ويغسل بالماء البارد[٢] .

ومنها : أن يمسّ المغضوب عليه جسد المغضب إنْ كان بينهما رحميّة ، فإنّ الرحم إذا مسّت سكنت[٣] .

ومنها : شرب الماء[٤] .

⇐ ٢٩٠/١١ باب ٥٣] عن أبي بصير عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام أنّه ذكر عنده الغضب فقال : « إنّ الرجل ليغضب حتّى ما يرضى أبداً ويدخل بذلك النّار ، فأيّما رجل غضب وهو قائم فليجلس ، فإنّه سيذهب عنه رجز الشيطان ، وإن كان جالساً فليقم ، وأيّما رجل غضب على ذي رحم فليقم إليه وليدن منه وليمسّه ، فإنّ الرحم إذا مسّت الرحم سكنت » [وسبقه في صفحة : ٢٨٧ حديث ٤ ، وأصول الكافي ٣٠٢/٢ حديث ٢] .

(١) وفي مستدرك الوسائل ١٥/١٢ حديث ١٣٣٨٣ عن القطب الراوندي في كتاب لب اللباب في حديث : .. ان ابليس قال لموسىٰ عليه السلام : واياك والغضب ، واذا غضبت فقل : « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » يسكن غضبك .

(٢) جامع السعادات ٢٩٦/١ فراجع .

(٣) أصول الكافي ٣٠٢/٢ باب الغضب حديث ٢ عن ميسر .

(٤) المحاسن للبرقي ص٥٧٢ حديث ١٥ [الطبعة الحجرية : ٥٧٢] عن أبي طيفور المتطبّب قال : نهيت أبا الحسن الماضي عليه السلام عن شرب الماء ، فقال عليه السلام : « وما بأس بالماء ، وهو يدير الطعام في المعدة ، ويسكّن الغضب ، ويزيد في اللّب ، ويطفي المرارة » . [وانظر : مكارم الأخلاق : ١٧٨ ، والكافي ٣٨٢/٦ وغيرها] .

ومنها : أكل الزبيب ؛ فإنّه يطفئ الغضب[1] .

ومنها : أن يقول « اللّهم أذهب عنّي غيظ قلبي ، [واغفر لي ذنبي] وأجرني من مضلّات الفتن ، [اسالك برضاك ، واعوذ بك من سخطك] أسألك جنّتك [واعوذ بك من نارك ، اسألك الخير كلّه] وأعوذ بك من الشرّ كله . اللّهم ثبّتني على الهدى والصواب ، واجعلني راضياً مرضيّاً غير ضالّ ولا مضلّ »[2] .

وقد ورد أنّ : من كف غضبه عن الناس أقاله الله نفسه يوم القيامة ، وستر الله عورته ، وأنّ له الجنة[3] .

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ١١٥/٣ بـاب ٦٣ حـديث ١ [الطـبعة المحـققة ٣٩٤/١٦ حديث ٢٠٢٩٦] عن زياد بن أبي هند قال : أهدي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله طبق مغطّى ، فكشف الغطاء عنه ثم قال : « كلوا بسم الله ، نعم الطعام الزبيب ، يشدّ العصب ، ويذهب بالوصب ، ويطفي الغضب ، ويُرضي الربّ ، ويذهب بالبلغم ، ويطيّب النكهة ، ويصفي اللون » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٣٢٦/٢ باب وجوب ذكر الله عـند الغـضب حـديث ٣ [الطبعة المحققة ٥٤/١٢ حديث ١٣٣٨٢] .

(٣) وسائل الشـيعة ٤٧٠/٢ بـاب ٥٢ وجـوب تسكـين الغـضب حـديث ١٧ [ط ج ٢٩٠/١١] عن أبي حمزة الثمالي : عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : « من كفّ نفسه عن أعراض الناس كفّ الله عنه عذاب يوم القيامة ، ومن كفّ غضبه عـن الناس أقاله الله نفسه يوم القيامة » .

وحديث ٩ من ص٤٦٩ ـ من المصدر ـ [ط ج ٢٨٨/١١] عن سيف بن عميرة عمّن سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول : « من كفّ غضبه ستر الله عورته » .

⇐

ومنها :

الإنصاف والمروّة

فعليك بهما..وإيّاك وتركهما،فإنّهما من المنجيات،وأنّ تركهما من المهلكات.

وورد أنّ : مَنْ لا مروّة له لا دين له[١] ، وأنّ أشد ما فرض الله على خلقه إنصاف الناس من النفس[٢] . والإنصاف أن ترضى للناس ، وتحب لهم ما تحب وترضى لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك .

⇐ ومستدرك وسائل الشيعة ٣٢٥/٢ باب ٥٣ وجوب تسكين الغضب حديث ٣ [الطبعة المحققة ١٧٢/١١ حديث ١٢٦٦٨ ، واورده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيه ٣٥٠/١ حديث ٨١٧ ، وايضاً ٢٣/٩ حديث ١٠٠٩٧ ، ١٦/١٢ حديث ١٣٣٥٩] عن علي بن أبي طالب روحي فداه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من أسبغ وضوءه ، وأحسن صلاته ، وأدّى زكاة ماله ، وكفّ غضبه ، وسجن لسانه ، وبذل معروفه ، واستغفر لذنبه ، وأدّى النصيحة لأهل بيتي ، فقد استكمل حقائق الايمان ، وأبواب الجنّة له مفتّحة » .

وفي صفحة : ٣٢٦ من المصدر حديث ١١ [الطبعة المحققة ٩/١٢ حديث ١٣٣٦٨] عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال : « من لم يغضب فله الجنّة ، ومن لم يحسد فله الجنّة » .

(١) مستمسك العروة الوثقى ٢١٤/٥ الطبعة الأولى .

(٢) أصول الكافي ١٤٥/٢ باب الانصاف والعدل حديث ٨ ، عن الحسن البزاز ، قال أبو عبدالله عليه السلام : « ألا أخبرك بأشدّ ما فرض الله على خلقه ؟ » قلت : بلى . قال : « إنصاف الناس من نفسك ، ومواساتك أخاك ، وذكر الله في كلّ موطن . أما إني لا أقول « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر » وإن كان هذا من ذاك ، ولكن ذكر الله جلّ وعزّ في كلّ موطن إذا هجمتَ [خ .ل : هممت] على طاعة أو على معصية » .

ومنها :

الوفاء بالوعد

فعليك بنيّ وفي الله تعالىٰ بعهده فيك ـ إذا وعدت بشيء أن تفي به ، لورود الأوامر الأكيدة في الكتاب والسنّة به .

ففي الكتاب المجيد : ﴿ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾[١] .

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إنّ مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفِ إذا وعد »[٢] . وعن الصادق عليه السلام : « إنَّ عِدَةَ المؤمن أخاه نذر لا كفارة له ، فمن أخلف فبخلف الله بدأ ، ولمقته تعرّض »[٣] .

وكفاه عظماً أنّ الله تعالى مدح نبيّه إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد[٤] . ولولا في ذمّ تركه إلاّ قوله تعالى ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ ﴾[٥] لكفىٰ .

وقد ورد أنّ إسماعيل عليه السلام وَعَدَ رجلاً أن ينتظره في مكان

---

(١) سورة الإسراء (١٧) : ٣ .

(٢) أصول الكافي ٢/٣٦٤ باب خلف الوعد حديث ٢ .

(٣) أصول الكافي ٢/٣٦٣ باب خلف الوعد حديث ١ ، وفي آخره قوله : « وذلك قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الصف (٦١) : ٢ و٣] .

(٤) سورة مريم (١٩) : ٥٤ ، قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَكانَ رَسُولاً نَبِيّاً ﴾ .

(٥) سورة الصف (٦١) : ٢ و٣ .

ونسي الرجل ، فانتظره سنة في ذلك المكان حتى أتاه الرجل[١] .

وزاد في خبر آخر : « أنّ الشمس آشتدّت عليه فلم ينتقل إلى الظّل خوفاً من الخلف » .

وفي خبر ثالث : « إنّ قُوْته في المكان الموعود كان جلد الشجر ولم يتيسّر له غيره » .

فكن بنيّ غفر الله لك ـ في الوفاء بالوعد كذلك ، وإنْ لم تقدر على ذلك فكن ما يقرب منه .

وإيّاك بنيّ وأنْ تعد بمالا تعلم بقدرتك على الوفاء به ، فإنّ خلف الوعد يشين الرجل ، ولقد أجاد مَنْ قال :

حَسَنٌ قبل (نعم) قولك (لا) وقبيح قول (لا) بعد (نعم)
إنّ (لا) بعد (نعم) فاحشة فَبِـ(لا) فابدأ إذا خفت الندم

ومنها :

السخاء

فعليك بنيّ به ، فإنه محمود العاقبة في الدنيا والآخرة ، وإنّ السخيّ

(١) أصول الكافي ١٠٥/٢ باب الصدق وأداء الأمانة حديث ٧ ، بإسناده إلى منصور بن حازم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّما سمّي اسماعيل : صادق الوعد ، لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة ، فسمّاه الله عزوجل : صادق الوعد ، ثم قال : انّ الرجل أتاه بعد ذلك ، فقال له إسماعيل : ما زلت منتظراً لك » .

عزيز في الدارين ، والبخيل ذليل في الدارين[١] . وكفاك في شرف السخاء أنّ حاتم لسخائه لا تؤثّر فيه نار جهنّم وإن كان فيها[٢] .

واعلم بنيّ أنّ البخل سواد الوجه في الدّارين[٣] ، ولكن لا تنس قوله

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٦٤٣/٢ باب ١٥ استحباب الجود والسخاء حديث ١٨ [الطبعة المحققة ٢٥٩/١٥ حديث ١٨١٧٩] عن الصادق عليه السلام قال : « أربع خصال يسود بها المرء : العفّة ، والأدب ، والجود ، والعقل » .

وحديث ١٦ قال صلّى الله عليه وآله : « إنّ الله خلق الجنة ثواباً لأوليائه فحفّها بالجود والكرم ، وخلق النّار عقاباً لأعدائه فحفّها باللؤم والبخل » .

وحديث ١٤ [الطبعة المحققة ١٣/٧ حديث ٧٥٠٩ ، ومثله ٧٥١٩ ، وكذا حديث ١٨١٧٥ من ٢٥٩/١٥] قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « السخيّ قريب من الله تعالىٰ ، قريب من الجنة ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله تعالىٰ ، بعيد من الجنة ، قريب من النار » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٦٤٣/٢ باب ١٥ استحباب الجود والسخاء حديث ٢٠ [الطبعة المحققة ٢٦٠/١٥ حديث ١٨١٨١] قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعدي بن حاتم : « إنّ الله دفع عن أبيك العذاب الشديد لسخاء نفسه » .

(٣) وسائل الشيعة ٥/٢ باب ٤ تحريم البخل والشحّ بالزكاة ونحوها حديث ٥ و٦ [ط ج ٢١/٦] قال الصادق عليه السلام في قول الله عزّوجلّ ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة البقرة (٢) : ٦٧] . قال : هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله عزّوجلّ بخلاً ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو بمعصية الله فإن عمل فيه بطاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرة وقد كان المال له ، وإن كان عمل به في معصية الله قوّاه بذلك المال حتّى عمل به في معصية الله عزّوجلّ » . قال : وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « ما محق الإسلام محق الشح » . ثم قال : « إنّ لهذا الشحّ دبيباً كدبيب

⇐

تعالى ﴿ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْط فَتَقْعُدَ مَلُوْماً مَحْسُوراً ﴾[١] فعليك بالقصد فيه والتوسط ، فإنّ خير الأمور أوسطها .

⇐ النمل ، وشعباً كشعب الشرك » .

وفي صفحة : ٦ حديث ١١ [ط ج ٦/٢٣ حديث ١٤] عن أبي سعيد الخدري قال : قال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : « خصلتان لا تجتمعان في مسلم : البخل ، وسوء الخلق » .

(١) سورة الاسراء (١٧) : ٢٩ .

الفصل الثالث

في جملة أخرى من الوصايا المتفرقة

أوصيك بنيّ ـ وفقك الله تعالى لكلّ خير وجنّبك من كلّ سوء وشرّ ـ بإخراج حُبّ الدنيا عن قلبك ، فإنه سُمّ ناقع ، وداء مهلك ، وقائدك إلى النّار ، ومبعّدك عن نيل ألطاف الملك الجبّار .

وطريق إخراج حبّها عن قلبك ؛ أن تتفكّر في أنّها لو كانت جيدة حسنة لاختارها أكمل العقلاء ـ وهم الأنبياء صلوات الله عليهم والأئمّة عليهم السلام ـ ولَمَا فرّوا منها فرارنا من الأسد ، ولَمَا أكّدوا التوصية بالفرار منها[1] .

---

(١) أصول الكافي ٢/٣١٥ باب حبّ الدنيا حديث ١ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « رأس كل خطيئة حبّ الدنيا » .

وحديث ٧ من الباب ص٣١٦ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القزّ ؛ كلّما ازدادت من القزّ على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً » .

وحديث ٨ ـ من الباب والصفحة نفسها ـ سئل علي بن الحسين عليهما السلام : أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : « ما من عمل بعد معرفة الله عزّوجلّ ومعرفة رسوله ⇐

وقد ذم الله حبّ الدنيا في آيات عديدة ، وفسرت في الأخبار بما يوضحها مثل قوله جلّ شأنه ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ حسنتْ في أعينهم ، وأشربتْ محبّتها في قلوبهم حتّى تهالكوا عليها ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا ﴾ من فقراء المؤمنين الّذين لا حَظَّ لهم منها ﴿ وَالَّذِيْنَ اتَّقَوا ﴾ من المؤمنين ﴿ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[1] لأنّهم في علّيّين في

⇐ أفضل من بغض الدنيا ، فإنّ لذلك شعباً كثيرة وللمعاصي شعباً ، فأوّل ما عصي الله به الكبر ، معصية إبليس حين ﴿ أبىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة (٢) : ٣٤]. ثم الحرص ، وهي معصية آدم وحواء عليهما السلام حين قال الله عزّوجلّ لهما : ﴿ كُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف (٧) : ١٩] فأخذا ما لا حاجة لهما إليه فدخل ذلك على ذريّتهما إلى يوم القيامة ، وذلك أنّ أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه . ثم الحسد ؛ وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله فتشعّب من ذلك حبّ النساء ، وحبّ الدنيا ، وحبّ الرئاسة ، وحبّ الراحة ، وحبّ الكلام ، وحبّ العلوّ والثروة ، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلّهنّ في حبّ الدنيا . فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة الله ذلك : حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة ، والدنيا دنياءان : دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة ».

وحديث ١٥ من الباب ص٣١٩ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه ، وشتّت أمره ، ولم ينل من الدنيا إلّا ما قسم الله له ، ومَنْ أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في قلبه ، وجمع له أمره ».

ومستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٣١ [الطبعة المحققة ١٢/٤٠ حديث ١٣٤٦٣] عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « أعظم الخطايا حبّ الدنيا ».

(١) سورة البقرة (٢) : ٢١٢ .

الكرامة ، وهم في سِجّين ، وفي الندامة(١) .

وتواترت الأخبار بذمّها ، والتحذير من حبّها ، حتى ورد أنّ حبّ الدنيا ينسي الآخرة ، وأنّ في طلبها إضراراً بالآخرة ، وفي طلب الآخرة إضراراً بها ، فانظر إلى أحقرهما ، وهوّن عليك الإضرار به(٢) ، وأنّهما ضرّتان لا تجتمعان(٣) ، أو هما كالمشرق والمغرب ، فبقدر ما تقرب من إحداهما تبعد من الأُخرى(٤) ، وهما كالماء والنار لا تجتمعان .

بل التأمّل الصادق يرشدك إلى أنّ حبّ الدنيا بمنزلة الشرك ، لأنّ حبّها يكشف عن عدم اليقين بالآخرة ، وعدم الاطمئنان بما ورد في الكتاب والسنّة ، وإلّا لم يكن يعقل حبّها بعد ما ورد من مضادّتها للآخرة .

فعليك بنيّ بالزهد فيها بترك حرامها خوفاً من العقاب ، وشُبُهَاتها

---

(١) تفسير الصافي : ٥٩ تجد هذه الجمل مذكورة هناك .

(٢) وسائل الشيعة ٢/٤٧٤ باب ٦٢ استحباب ترك ما زاد عن قدر الضرورة من الدنيا حديث ٢ [ط ج ١١/٣١٦ باب ٦٣] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « في طلب الدّنيا إضرار بالآخرة ، وفي طلب الآخرة إضرار بالدّنيا ، فأضرّوا بالدّنيا فإنّها أحقّ بالإضرار » .

(٣) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٣٠ [الطبعة المحققة ١٢/٣٨ حديث ١٣٤٥١] عن نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذمّ الدنيا ، والحثّ على طلب الآخرة « هما ضرّتان » أي الدّنيا والآخرة .

(٤) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٣١ [الطبعة المحققة ١٢/٣٧ حديث ١٣٤٥١] عن نهج البلاغة في ذمّ الدنيا قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : « وهما ـ أي الدنيا والآخرة ـ بمنزلة المشرق والمغرب ، وماش بينهما كلّما قرب من واحد بعد عن الآخر » .

حذراً من العتاب ، بل حلاها مهما أمكن فراراً من الحساب ، وترك مشتهيات النفس إلاّ ما كان له رجحان شرعاً كالنكاح .

واجعل نفسك قانعة بكلّ ما يتيسّر من المأكول ، وكلّ ما يتسهّل من الملبوس .

واجعل همّك في آخرتك ، فإنّك إنْ زهدت في الدنيا وفرغت نفسك من قيودها نلت راحة الدنيا ، ولذّة الآخرة .

وليس الزهد فيها هو الالتزام بعدم الأكل والشرب واللبس ، بل الرضا بالمقسوم منها ، والاقتصاد وعدم الإسراف عند السعة . وقد ورد عن مولانا الصادق عليه السلام أنه : « ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ، ولا تحريم الحلال ، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله عزّوجلّ »[١] .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : « إنّ الزهد في الدنيا قصر الأمل ، وشكر كلّ نعمة ، والورع عن كلّ ما حرّم الله عزّوجلّ »[٢] .

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٣١ [الطبعة المحققة ١٢/٥١ حديث ١٣٤٨٨] عن أبي عبدالله عليه السلام .. نقلاً بالمعنى ، فراجع .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٣٢ باب استحباب الزهد حديث ١٧ [الطبعة المحققة ١٢/٤٦ حديث ١٣٤٨٠] عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « الزهد ثروة ، والورع جُنّة ، وأفضل الزهد إخفاء الزهد . الدهر يُخْلِق الأبدان ، ويجدد الآمال ، ويقرّب المنيّة ، ويباعد الأُمنيّة ، من ظفر به نصب ، ومن فاته تعب ، ولا كرم كالتقوى ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا زهد كالزهد في الحرام . الزهد كلّه ⇐

وعليك بنيّ بالتوسّل بـالنبيّ وآله صـلّى الله عـليه وآله ، فـإنّي قـد آستقصيت الأخبار فوجدت أنه ما تاب الله على نبيّ من أنبيائه ـ ممّا صدر منه من الزلّة ـ إلّا بالتوسّل بهم .

وقد ورد[1] أنّ : « الله تعالى لمّا خلق آدم عليه السلام نقل أشـباح محمّد وآله المعصومين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين من ذروة العرش إلى ظهره ، وكان أمره الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام إذ كان وعاء تلك الأشباح ، فكان سجودهم عبوديّة له تـعالى وتـعظيماً لمحـمّد وأهـل بـيته صلوات الله عليهم أجمعين وطاعة لآدم عليه السلام ، وأنه قال الله تـعالىٰ لآدم عليه السلام لمّا سأله عنهم : « إنّ هؤلاء خيار خليقتي ، وكرام بريّتي ، بهم آخذ ، وبهم أعطي ، وبهم أعاقب ، وبهم أثيب ، فتوسّل بهم [إليّ] ـ يا آدم ـ وإذا دهتك داهية فاجعلهم لي[2] شفعاءك ، فإنّي آليت على نفسي قسماً حقّاً أنْ لا أخيّب بهم آملاً ، ولا أردّ بهم سائلاً » ، فلذلك حين زلّت منه الخطيئة دعا الله عزّوجلّ بهم فتاب تعالى عليه وغفر له .

⇐ بين كلمتين ، قال الله تعالى ﴿ لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَلاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ ﴾ [سورة الحديد (٥٧) : ٢٣] ، فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي ، فقد أخذ الزهد بطرفيه . أيها الناس الزهادة قصر الأمل ، والشكر عند النعم ، والورع عند المحارم ، فإن عزب عنكم [عرف ذلك عنكم] ، فلا يغلب الحرام صبركم . ولا تنسوا عند النعم شكركم ، فقد أعذر الله إليكم بحجج مسفرة ظاهرة ، وكتب بارزة العذر واضحة » .

(١) تفسير الصافي : ٢٧ [١ / ١٠٠ ـ ١٠١] في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذْ قُلْنَا للـمَلاَئِكَةِ اَسْجُدُوا لِآدَمَ ... ﴾ [سورة البقرة (٢) : ٣٤] ، تجد الحديث بتفصيله .

(٢) خ . ل : إليّ .

وكذلك من بعده يعقوب[١] ، ويوسف[٢] ، وغيرهما[٣] ولم ينجُ منهم

(١) تفسير مرآة الأنوار : ٢٢١ في مادّة يعقوب قوله : وسيأتي في سورة يوسف ، أنّ يعقوب توسّل بالنبي صلّى الله عليه وآله فوجد آبنه .

(٢) تفسير الصافي : ٢٤٢ [١١/٣] في تفسير آية ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ... ﴾ [سورة يوسف (١٢) : ١٩] ، عن الصادق عليه السلام : « لمّا طرح إخوة يوسف يوسف في الجب ، أتاه جبرئيل عليه السلام فدخل عليه فقال : يا غلام ! ما تصنع هاهنا ؟ فقال : إنّ إخوتي ألقوني في الجبّ . قال : أفتحبّ أن تخرج منه ؟ قال : ذاك إلى الله عزّوجلّ إنْ شاء أخرجني . قال : فقال له : إنّ الله يقول لك : أدعني بهذا الدعاء حتى أخرجك من الجبّ . فقال له : وما الدعاء ؟ قال : قل « اللهمّ إنّي أسألك بأنّ لك الحمد ، لا إله إلاّ أنت المنّان ، بديع السماوات والأرض ، ذو الجلال والإكرام أن تصلّي على محمّد وآل محمّد ، وأن تجعل لي ممّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً » [وزاد القمي « وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب »] .

(٣) كما جاء في تفسير الصافي : ٢٧ [١٠١/١] في تفسير آية ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ... ﴾ [سورة البقرة (٢) : ٣٤] . عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : حدّثني أبي عن أبيه عليهما السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « يا عباد الله ! إنّ آدم عليه السلام لمّا رأى النور ساطعاً في [من] صلبه ـ إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره ـ رأى النور ولم يتبيّن الأشباح ، فقال : « يا ربّ ! ما هذه الأنوار » ؟ فقال عزّوجلّ : « أنوار وأشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك ، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك ، إذ كنت وعاءاً لتلك الأشباح » . فقال آدم : « يا ربّ ! لو بيّنتها لي » . فقال الله عزّوجلّ : « انظر يا آدم إلى ذروة العرش .. [فنظر آدم عليه السلام ، ووقع نور اشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش] ، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان على المرآة الصافية ، فرأى أشباحنا ،

⇐

. . . .

⇐ فقال : ما هذه الأشباح يا رب ؟ قال الله : « يا آدم ! هذه أشباح أفضل خلائقي وبريّاتي ، هذا محمّد ؛ وأنا الحميد المحمود في فعالي شققت له آسماً من آسمي ، وهذا عليّ ؛ وأنا العليّ العظيم شققت له آسماً من آسمي ، وهذه فاطمة ، وأنا فاطر السماوات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي ، وفاطم أوليائي عمّا يعتريهم [يعيرهم] ويشينهم ، فشققت لها آسماً من آسمي ، وهذا الحسن وهذا الحسين ؛ وأنا المحسن المجمل شققت آسميهما من آسمي .. هؤلاء خيار خليقتي ، وكرام بريّتي ، بهم أعطي ، وبهم أعاقب ، وبهم أثيب . فتوسّل بهم إليّ يا آدم ، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعاءك ، فإنّي آليت على نفسي قسماً حقاً أن لا أخيّب بهم آملاً ، ولا أردّ بهم سائلاً . فلذلك حين زلّت منه الخطيئة دعا الله عزّوجلّ بهم فتاب عليه .

وفي صفحة : ٢٩ [١/١٠٦] في تفسير قوله تعالى ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ﴾ [سورة البقرة (٢) : ٣٧] قال : وفي تفسير الإمام عليه السلام : « لما زلّت من آدم الخطيئة واعتذر إلى ربّه عزّوجلّ ، قال : يا ربّ ! تُب عليّ ، واقبل معذرتي ، وأعدني إلى مرتبتي ، وارفع لديك درجتي ، فلقد تبيّن نقص الخطيئة وذلّها بأعضائي وسائر بدني ، قال الله تعالىٰ : « يا آدم ! أمَا تذكر أمري إيّاك بأن تدعوني بمحمّد وآله الطيّبين عند شدائدك ودواهيك وفي النوازل التي تبهضك » . قال آدم عليه السلام : « يا رب ! بلى » . قال الله عزّوجلّ : « فبهم ـ بمحمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) ـ خصوصاً فادعني أجيبك إلى ملتمسك ، وأزدك فوق مرادك » فقال آدم : « يا إلهي ! وقد بلغ عندك من محلّهم ، إنّك بالتوسّل بهم تقبل توبتي ، وتغفر خطيئتي ، وأنا الذي سجدت له ملائكتك ، وأبحته جنّتك ، وزوّجته حواء أمتك ، وأخدمته [كرام] ملائكتك . قال الله تعالى : « يا آدم ! إنّما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود لك إذ كنت وعاء هذه الأنوار ، ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن اعصمك منها ، وأن أفطنك لدواعي عدوك

⇐

. . . .

⇐ إبليس حتى تحترز منها لكنت قد فعلت [جعلت] ذلك ، ولكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقاً لعلمي ، فالآن فبهم فادعني لأجيبك ، فعند ذلك قال آدم : « اللهمّ بجاه محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيّبين من آلهم لمّا تفضّلت بقبول توبتي ، وغفران زلّتي ، وإعادتي من كرامتك إلى مرتبتي » . فقال الله عزّوجلّ : « قد قبلت توبتك ، وأقبلت برضواني عليك ، وصرفت آلائي ونعمائي إليك ، وأعدتك إلى مرتبتك من كراماتي ، ووفّرت نصيبك من رحماتي ، فذلك [فلذلك] قوله عزّوجلّ ﴿ وتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التوّاب الرحيم ﴾ .

ومنهم إبراهيم عليه السلام ؛ كما جاء في تفسير الصافي صفحة : ٣٢١ [٣//٣٤٤] في تفسير قوله تعالى ﴿ يا نارُ كُونِي بَرْداً وسَلاماً عَلىٰ إبْرَاهِيمَ ... ﴾ [سورة الأنبياء (٢١) : ٦٩] عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إنّ ابراهيم عليه السلام لمّا ألقي في النّار قال : « اللّهم إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما أنجيتني منها » فجعلها الله عليه برداً وسلاماً » .

ومنهم موسى عليه السلام ؛ كما اورده الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي صفحة : ٣١٣ [٣/٣١٢] في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى ﴾ [سورة طه (٢٠) : ٦٨] عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إنّ موسى (ع) لمّا ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال : « اللهم إني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما آمنتني » . قال الله عزّوجلّ : ﴿ لاٰ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الاَعْلىٰ ﴾ .

ومنهم بني إسرائيل ؛ كما قاله الفيض في تفسير الصافي : صفحة : ٣٢ [١/١١٧ ـ ١١٨] في تفسير قوله تعالى ﴿ ... يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلىٰ بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة (٢) : ٥٤] : .. فأوحى الله إلى موسى « يا موسى ! إنّي انّما امتحنتهم بذلك

⇐

ناجٍ إلاّ بالتوسّل بهؤلاء الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين .

وعليك بنيّ بإقامة عزاء أبي عبدالله عليه السلام في كلّ يوم وليلة مرة حسب مقدورك ، حتّى أنّه إنْ لم يتيسّر لك مؤنتها ، ولم تقدر إلاّ على قراءة كتاب التعزية لعيالك في اليوم والليلة مرة فافعل ، فإنه عزيز الله تعالى ، لوصوله في الإطاعة الى درجة تفرّد بها ، فبذل نفسه وماله وعياله كلّها في سبيله تعالى ، وفي التوسّل به خير الدارين ، وفوز النشأتين[١] .

⇐ لأنهم ما اعتزلوهم لمّا عبدوا العجل ، ولم يهجروهم ، ولم يعادوهم على ذلك ، قل لهم : من دعا الله بمحمّد وآله الطاهرين الطيّبين ، يسهّل عليه قتل المستحقين للقتل بذنوبهم .. » فقالوها فسهل الله عليهم ، ولم يجدوا لقتلهم ألَمَاً ، فلمّا استحم [استحر] القتل فيهم ـ وهم ستمائة ألف إلاّ آثني عشر ألفاً ـ أوقف [وقف] الله الذين عبدوا العجل بمثل هذا التوسل ، فتوسّلوا بهم ، واستغفروا لذنوبهم ، فأزال الله القتل عنهم .

(١) ليت شعري وهل يشك ذو فطرة سليمة ، وطهارة أرومة ، أنّ التوسّل بسيّد شباب أهل الجنّة موجب لنيل الآمال ، وقضاء الحاجات ، وقد ظهر من آيات التوسّل به عليه السلام للكافرين ما جعلهم يتوسّلون به ، ويقيمون عزاه ، ويقدّسون مقامه ، ويتبرّكون به ، ما يغني عن النظر إلى المعاجز والكرامات التي ظهرت بما لا تحصى عدداً للموالين والمحبّين من شيعة أهل البيت الطاهرين ، رفع الله شأنهم وأذل عدوهم .

وقد وردت نصوص كثيرة من أهل بيت العصمة والطهارة ـ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ـ بالحثّ على ذلك : والأمر بالتوسّل بشهيد كربلاء وزيارته ، وإحياء أمره ، ونشر فضائله ، وإعلان مظلوميّته . وكفاك منها ما رواه محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فإنّ إتيانه يزيد في الرزق ، ويمدّ في العمر ، ويدفع مدافع السوء ، وإتيانه مفروض على كلّ ⇐

وعليك بنيّ بزيارته عليه السلام في كلّ يوم من بُعد مرّة[1] ، والمضيّ إليه في كل شهر مرة[2] ، ولا أقل من زيارته في الوقفات

⇐ مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله » . راجع وسائل الشيعة ٢/٣٩٤ باب ٤٤ حديث ٤ [ط ج ١٠/٣٤٦] .

وما رواه بكر بن محمد عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال للفضيل : « تجلسون وتتحدّثون ؟ فقال : نعم . فقال : انّ تلك المجالس أحبّها ، فأحيوا أمرنا ، رحم الله من أحيىٰ أمرنا . يا فضيل ! من ذَكَرَنا أو ذُكِرْنا عنده ففاضت عيناه ـ ولوْ مثل جناح الذباب ـ غفر الله له ذنوبه » . وسائل الشيعة ٢/٤٠٢ باب ٦٨ حديث ٢ [ط ج ١٠/٣٩٢ باب ٦٦] .

وما رواه الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ما تقول في من ترك زيارة الحسين عليه السلام وهو يقدر على ذلك ؟ قال : « إنه عَقَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وعقّنا واستخفّ بأمر [خ . ل : بأمرين] هو له ، ومن زاره كان الله له من وراء حوائجه ، وكفى ما أهمه من أمر دنياه ، وأنّه يجلب الرزق على العبد ويخلف عليه ما ينفق » .. إلى آخر الحديث . انظر : وسائل الشيعة ٢/٣٩٢ باب ٣٨ حديث ٢ [ط ج ١٠/٣٣٤] فراجع .

(١) لما في زيارته من الأجر الجزيل ، والثواب العظيم ، وكفاك ما قد ورد في الحديث عن طاووس عن ابن عبّاس عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه أخبره بقتل الحسين عليه السلام .. إلى أن قال : « من زاره عارفاً بحقّه ، كتب الله له ثواب ألف حجّة ، وألف عمرة ، ألا ومن زاره فقد زارني ، ومن زارني فكأنّما [خ . ل : فقد] زار الله ، وحقّ على الله أن لا يعذّبه بالنّار ، ألاْ وإنّ الإجابة تحت قبته ، والشفاء في تربته ، والأئمّة من ولده » . راجع وسائل الشيعة ٢/٣٩٥ باب ٤٥ استحباب زيارة الحسين عليه السلام على الحج والعمرة المندوبين حديث ١٦ [ط ج ١٠/٣٥٢] .

(٢) وسائل الشيعة ٢/٣٩٣ باب ٤٠ استحباب تكرار زيارة الحسين بقدر الإمكان

السبع[1] ، وإنْ كنت في بلدة بعيدة ففي السنة

⇐ حديث ٤ [ط ج ١٠/٣٤١] عن داود بن فرقد ، قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ما لمن زار الحسين عليه السلام في كلّ شهر من الثواب ؟ قال : « له من الثواب ثواب مائة ألف شهيد [خ . ل : و] مثل شهداء بدر » .

(١) الوقفات السبع هي :

١ ـ زيارة ليلة عاشوراء ويومها : وقد ورد في فضل زيارته عليه السلام ـ كما في وسائل الشيعة ٢/٣٩٨ باب ٥٥ في تأكّد استحباب زيارة الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء ، حديث ٥ [ط ج ١٠/٣٧٢] ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من زار الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء من المحرّم حتى يظل [خ . ل : يبقى] عنده باكياً ، لقي الله عزّوجل يوم يلقاه بثواب ألفي حجة ، وألفي عمرة ، وألفي غزوة . وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله » .

وحديث ٣ ـ من الباب والصفحة نفسها ـ عن جابر الجعفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله يوم القيامة ملطّخاً بدمه كأنّما قتل معه في عرصة كربلاء » .

٢ ـ زيارة الأربعين : وقد جاء فيها ـ كما في وسائل الشيعة ٢/٣٩٨ باب ٥٦ تأكد استحباب زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين حديث ١ [ط ج ١٠/٣٧٣] ـ عن الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال : « علامات المؤمن خمس : صلاة إحدىٰ وخمسين ، وزيارة الأربعين ، والتختّم في اليمين ، وتعفير الجبين ، والجهر بـ ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴾ » .

٣ ـ زيارة أوّل يوم من رجب : وقد جاء فيها ـ كما في وسائل الشيعة ٢/٣٩٧ باب ٥٠ تأكّد استحباب زيارة الحسين عليه السلام في أول رجب ، حديث ١ [ط ج ⇐

. . . .

⇐ ٣٦٣/١٠] ـ عن بشير الدهان عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : « من زار قبر الحسين عليه السلام أوّل يوم من رجب ، غفر الله له ألبتة » .

٤ ـ زيارة النصف من رجب : وقد ورد فيها ـ كما في وسائل الشيعة ٣٩٧/٢ باب ٥٠ تأكّد زيارة الحسين عليه السلام في أوّل يوم من رجب وفي النصف منه ، حديث ٤ [ط ج ٣٦٤/١٠ حديث ٢] ـ عن محمد بن أبي نصر ، قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام : أيّ الأوقات أفضل أن نزور ؟ [خ . ل : أي شهر تزور الحسين عليه السلام ؟] قال : « في النصف من رجب ، والنصف من شعبان » .

أقول : هذه الرواية جاءت من الجمع بين روايتين ، فراجع .

٥ ـ زيارة النصف من شعبان : وقد روي فيها ـ كما في وسائل الشيعة ٣٩٧/٢ باب ٥١ تأكد زيارة الحسين عليه السلام في النصف من شعبان ، حديث ١ [ط ج ٣٦٥/١٠] ـ عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام : « من أحبّ أن يصافحه مائة [خ . ل : مائتا] ألف نبيّ وعشرون ألف نبي فليزر قبر الحسين بن علي عليهما السلام في النصف من شعبان فإنّ أرواح النبيّين تستأذن الله في زيارته فيؤذن لهم » .

٦ ـ زيارة ليلة عيد الفطر : وقد جاء فيها ـ كما في وسائل الشيعة ٣٩٨/٢ باب ٥٤ تأكّد استحباب زيارة الحسين عليه السلام ليلة الفطر وليلة الأضحى حديث ١ [ط ج ٣٧١/١٠] ـ عن عبدالرحمن بن الحجّاج قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « من زار قبر الحسين عليه السلام ليلة من ثلاث [خ . ل : ليال] غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر » . قلت : أيّ الليالي جعلت فداك ؟ قال : « ليلة الفطر ، وليلة الأضحى ، وليلة النصف من شعبان » .

وحديث ٢ ـ من الباب نفسه ـ عن يونس بن ظبيان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « من زار قبر الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة

⇐

مرة[1] . فإنّ مَنْ لاحظ الأخبار وواظب على ما ذكرت ، ورأى ما رأيته من الآثار ، لم يترك ما ذكرته لك ، ولقد شاهدت من زيارته وإقامة عزائه عليه السلام كرامات تبهر العقول ، وأقلّ ما وجدته منها أنه لم يتّفق لي أنّي زرته الاّ ووجدت فرجاً من أمري ، وسعة في رزقي ، وما عند الله تعالى خير

⇐ عرفة ، في سنة واحدة كتب له الله ألف حجّة مبرورة ، وألف عمرة متقبّلة ، وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة » .

٧ـزيارة يوم عرفة : وقد ورد فيها ـكما في وسائل الشيعة ٢/٣٩٦ باب ٤٩ تأكّد استحباب زيارة الحسين عليه السلام ليلة عرفة ، ويوم عرفة ، ويوم العيد ، حديث ١ [ط ج ١٠/٣٥٩]ـعن بشير الدهّان قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ربما فاتني الحجّ فأعرّف عند قبر الحسين عليه السلام : فقال : « أحسنت يا بشير ، أيّما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجّة ، وعشرين عمرة ، مبرورات مقبولات ، وعشرين حجّة ، وعشرين عمرة مع نبيّ مرسل ، أو إمام عادل ، ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة عمرة ، ومائة غزوة مع نبيّ مرسل ، أو إمام عادل » . قال : « ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقّه كتب الله له ألف حجّة ، وألف عمرة مبرورات متقبّلات ، وألف غزوة مع نبيّ مرسل ، أو إمام عادل » . قال : فقلت له : كيف لي بمثل الموقف ؟ قال : فنظر إليّ شبه المغضب ، ثم قال : « يا بشير ! المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة ، واغتسل بالفرات [خ . ل : من الفرات] ثمّ توجه إليه كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها » ، ولا أعلمه إلاّ قال : « وغزوة » [خ . ل : عمرة] .

(١) وسائل الشيعة ٢/٣٩٣ باب ٤٠ استحباب تكرار زيارة الحسين عليه السلام بقدر الإمكان ، حديث ١ [ط ج ١٠/٣٤٠] عن علي بن رئاب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « حقّ على الغنيّ أن يأتي قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام في السّنة مرّتين ، وحقّ على الفقير أن يأتيه في السنة مرّة » .

وأبقى[١] .

وعليك بنيّ ـ وفّقك الله تعالى لما يحبّ ويرضى ، ومَنَّ عليك بالعمر الطبيعي ـ بإكرام الشيوخ والعجائز ، فإنّ الله تعالى يدفع بهم البلاء عن عباده[٢] . وإيّاك وإسخاطهم ، ولقد وجدت من ذلك ما لا يسعني نقله .

وعليك بنيّ بالتناهي في إكرام الوالدين ، والبرّ بهما ، فإنه من أعظم ما ورد التأكيد به في الكتاب[٣] والسنة[٤] . وايّاك والمسامحة في ذلك ، وقد

---

(١) وبهذا جاء الحديث الشريف ـ كما في وسائل الشيعة ٢ / ٣٩٠ باب ٣٧ تأكّد استحباب زيارة الحسين بن علي عليهما السلام ووجوبها كفاية ، حديث ٨ [ط ج ١٠ / ٣٢١] ـ عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : « مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فإنّ إتيانه يزيد في الرزق ، ويمدّ في العمر ويدفع مدافع السوء ، وإتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ له بالإمامة من الله » .

(٢) لقد جاء في الحديث القدسي : « لولا شيوخ رُكَّع ، وأطفال رُضَّع ، وبهائم رُتَّع ، لصببت عليهمّ العذاب صبّاً » . والحديث المروي عن الوصافي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « عظّموا كبراءكم ، وصلوا أرحامكم » . وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم » . وقال صلّى الله عليه وآله : « من عرف فضل كبير لسنّه فوقّره ، آمنه الله من فزع يوم القيامة » ، وسائل الشيعة ٢ / ٢١٤ باب ٦٧ استحباب إجلال ذي الشيبة حديث ٨ و٩ [ط ج ٨ / ٤٦٧] .

(٣) لقوله عزّ من قائل : ﴿ وَقَضىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوٰالِدَيْنِ اِحْسٰاناً اِمّٰا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمٰا أَوْ كِلاٰهُمٰا فَلاٰ تَقُلْ لَهُمٰا أُفٍّ وَلاٰ تَنْهَرْهُمٰا وَقُلْ لَهُمٰا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمٰا جَنٰاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمٰا كَمٰا رَبَّيٰانِي صَغِيراً ﴾ [سورة الإسراء (١٧) : ٢٣ و٢٤] .

(٤) أصول الكافي ٢ / ١٥٧ باب البر بالوالدين حديث ١ عن أبي ولاد الحناط ، قال :

. . . .

⇐ سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ ما هذا الإحسان ؟ فقال : « الإحسان أن تحسن صحبتهما ، وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين . أليس يقول الله عزّوجلّ ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ؟ » [سورة آل عمران (٣) : ٩٢] قال : ثم قال أبو عبدالله عليه السلام : « وأمّا قول الله عزّوجلّ ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [الإسراء (١٧) : ٢٣] قال : إن أضجراك فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما إن ضرباك » . وقال : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾ . قال : « ان ضرباك فقل لهما : غفر الله لكما ، فذلك منك قول كريم . قال : ﴿ وَاخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ قال : لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلاّ برحمة ورقة ، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ، ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدّم قدّامهما » .

وفي صفحة : ١٥٨ حديث ٢ محمد بن مروان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « إنّ رجلا أتى النبي صلّى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ! أوصني . فقال : « لا تشرك بالله شيئاً وإن حُرِّقت بالنار وعُذِّبت إلاّ وقلبك مطمئن بالإيمان ، ووالديك فأطعمهما وبرّهما ، حيّين كانا أو ميّتين ، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل ، فإنّ ذلك من الايمان » .

وصفحة : ١٥٩ حديث ٧ عن محمد بن مروان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه ، حيّين وميّتين ؟ يصلّي عنهما ، ويتصدّق عنهما ، ويحجّ عنهما ، ويصوم عنهما ، فيكون الذي صنع لهما ، وله مثل ذلك فيزيده الله عزّوجلّ ببرّه وصلته خيراً كثيراً » .

وحديث ٩ ـ من الصفحة نفسها ـ عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ! من أبرّ ؟ قال :

⇐

روي عن أبي عبدالله عليه السلام [قال] : « إنّ يوسف عليه السلام لمّا قدم عليه الشيخ يعقوب عليه السلام دخله عزّ الملك ، فلم ينزل إليه من مركبه ، فهبط إليه جبرئيل عليه السلام فقال : « يا يوسف ! ابسط راحتك » فبسط ، فخرج منها نور ساطع ، فصار في جوّ السماء ، فقال يوسف عليه السلام : « يا جبرئيل ! ما هذا النور الذي خرج من راحتي ؟ » فقال : « نزعت النبوّة من عقبك ، عقوبة لمّا لم تنزل إلى الشيخ يعقوب عليه السلام ، فلا يكون في عقبك نبيّ »(١) .

[الحث على إكرام الفقهاء]

وعليك بنيّ بإكرام العاملين من الفقهاء رضوان الله عليهم ، فإنّهم أعلام الدين ، وأمناء الشرع المبين ، وهم نُوَّاب وليّ العصر عجّل الله تعالىٰ فرجه ، وجعلنا من كلّ مكروه فداه ، وهم هداة الخلق(٢) .

⇐ « أمّك » . قال : ثمّ من ؟ قال : « أمّك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمّك » . قال : ثم من ؟ قال : « أباك » .

(١) مجمع البيان ٥/٢٦٤ عن أبي عبدالله عليه السلام بلفظه ، فراجع .

(٢) لقوله تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل (١٦) : ٤٣] .
وفي أصول الكافي ١/٣٢ باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء ، حديث ٣ عن أبي البختري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ العلماء ورثة الأنبياء ، وذاك أنّ الأنبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنّما ورّثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً ، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه ، فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عُدُولاً ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

وأما مَنْ لم يعمل منهم بما علم ، ففرّ منه فرارك من الأسد ، فإنّه ليس بعالم بنصّ الإمام عليه السلام[١] ، وأنّه أضرّ على هذا الدين من جيش يزيد ابن معاوية عليه اللّعنة والهاوية[٢] .

[لزوم إكرام الذرّيّة الطاهرة]

وعليك بنيّ بإكرام الذرّية الطاهرة ، ذرّية عليّ وفاطمة صلوات الله عليهما ، وأنّ مودّتهم من الفرائض اللاّزمة ، لأنّها جُعلتْ ـ بنصّ الكتاب ـ أجر الرسالة المقدّسة[٣] . فأكرمهم حدّ مقدورك تُرضي بذلك الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله ، وتكسب بذلك خير الدنيا والآخرة[٤] .

---

(١) أصول الكافي ٤٤/١ باب استعمال العلم حديث ٢ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « العلم مقرون بالعمل ، فمَنْ علم عمل ، ومَنْ عمل علم ، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه ، وإلاّ ارتحل عنه » .

(٢) تفسير البرهان ١١٨/١ في خبر طويل ، في وصف علماء اليهود ومقارنتهم بعلماء المسلمين غير العاملين بعلمهم ، الواضعين للأحاديث ليستأكلوا بعلمهم . قال جعفر بن محمّد عليهما السلام ـ مشيراً إلى هذا الصنف ـ : « ... أولئك أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد بن معاوية عليه اللّعنة والعذاب على الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه ... ! » .

(٣) سورة الشورىٰ (٤٢) : ٢٣ قوله عزّ من قائل : ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيْهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُوْرٌ ﴾ .

(٤) مستدرك وسائل الشيعة ٤٠٠/٢ باب ١٧ [الطبعة المحققة ٣٦٧/١٢ حديث

⇐

ولا تقصر إكرامك على خيارهم ، لأنّهم ليسوا كالفقهاء يُسلب عنهم المنصب بعدم العمل ، وإنّما الثابت لهم النسب الغير المنتفي بالعصيان ، لا المنصب المنتفي بمخالفة الرحمان .

نعم إنْ كان ترك إكرام العاصي منهم نهياً فعليّاً له عن المنكر كان مقتضى القاعدة لزوم الترك من تلك الجهة ، وإنْ كان ما نقل من قضية أحمد ابن إسحاق الأشعري مع الحسين بن الحسن الفاطمي(١) يأبى عن ذلك

⇐ ١٤٣٣٩] تأكّد استحباب اصطناع المعروف إلى العلويين والسادات حديث ٨ ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال : « حقّت شفاعتي لمن أعان ذريّتي بيده ولسانه وماله » .. وقال صلّى الله عليه وآله : « أحبّوا أولادي ؛ الصالحون لله والطالحون لي » .

وحديث ٢١ ص٤٠٢ [الطبعة المحققة ٢٥٤/٧ حديث ٨١٨٠] عن عمران بن معقل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : « لا تَدَعوا صلة آل محمّد عليهم السلام من أموالكم ، مَنْ كان غنياً فعلى قدر غناه ، ومَنْ كان فقيراً فعلى قدر فقره ، ومَنْ أراد أن يقضي الله أهمّ الحوائج له ، فليصل آل محمّد عليهم السلام وشيعتهم بأحوج ما يكون إليه من ماله » .

وحديث ٢٠ [الطبعة المحققة ٣٨٢/١٢ حديث ١٤٣٥١] عن سليمان الغازي ، عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام قال : حدّثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر ابن محمّد ، عن أبيه محمّد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « أربعة أنا لهم شفيع ولو أتوا بذنوب أهل الأرض : الضارب بالسيف أمام ذرّيتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في مصالحهم عندما اضطرّوا إليه ، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه » .

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٤٠٠/٢ باب ١٧ [الطبعة المحققة ٣٧٥/١٢ حديث

أيضاً ، فالأَوْلى الإكرام صورة والنهي في الخلوة .

ولا ألزمك بإكرام غير الفاطمي من الهاشميين ـ كالعقيلية والعباسية ـ لأنهم ـ وإنْ كانوا شرفاء نسباً ـ إلاّ أن إكرامهم ومودّتهم لم تجعل أجر الرسالة ..

وكذلك لا ألزمك بإكرام داخل النسب ؛ بل ينبغي الاجتناب من إكرامه عند تبيّن فساد نسبته ، والتوقف عند الشبهة .

⇐ ١٤٣٣٥] تأكد استحباب اصطناع المعروف إلى العلويّين والسادات حديث ٤ ، انّ الحسين بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ، كان بقم يشرب علانية ، فقصد يوماً لحاجة إلى أحمد بن إسحاق الاشعري ـ وكان وكيلاً في الأوقاف بقم ـ فلم يأذن له ، فرجع إلى بيته مهموماً ، فتوجّه أحمد بن إسحاق إلى الحجّ ، فلمّا بلغ سرّ من رأىٰ [سامراء] استأذن على أبي محمد العسكري عليه السلام فلم يأذن له ، فبكى أحمد طويلاً وتضرّع حتّى أذن له ، فلمّا دخل قال : يابن رسول الله ! لِمَ منعتني الدخول عليك وأنا من شيعتك ومواليك ؟ قال عليه السلام : « لأنك طردت ابن عمّنا عن بابك .. ! » فبكى أحمد وحلف بالله أنّه لم يمنعه من الدخول عليه إلاّ لأن يتوب من شرب الخمر . قال عليه السلام : « صدقت ، ولكن لابدّ من إكرامهم واحترامهم على كلّ حال ، وأن لا تحقّرهم ولا تستهين بهم لانتسابهم الينا ، فتكون من الخاسرين » . فلمّا رجع أحمد إلى قم أتاه أشرافهم ـ وكان الحسين معهم ـ فلمّا رآه أحمد وثب إليه واستقبله وأكرمه وأجلسه في صدر المجلس ، فاستغرب الحسين ذلك واستبعده ، وسأله عن سببه ، فذكر له ما جرى بينه وبين العسكري عليه السلام في ذلك ، فلمّا سمع ذلك ندم من أفعاله القبيحة وتاب منها ، ورجع إلى بيته ، وأهرق الخمر وكسر آلاتها وصار من الأتقياء المتورّعين ، والصلحاء المتعبّدين ، وكان ملازماً للمساجد ومعتكفاً فيها حتى أدركه الموت .

نعم ألزمك بإكرام المنتسب شرعاً بالأُمّ كالمنتسب بالأَب ، لأن آبن البنت آبن حقيقة في جميع الآثار الشرعية . ولذا كان الحسنان عليهما السلام آبني رسول الله صلّى الله عليه وآله حقيقة ، خلافاً لعمر ، فكما أنهما آبناه صلّى الله عليه وآله فكذا المنتسب اليوم بأمّه إليه صلّى الله عليه وآله آبنه حقيقة ، وإنْ كان لا يحلّ له الخمس ، لخصوص مرسل حماد بن عيسى عن العبد الصالح عليه السلام(١) .

(١) وسائل الشيعة ٢/٦٢ باب ١ الخمس يقسم ستة أقسام ثلاثة للإمام ، وثلاثة للفقراء والمساكين وابن السبيل ممّن ينتسب إلى عبدالمطلب بأبيه لا بأُمّه ، حديث ٨ [ط ج ٣٥٨/٦] عن حمّاد بن عيسى ، عن بعض أصحابنا ، عن العبد الصالح عليه السلام قال : الخُمْس من خمسة أشياء : من الغنائم ، والغوص ، ومن الكنوز ، ومن المعادن ، والملاحة ، يؤخذ من كل هذه الصنوف الخمس ، فيجعل لمن جعله الله له ، ويقسم الأربعة أخماس بين من قاتل عليه وولي ذلك ، ويقسّم بينهم الخمس على ستة أسهم : سهم لله ، وسهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله ، وسهم لذي القربى ، وسهم لليتامىٰ ، وسهم للمساكين ، وسهم لأبناء السبيل . فسهم الله وسهم رسول الله لأولي الأمر مِن بعد رسول الله ووارثه ، وله ثلاثة أسهم : سهمان وراثة ، وسهم مقسوم له من الله ، وله نصف الخمس كملاً . ونصف الخمس الباقي بين أهل بيته ، فسهم ليتاماهم ، وسهم لمساكينهم ، وسهم لأبناء سبيلهم ، يقسم بينهم على الكتاب والسنة [خ . ل : الكفاف والسعة] ... » إلى أن قال : « وانّما جعلَ الله هذا الخمس لهم خاصّة دون مساكين الناس ، وأبناء سبيلهم عوضاً لهم عن [خ . ل : من] صدقات الناس ، تنزيهاً من الله لهم لقرابتهم برسول الله صلّى الله عليه وآله ، وكرامة من الله لهم عن أوساخ الناس ، فجعل لهم خاصّة من عنده ما يغنيهم به عن أن يصيّرهم في موضع الذلّ والمسكنة . ولا بأس بصدقات بعضهم على ⇐

[ومنها :]

[صلة الرحم]

وعليك بنيّ بصلة الرحم ، فإنّها تطيل العمر(١) ، وتوسّع الرزق(٢) ،

⇐ بعض ، فهؤلاء الّذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبي صلّى الله عليه وآله الّذين ذكرهم الله فقال : ﴿ وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [سورة الشعراء (٢٩) : ٢١٤] وهم بنو عبدالمطلب أنفسهم الذكر والأنثى منهم ، ليس فيهم من أهل بيوتات قريش ولا من العرب أحد ، ولا فيهم ولا منهم في هذا الخمس من مواليهم ، وقد تحلّ صدقات النّاس لمواليهم ، وهم والناس سواء ، ومن كانت أمه من بني هاشم وأبوه من سائر قريش فإنّ الصدقات تحلّ له ، وليس له من الخمس شيء ، لأنّ الله يقول ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ [سورة الأحزاب (٣٣) : ٥١] » . إلى أن قال : « وليس في مال الخمس زكاة ، لأنّ فقراء الناس جعل أرزاقهم في أموال الناس على ثمانية أسهم ، فلم يبق منهم أحد ، وجعل للفقراء [خ . ل : من] قرابة رسول الله صلّى الله عليه وآله نصف الخمس ، فأغناهم به عن صدقات الناس ... » الحديث .

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٦٣٨/٢ باب ١٠ استحباب صلة الأرحام حديث ٤ [الطبعة المحقّقة ٢٣٤/١٥ حديث ١٨٠٩٩] عن إسحاق بن عمّار قال : قال أبو الحسن عليه السلام : « لا نعلم شيئاً يزيد في العمر إلاّ صلة الرحم » . قال : ثم قال : « إنّ الرجل ليكون بارّاً وأجله إلى ثلاث سنين فيزيده الله فيجعله ثلاثة وثلاثين ، وإنّ الرجل ليكون عاقّاً وأجله ثلاثة وثلاثون فينقصه الله فيردّه إلى ثلاث سنين » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٦٣٩/٢ باب ١٠ [الطبعة المحققة ٢٣٦/١٥ حديث ١٨١٠٦] استحباب صلة الأرحام حديث ١١ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في حديث : « وصلة الرحم تزيد في الرزق » .

وتُرضي الرّب ، وتنفع في الدنيا والآخرة[١] . فَصِلْ حتّى القاطع منهم ، ممتثلاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام : « صِلُوا أرحام مَن قطعكم ، وعُودوا بالفضل على مَنْ حرمكم .. »[٢] .

بل صلة القاطع ـ بنيّ ـ أقرب إلى القربة ، وأبعد عن متابعة النفس الأمّارة .

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٦٣٩/٢ باب استحباب صلة الأرحام حديث ١٨ [الطبعة المحققة ٢٣٨/١٥ حديث ١٨١١٣] عن الحسين بن عثمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « صلة الرحم تزكّي الأعمال ، وتنمي الأموال ، وتيسّر الحساب ، وتدفع البلوى ، وتزيد في العمر » .

وحديث ٢١ [الطبعة المحققة ٢٣٩/١٥ حديث ١٨١١٦] عن يحيى بن أمّ الطويل قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : « لا يستغني الرجل ـ وإن كان ذا مال وولد ـ عن عشيرته ، وعن مداراتهم وكرامتهم ، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم ، هم أعظم الناس حياطة له من ورائه ، وألمّهم لشؤونه ، وأعظمهم عليه حنوّاً إن أصابته مصيبة أو نزل به يوماً بعض مكاره الأمور ، ومَن يقبض يده عن عشيرته فإنّما يقبض عنهم يداً واحدة ، وتقبض عنه أيدي كثيرة ، ومن محض عشيرته صدق المودّة ، وبسط عليهم يده بالمعروف إذا وجده ابتغاء وجه الله ، أخلف الله له ما أنفق في دنياه ، وضاعف له في آخرته ... » إلى أن قال : « لا يغفلنّ أحدكم من القرابة ، يرى به الخصاصة أن يسدّها ممّا لا يضرّه إن أنفقه ، ولا ينفعه إن أمسكه » .

(٢) بحار الأنوار ٢٩١/٧٧ ـ ٢٩٤ حديث ٢ من خطبته عليه السلام المعروفة بـ : الديباج ، ولاحظ : بحار الأنوار ٤١١/٧٤ حديث ٢٢ . وعن الامالي كما في البحار ٤٠٤/٧٧ حديث ٢٩ .. وغيرها .

[إيّاك وقطع الرحم]

وإيّاك ثم إيّاك وقطع الرحم ، فإنّ الرحم كيس معلّق على العرش يقول : « اللّهم صِلْ مَنْ وَصَلَني ، واَقطعْ مَنْ قطعني »(١) .

ولقد وجدتُ مِنْ صلة الرحم ـ سيّما القاطع منهم ـ آثاراً غريبة ، وفوائد عظيمة عجيبة ، فعليك بها .. وعليك بها ، وإيّاك والمسامحة فيها .

وعليك بنيّ بمراعاة حال المضطرّين من الشيعة ـ سيّما الأرحام والجيران ـ تنال بذلك عزّ الدنيا والآخرة وفخرهما ، وتحفظ نفسك بذلك من صدماتها ، وتُرْضي بذلك الربّ العطوف .

وقد روى مولانا الصادق عليه السلام : « أنّ يعقوب عليه السلام ، إنّما ابتلي بيوسف عليه السلام ، إذ ذبح كبشاً سميناً ورَجلٌ مِن أصحابه(٢) ـ وفي رواية أخرى : مِنْ جيرانه ـ محتاج لم يجد ما يفطر عليه ، فأغفله ولم يطعمه فابْتُلي بيوسف عليه السلام(٣) .

---

(١) أصول الكافي ١٥١/٢ باب صلة الرحم حديث ١٠ عن الفضيل بن يسار قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « إنّ الرحم معلّقة يوم القيامة بالعرش تقول : اللّهم صل من وصلني ، واقطع من قطعني .

(٢) تفسير الصافي ٨/٣ : سورة يوسف في تفسير آية : ١٤ ﴿ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ ﴾ ، عن الصادق عليه السلام قال : « إنّما ابتلي يعقوب بيوسف عليهما السلام ، إذ ذبح كبشاً سميناً ، ورَجُل من أصحابه محتاج لم يجد ما يفطر عليه ، فأغفله ولم يطعمه ، فابتلي بيوسف ، وكان بعد ذلك كلّ صباح ينادي مناديه : مَنْ لم يكن صائماً فليشهد غداء يعقوب ، فإذا كان المساء نادى : مَنْ كان صائماً فليشهد عشاء يعقوب » .

(٣) تفسير الصافي : ٢٦٩ [١٠/٣] في تفسير سورة يوسف (١٢) : ١٨ ﴿ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ

[ينبغي الاقتصاد في جميع الأمور]

وعليك بنيّ ـ وفّقك الله تعالى ـ بالاقتصاد في جميع أمورك ، فإنه أمر ممدوح العاقبة ، محمود النتيجة ، ألا ترى أنّ الصدقة المحبوبة عقلاً ونقلاً[١]

⇐ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ ، عن السجاد عليه السلام : « أنّه لمّا سمع مقالتهم استرجع واستعبر وذكر ما أوحى الله إليه من الاستعداد للبلاء ، وأذعن للبلوى ـ يعني بسبب غفلته عن إطعامه الجار الجائع ـ فقال لهم ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمراً ﴾ .

(١) أصول الكافي ٢/٢ باب فضل الصدقة حديث ١ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « الصدقة تدفع ميتة السوء » .

وصفحة : ٣ حديث ٥ عن عبدالله بن سنان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « داووا مرضاكم بالصدقة ، وادفعوا البلاء بالدعاء ، واستنزلوا الرزق بالصدقة ، فإنّها تفكّ من بين لحيي سبعمائة شيطان ، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن ، وهي تقع في يد الرب تبارك وتعالى قبل أن تقع في يد العبد » .

وصفحة : ٤ حديث ١٠ عن محمد بن عمر بن يزيد قال : أخبرت أبا الحسن الرضا عليه السلام أني أُصِبْتُ بابنين ، وبقي لي بنيّ صغير ، فقال : « تصدّق عنه » . ثمّ قال ـ حين حضر قيامي ـ : « مُرِ الصبي فليتصدّق بيده بالكسرة والقبضة والشيء وإنْ قَلّ ، فإنّ كلّ شيء يراد به الله ـ وإن قلّ بعد أن تُصْدق النية فيه ـ عظيم ، إنّ الله عزّوجلّ يقول : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [سورة الزلزلة (٩٩) : ٧ و٨] وقال : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [سورة البلد (٩٠) : ١١ ـ ١٦] . علم الله ـ عزّوجلّ ـ أنّ كل أحد لا يقدر على فكّ رقبة ، فجعل إطعام اليتيم والمسكين مثل ذلك ، تصدّق عنه » .

⇐

قد أمر الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله فيها بالإقتصاد بقوله جَلَّ ذِكْره : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾[1] . وقال جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ

⇐ وفي صفحة : ٥ باب أنّ الصدقة تدفع البلاء ، حديث ١ عن أبي ولاد قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « بكّروا بالصدقة ، وارغبوا فيها ، فما من مؤمن يتصدّق بصدقة يريد بها ما عند الله ليدفع الله بها عنه شرّ ما ينزل من السماء إلى الأرض في ذلك اليوم ، إلاّ وقاه الله شرّ ما ينزل من السماء إلى الأرض في ذلك اليوم » .

وفي صفحة : ٧ حديث ١٠ من الباب عن الوشّاء عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : « كان رجل من بني إسرائيل ولم يكن له ولد ، فولد له غلام ، وقيل له إنّه يموت ليلة عرسه ، فمكث الغلام فلمّا كان ليلة عرسه ، نظر إلى شيخ كبير ضعيف فرحمه الغلام ، فدعاه فأطعمه ، فقال له السائل : أحييتني أحياك الله . قال : فأتاه آت في النوم فقال له : سَل آبنك ما صنع ، فسأله فخبّره بصنيعه . قال : فأتاه الآتي مرة أخرى في النوم فقال له : إنّ الله أحيى لك آبنك بما صنع مع الشيخ » .

وفي صفحة : ٨ باب صدقة السر حديث ٣ عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « صدقة السرّ تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى » .

وفي صفحة : ٨ باب صدقة الليل حديث ٢ عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إذا طرقكم سائل ذَكَرٌ بالليل فلا تردّوه » .

وفي صفحة : ٩ باب الصدقة تزيد في المال حديث ١ عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ الصدقة تقضي الدين وتخلف بالبركة » .

وفي صفحة : ١٠ حديث ٤ عن السكوني عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « استنزلوا الرزق بالصدقة » .

(١) سورة الاسراء (١٧) : ٢٩ .

الْعَفْوَ ﴾[١] أي الوسط ، كما عن مولانا الصادق عليه السلام[٢] .

وعليك ـ دائماً ـ بالنظر إلى مَنْ دونك ، والشكر على ما أنت عليه ، وإيّاك والنظر إلى مَنْ فوقك ، فإنّه يؤذيك ، ويفوّت عليك راحة الدنيا وأجر الآخرة جميعاً[٣] . وقد قال عزَّ مِنْ قائل : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيٰوةِ الدُّنْيَا ﴾[٤] .

وعليك بنيّ بترك كثرة مخالطة الناس مهما أمكن ، فإنّ مخالطتهم تشغلك عن الحقّ ، وتذهلك عن الموت ، وتمنعك عن التفرّغ للعبادة ،

---

(١) سورة البقرة (٢) : ٢١٩ .

(٢) مجمع البيان ٢/٣١٦ قوله : ثانيها : إنّ العفو الوسط من غير إسراف ولا إقتار .. عن الحسن وعطا ؛ وهو المرويّ عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام .

(٣) أصول الكافي ٢/١٤٠ باب القناعة حديث ١١ عن سدير رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من رضي من الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه ، ومن لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن شيء يكفيه » .

وفي صفحة : ١٣٧ حديث ١ عن عمرو بن هلال قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « إيّاك ان تطمح ببصرك إلى من هو فوقك ، فكفى بما قال الله عزّوجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وآله : ﴿ وَلاٰ تُعْجِبْكَ اَمْوٰالُهُمْ وَلاٰ اَوْلاٰدُهُمْ ﴾ [سورة التوبة (٩) : ٨٥] وقال : ﴿ وَلاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اِلىٰ ما مَتَّعْنا بِهِ اَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيا ﴾ [سورة طه (٢٠) : ١٣١] . فإنْ دخلك من ذلك شيء ، فاذكر عيش رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فإنّما كان قوته الشعير ، وحلواه التمر ، ووقوده السعف إذا وجده » .

وفي صفحة : ١٣٩ حديث ٩ عن أبي حمزة عن أبي جعفر أو أبي عبدالله عليهما السلام قال : « من قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس » .

(٤) سورة طه (٢٠) : ١٣١ .

والتفقّه في الدين ، والذكر والفكر ، وتوجب مدّك النظر إلى ما في أيـدي الناس فتطمع فيها ، ويلجئك ويبتليك إلى استماع الغيبة والبهتان ، وتـؤدّي بك إلى دخول المجالس المذمومة ، وصحبة البطّالين ، وربّما ينجرّ الى الفتنة والخصومة فتندم يوم لا ينفعك الندم ، ولا قول : ﴿ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِـذْ فُـلَاناً خَلِيْلاً ﴾[1] .

ولا قول : ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِيْنُ ﴾[2] .

ولا قول : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[3] ..

فاستيقظ قبل أن يفوتك وقت التدارك .

[وجوب مخالفة الهوى]

وعليك بنيّ بمخالفة الهوى والنفس الأمّارة بالسوء ، فإنّ متابعتها سمّ ناقع ، ومرض مهلك . وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان : اتّباع الهوى ، وطول الأمل ، أمّا اتّباع الهوى ؛ فإنه يصدّ عن الحق ، وأمّا طول الأمل ؛ فإنّه ينسي الآخرة »[4] .

---

(١) سورة الفرقان (٢٥) : ٢٨ .

(٢) سورة الزخرف (٤٣) : ٣٨ .

(٣) سورة المؤمنون (٢٣) : ٩٩ و ١٠٠ .

(٤) روضة الكافي : ٥٨ ، في جملة خطبه عليه السلام ، عن سليم بن قيس الهلالي قـال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ صلّى على النبي صلّى الله

⇐

وفي خبر آخر : « احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم ، فليس شيء أعدىٰ للرجال من آتّباع أهوائهم ، وحصائد ألسنتهم »[١] .

وإذا أصبحت ـ بنيّ ـ فلا تحدّث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح ، فإنّ الأمل يورث الغفلة ، وآفرض دائماً نفسك كأنّك ميّت بين يدي الغسّال .

[الوصيّة]

واكتب بنيّ وصاياك من أوّل عام بلوغك[٢] ، وراجعها عند آحتمال موجب التغيير في بعضها ، وغيّر ما آحتاج إليه التغيير[٣] . وآكتب دائماً

⇐ عليه وآله ، ثم قال : ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم خلّتان : اتّباع الهوى ، وطول الأمل ، أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ ، وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة . ألا إنّ الدنيا قد ترحّلت مدبرة . وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة ، ولكلّ واحدة بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإنّ اليوم عمل ولا حساب ، وإنّ غداً حساب ولا عمل .. » إلى آخر خطبته الجليلة .

(١) أصول الكافي ٢/٢٣٥ باب اتباع الهوى حديث ١ بلفظه .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٥١٧ باب وجوب الوصيّة حديث ١ ، [الطبعة المحققة ٢/١١٦ حديث ١٥٨٣] عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « ليس ينبغي للمسلم أن يبيت ليلتين إلاّ ووصيّته مكتوبة عند رأسه » .

(٣) الكافي ٧/١٣ باب الرجل يوصي بوصية ثم يرجع عنها ، حديث ٤ ، بسنده قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : « للرجل أن يغيّر وصيّته ؛ فيعتق من كان يملكه ، ويملك من أمر بعتقه ، ويعطي من كان حرمه ، ويحرم من كان أعطاه ما لم يمت » .

ديونك وطَلِبَاتك . وقد آتّفق لي بنيّ مراراً في الشتاء في غاية البرد أنّي آويت إلى الفراش للنوم ، فذكرتُ أني آستقرضت في أوّل الليل من شخص درهماً أو درهمين ، وأعطيته لمن آستعطى ونسيت أن أكتبه ، وخفت مفاجأة الموت قبل الانتباه ، فقمت في ذلك البرد وشعلت السراج ، وكتبت ذلك ، وعدت إلى الفراش . فهكذا كن يا بنيّ .. لأنّك إذا لم تكتب ديونك فأدركك الأجل ، فإنْ سكت الدائن بقيتَ مشغول الذمّة ، وإنْ طالب الوارث ، طلبوا منه البيّنة واليمين الاستظهاري ، فإنْ لم تكن عنده بيّنة لم يُعْطَ ، وبقيتَ ـ أيضاً ـ مشغول الذمّة ، وإنْ كانت عنده بيّنة كنتَ قد تسبَّبْتَ لتعبه بإقامتها ، والحلف في قبال إحسانه إليك بالإقراض ، وهو خلاف الإنصاف .

وعليك بنيّ إذا تداينتَ بدين وآقترضت أو أقرضت إلى أجل مسمًّى ، آمتثال أمر الحكيم على الإطلاق ، فكتابته والإشهاد عليه[1] ، فإن

---

(١) سورة البقرة (٢) : ٢٨٢ ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ اِلىٰ اَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ اَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَاِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً اَوْ ضَعِيفاً اَوْ لا يَسْتَطِيعُ اَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَاِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَاَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ اَنْ تَضِلَّ اِحْديٰهُما فَتُذَكِّرَ اِحْديٰهُمَا الْاُخْرىٰ وَلا يَأْبَ الشُّهَداءُ اِذا ما دُعُوا وَلا تَسْاَمُوا اَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً اَوْ كَبِيراً اِلىٰ اَجَلِهِ ذٰلِكُمْ اَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَاَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَاَدْنىٰ اَلاّ تَرْتابُوا اِلاّ اَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ اَلاّ تَكْتُبُوها وَاَشْهِدُوا اِذا تَبايَعْتُمْ وَلا يُضارَّ

⇐

مَنْ ترك حرفاً من الشرع أحوجه الله إليه ، فإن اللهَ لم يشرّع الأحكام لمصلحة ترجع إليه ، لأنه غنيّ على الإطلاق ، وإنّما شرّعها لمصالحك .. فلا تفوّت على نفسك المصلحة التي دَلَّكَ عليها الحكيم الخبير .

وعليك بنيّ ـ أطال الله عمرك ، وأرشد أمرك ، ووفّقك لخير الدارين ، وإكمال الملكتين[1] ـ بالإلتزام بالآداب الشرعية في جميع حركاتك وأفعالك ، من الوضوء ، والغسل ، والأكل ، والشرب ، والنوم ، والتخلّي ، والجماع ، والمسكن ، واللباس .. ونحوها . فإنّ تشريع تلك الآداب لم يكن عبثاً ، بل لها فوائد ونتائج في الدنيا والآخرة ، فلا تفوّتها على نفسك بالتثاقل . وحيث إنّ الآداب متفرّقة ، أصنّف لك ـ بحول الله وقوته ـ فيها رسالة جامعة[2] ، فعليك بالعمل بها ، وتطبيق عباداتك وعاديّاتك عليها إن شاء الله تعالى .

[المداومة على ذِكْر الله سبحانه]

وعليك بنيّ بالإكثار من ذِكْر الله تعالى ، فإنّ ذكره جلّ شأنه يُحيي القلب ، ويُقرّب من الربّ ، ويُكثر البركة ، ويُنجي من الهلكة ، ويُبعد الشيطان ، ويُدني ملائكة الرحمن ، ويُنزل الرحمة والسكينة . وقد قال : « إنّ

⇐ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإنْ تَفْعَلُوهُ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ واتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

(١) المراد من الملكتين : ملكة العلم ، وملكة العمل .

(٢) أشار إلى تأليفه القيم « مرآة الكمال » .

شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً »[١] .

وأنّ مَنْ أَكثر ذكر الله أَحَبَّه[٢] . و« مَنْ ذكر الله كثيراً كتب الله له براءتين : براءة مِن النار ، وبراءة مِن النفاق[٣] ، وأظلَّه الله في جنَّته »[٤] .

وأنّ أهل الجنة لا يندمون على شيءٍ من أمور الدنيا ، إلاّ على ساعة مرّت بهم في الدنيا لم يذكروا الله فيها[٥] .

وإيّاك بنيّ أن تخلي مجلساً عن ذكر الله تعالى ، فقد قال عليه السلام : « ما اجتمع في مجلس قومٌ ولم يذكروا الله تعالى ولم يذكرونا ، إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم »[٦] .

---

(١) أصول الكافي ٢/٤٩٩ باب ذكر الله تعالى كثيراً حديث ٢ بلفظه .

(٢) أصول الكافي ٢/٥٠٠ باب ذكر الله كثيراً حديث ٣ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من أكثر ذكر الله أحبّه الله ، ومن ذكر الله كثيراً كتب له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق » .

(٣) أصول الكافي ٢/٥٠٠ باب ذكر الله جلّ وعزّ كثيراً حديث ٤ ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من أكثر ذكر الله أحبّه الله ، ومن أكثر ذكر الله كتبت له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق » .

(٤) كما في حديث ٥ ، عن عمار ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « من أكثر من ذكر الله عزّوجل أظلّه الله في جنّته » .

(٥) مستدرك وسائل الشيعة ١/٣٨٢ باب كراهة ترك ذكر الله تعالى حديث ٦ [الطبعة المحقّقة ٥/٢٨٨ حديث ٥٨٧٨] نقلاً بالمعنىٰ .

(٦) أصول الكافي ٢/٤٩٨ باب ما يجب من ذكر الله عزّوجلّ في كلّ مجلس ، حديث ٥ عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « ما من قوم اجتمعوا

⇐

وليس الغرض بالذِكْر لقلقة اللسان فقط من دون توجه القلب ، بل الذكر اللساني مقدمة للذكر القلبي ، فالأول بمنزلة الجسد ، والثاني بمنزلة الروح ، فالذكر القلبي وحده نافع دون اللساني ، وقد اتخذ الله تعالى إبراهيم عليه السلام خليلاً ، لعدم غفلة قلبه عنه تعالى أبداً(١) .

وورد أنّ الذكر الذي لا يسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي يسمعونه سبعين ضعفاً(٢) .

[عليك بالاستغفار]

وعليك بنيّ بكثرة الاستغفار بالأسحار(٣) ، والمداومة في كلّ صبيحة

⇐ في مجلس فلم يذكروا اسم الله عزّوجلّ ولم يصلّوا على نبيّهم ، إلاّ كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم » .

(١) تفسير الصافي ١/٤٦٦ ـ ٤٦٧ سورة النساء في تفسير آية ١٢٥ قوله عزّ من قائل ﴿ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيْفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ .

(٢) اصول الكافي ٢/٤٧٦ باب إخفاء الدعاء حديث ١ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية » .

وفي رواية أخرى : « دعوة تخفيها أفضل عند الله من سبعين دعوة تظهرها » .

(٣) أصول الكافي ٢/٤٧٦ باب الأوقات والحالات التي يرجى فيها الإجابة حديث ٦ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « خير وقت دعوتم الله عزّوجلّ فيه الأسحار » ، وتلا هذه الآية في قول يعقوب عليه السلام ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ [سورة يوسف (١٢) : ٩٨] قال : « أخّرهم إلى السحر » .

⇐

بمائة مرة : « ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلاّ بالله أستغفر الله »[١] ، وبعشرة مرات : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر »[٢] .

⇐ [وانظر تفسير قوله عزّ من قائل : ﴿ وَبِالأَسْحَارِ هُـمْ يَسْـتَغْفِرُون ﴾ [سـورة الذاريات (٥١) : ١٨] ، وقوله سبحانه : ﴿ .. الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالقَانِتِينَ وَالمُنْفِقِيْنَ وَالمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ .. ﴾ [آل عمران (٣) : ١٧]] .

(١) وسائل الشيعة ٤٨٣/٢ باب ٩٠ حديث ٣ بسنده عن عمّار بن مروان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « مَنْ قال : (أستغفر الله) مائة مرة في يوم غفر الله له سبعمائة ذنب ، ولا خير في عبد يذنب في اليوم سبعمائة ذنب » .

وثواب الأعمال صفحة : ٩٠ باب ثواب الإستغفار حديث ٢ ، عن سلام الخياط عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « مَنْ آستغفر الله مائة مرّة حين ينام ، بات وقد تحاتّ الذنوب كلّها عنه كما تحاتّ الورق من الشجر ، ويصبح وليس عليه ذنب » .

(٢) أصول الكافي ٥٠٦/٢ باب التسبيح والتهليل والتكبير حديث ٣ ، عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله يملأ الميزان ، والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض » .

وفي صفحة : ٥٠٥ حديث ١ ، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : « جاء الفقراء الى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالوا : يا رسول الله ! إنّ الأغنياء لهـم مـا يعتقون وليس لنا ، ولهم ما يحجّون وليس لنا ، ولهم ما يتصدّقون وليس لنا ، ولهم ما يجاهدون وليس لنا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من كبّر الله عزّوجلّ مائة مرّة كان أفضل من عتق رقبة ، ومن سبّح الله مائة مرّة كان أفضل من سياق مائة بدنة ، ومن حمد الله مائة مرّة كان أفضل من حملان فرس في سـبيل الله بـسرجـها ولجـمها وركبها ، ومن قال : (لا إلا إلاّ الله) مائة مرّة كان أفضل الناس عملاً ذلك اليوم إلاّ من زاد » . قال : فبلغ ذلك الأغنياء فصنعوه . قال : فعاد الفقراء إلى النبي صلّى الله عليه وآله

⇐

[آداب واذكار أُخر]

وإذا أردت أن تخرج من الدار ، فأرسل حنكك وقُل عند الخروج : « بسم الله وبالله آمنتُ بالله ، ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله ، توكّلت على الله »[١] .

وإذا رأيتَ بنيّ شيئاً فلا تسأل عنه ، فإنّ لقمان لمّا رأى داود عليه السلام ينسج الدرع أراد أنْ يسأله ، ثم منعته حكمته عن السؤال ، فلمّا تمّمه

⇐ فقالوا : يا رسول الله ! قد بلغ الأغنياء ما قلت فصنعوا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

وانظر : وسائل الشيعة ١/٤٣٥ باب ٣٠ حديث ٢ [ط . ج : بسنده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال لأمّ هاني : « من سبّح الله مائة مرّة كلّ يوم كان أفضل ممّن ساق مائة بدنة إلى بيت الله الحرام ، ومن حمد الله مائة مرّة تحميدة كان أفضل ممّن أعتق مائة رقبة ، ومن كبّر الله مائة تكبيرة كان أفضل ممّن حمل على مائة فرس في سبيل الله بسرجها ولجمها ، ومن هلّل الله مائة تهليلة كان أفضل عملاً يوم القيامة إلاّ من كان أفضل من هذا » .

وباب ٢٩ من المجلّد والصفحة نفسها .

(١) أصول الكافي ٢/٥٤٣ باب الدعاء إذا خرج الإنسان من منزله حديث ١٢ ، عن حسن بن جهم عن أبي الحسن عليه السلام قال : « إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل : « بسم الله ، آمنت بالله ، توكّلت على الله ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله » فتلقاه الشياطين فتنصرف ، وتضرب الملائكة وجهها وتقول : ما سبيلكم عليه وقد سمّى الله وآمن به وتوكّل عليه . وقال « ما شاء الله ، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله » ؟! .

داود عليه السلام لبسه وقال : « نِعْمَ الدرع للحرب » . فقال لقمان : الصمت حكم وقليل فاعله[١] .

وعليك بنيّ بالخلوة بالمستحبّات ، فإنّها أبعد من الرياء .

وآختر بنيّ عند الناس من الأذكار « لا إله إلاّ الله » لأنّها ـ مضافاً إلى ما ورد من أنّه أفضل الأذكار ـ يمكن التستّر به[٢] ، لخلوّه عن الحروف الشفوية ، ولذا عبّروا عنه بـ : الذكر الخفيّ ، فيكون فضله بسبعين ضعفاً من الذكر الظاهر[٣] .

---

(١) مجموعة ورام ١٠٨/١ بلفظه [ومثله عنه عليه السلام : « ألصمت حكم ، والسكوت سلامة ، والكتمان طرف من السعادة » كما اورده العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٦٣/٧٨ حديث ١٤٦] .

(٢) أصول الكافي ٥١٦/٢ باب قول « لا إله إلا الله » حديث ١ ، عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة : أن لا إله إلاّ الله ، إنّ الله عزّوجل لا يعدله شيء ولا يشركه في الأمور أحد » .

وفي صفحة : ٥١٧ حديث ٢ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من قال (لا إله إلاّ الله) غرست له شجرة في الجنّة من ياقوتة حمراء ، منبتها في مسك أبيض أحلى من العسل ، وأشدّ بياضاً من الثلج ، وأطيب ريحاً من المسك ، فيها أمثال ثدي الأبكار تعلو عن سبعين حلة » . وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : خير العبادة قول « لا إله إلاّ الله » . وقال : « خير العبادة الاستغفار » ، وذلك قول الله عزّوجلّ في كتابه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاٰ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [سورة محمد (ص) (٤٧) : ١٩] » .

(٣) أصول الكافي ٤٧٦/٢ باب إخفاء الدعاء حديث ١ عن أبي همام اسماعيل بن همام ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين

⇐

والأذكـــار كـثيرة ، ولكـلّ مـنها فـائدة مـذكورة في المـفصّلات ، فراجعها[1] .

وعليك بنيّ بإكثار « لا إله إلاّ الله ، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العـلي العظيم ، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين »[2] ، فإنّ في ذلك تأثيراً عظيماً

⇐ دعوة علانية » .

وفي رواية أخرى : « دعوة تخفيها أفضل عند الله من سبعين دعوة تظهرها » .

(١) مستدرك وسائل الشيعة ١/٣٨١ ـ ٤٠١ الطبعة الحجرية [الطبعة المحـققة ٥/٢٨٣ ـ ٣٩٦] أبواب الذكر ، وثواب الأعمال للصدوق : ١٩٢ ـ ٢٠٨ ، والمحاسن للبرقي : ٢٥ ـ ٧٠ وغيرها .

(٢) وذلك لما ورد من فضل الأذكار الثلاثة وهي : التهليل ، والحوقلة ، والصلاة على محمّد وآله صلّى الله عليه وآله .

أمّا التهليل ؛ ففي اصول الكافي ٢/٥١٦ باب من قال : « لا اله إلاّ الله » حديث ١ ، عن أبي حمزة .. ، وقد مرّ .

وفي صفحة ٥١٧ حديث ٢ في ذيل الحديث قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « خير العبادة قول «لا اله إلاّ الله» ، وذلك قول الله عزّوجلّ في كتابه ﴿ **فاعلم أنّه لا إلـه إلاّ الله واستغفر لذنبك** ﴾ .

وأمّا الحوقلة ؛ ففي محاسن البرقي : ٤٢ حديث ٣٩ ثواب « لا حول ولا قوّة إلاّ بالله » حديث ٥٣ في وسطه .

وفي رواية محمد بن عمران عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إذا قال العبد : « لا حول ولا قوّة إلاّ بالله » ، فقد فوّض أمره إلى الله ، وحقّ على الله أن يكفيه .

وفي رواية هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال : « إذا قال العبد : (لا ⇐

في طرد الشياطين وهلاكهم .

وعليك بنيّ بقراءة كل دعاء ولو في العمر مرّة ، والإتيان بكلّ عمل وارد ولو مرّة ، لأنّ لكلّ عمل أجراً خاصّاً ، فينبغي أن تكون آتياً بها جميعاً حتى تنال بفضل الله سبحانه جميع أنواع مثوبات الله سبحانه ، ولا تحرم من

⇐ حول ولا قوّة إلاّ بالله) قال الله عزّوجلّ للملائكة : « استسلم عبدي اقضوا حاجته » .

وفي مستدرك وسائل الشيعة ٣٩٨/١ [الطبعة المحققة ٣٨٤/٥ حديث ٦١٥١] باب ٤١ حديث ٧ عن أبي الحسن عليه السلام قال : من قال « بسم الله الرحمن الرحيم . لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم » ثلاث مرات ، حين يمسي لم يخف شيطاناً ولا سلطاناً ولا جذاماً ولا برصاً ، وأنا أقولها مائة مرّة » .

وأمّا الصلاة على النبي وآله عليهم السلام ؛ ففي أصول الكافي ٤٩١/٢ باب الصلاة على النّبي حديث ١ ، عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « لا يزال الدعاء محجوباً حتّى يصلّي على محمّد وآل محمّد » .

وحديث ٣ و ٤ ، عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام : إنّ رجلاً أتى النبي صلّى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ! إنّي أجعل لك ثلث صلواتي لا بل أجعل لك نصف صلواتي ، لا بل أجعلها كلّها لك . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إذاً تكفى مؤونة الدنيا والآخرة » . فقال أبو بصير : سألت أبا عبدالله عليه السلام ما معنى : أجعل صلواتي كلها لك ؟ قال : « يقدّمها بين يدي كلّ حاجة ، فلا يسأل الله عزّوجلّ شيئاً حتى يبدأ بالنبي صلّى الله عليه وآله فيصلّي عليه ، ثم يسأل الله حوائجه » .

وأصول الكافي ٤٩٢/٢ حديث ٨ ، عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي يذهب بالنفاق » .

شيء منها . ولقد أجاد من شبّه العبادات والأدعية بالأثمار ، فقال[1] : كما أنّك إذا دخلت بستاناً فيه أنواع الثمار تحبّ أن تذوق من كلّ منها ، فكذا العبادات يترجح أن تفعل كلّاً منها ولو مرّة .

وعليك بنيّ بقراءة القرآن المجيد كلّ يوم مقداراً ـ سيّما في الأسحار ـ مع التفكّر في معانيه[2] ، والتأدّب بما فيه ، ومراجعة ما ورد عن الأئمّة عليهم السلام في تفسيره ما أشكل عليك فهمه منه .

وعليك بُنَيّ بالكَوْنِ على الطهارة مهما أمكن ، فإنّها سلاح المؤمن لدفع

---

(١) [اصول الكافي ٢/٥٩٦ ـ ٦٠٢ ، كتاب فضل القرآن ، وغيره وفي غيره . وانظر : جامع السعادات للنراقي : ٣/٣٦٧ ـ ٣٧٩] .

(٢) وسائل الشيعة ١/٣٦٨ باب ٣ استحباب التفكّر في معاني القرآن حديث ٦ [ط ج ٤/٨٢٩] عن جعفر بن محمّد الصادق ، عن آبائه عليهم السلام ، عن أميرنا أمير المؤمنين عليه السلام .. ـ في كلام طويل في وصف المتّقين ـ قال : « .. أمّا الليل فصافّون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً ، يحزّنون به أنفسهم ، وليستثيرون به تهييج أحزانهم ، بكاء على ذنوبهم ، ووجع كلوم جراحهم . وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وأبصارهم . فاقشعرّت منها جلودهم ، ووجلت قلوبهم ، فظنّوا أنّ صهيل جهنّم وزفيرها وشهيقها في أصول آذانهم ، وإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً ، وتطلّعت أنفسهم إليها شوقاً ، وظنّوا أنّها نصب أعينهم » .

وحديث ٧ في صفحة : ٨٣٠ ، عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ألا أخبركم بالفقيه حقّاً ؟! من لم يقنّط الناس من رحمة الله . ولم يؤمّنهم من عذاب الله ، ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يرخّص [خ . ل : لهم] في معاصي الله ، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ألا لا خير في علم ليس فيه فهم [خ . ل : تفهم] ، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر ، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقّه » .

الشيطان[١] ، وتمنع عذاب القبر[٢] ، وتقضي الحاجة[٣] ، وتزيد في العمر[٤] والرزق[٥] وتورث مزيد الجاه ، وعلوّ المكان والرفعة ، وصحّة البدن[٦] ،

(١) مستدرك وسائل الشيعة ١/٤٤ [الطبعة المحققة ١/٣٠٧ حديث ٦٨٩] باب ١٥ حديث ٩ في حديث النبي صلّى الله عليه وآله مع اليهودي ، وفيه قال النّبي : « أوّل ما يمسّ الماء يتباعد عنه الشيطان .. » .

(٢) وسائل الشيعة ١/٤٩ باب ٢ تحريم الدخول في الصلاة بغير طهارة ولو في التقيّة حديث ٢ [ط ج ١/٢٥٨] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « أُقعد رجل من الأحبار في قبره فقيل له : إنّا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله عزّوجلّ ، فقال : لا أطيقها .. فلم يزالوا به حتى انتهوا إلى جلدة واحدة ، فقال : لا أطيقها . فقالوا : ليس منها بُدّ . فقال : لم [خ . ل : فيما] تجلدونيها ؟ قالوا : نجلدك لأنك صلّيت يوماً بغير وضوء ، ومررت بضعيف [خ . ل : على ضعيف] فلم تنصره ، فجلدوه جلدة من عذاب الله فامتلأ قبره ناراً » .

(٣) وسائل الشيعة ١/٤٩ باب ٦ استحباب الوضوء لقضاء الحاجة حديث ٢ [ط ج ١/٢٦٢] ، عن : محمّد بن علي الحسين ـ في حديث ـ قال : وقال الصادق عليه السلام : « إنّي لأعجب ممّن يأخذ في حاجة وهو على وضوء كيف لا تقضى حاجته ؟! » .

(٤) وسائل الشيعة ١/٤٥ باب ١١ حديث ٣ [ط ج ١/٢٦٩] عن أنس بسنده ـ في حديث ـ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « يا أنس ! أكثر من الطهور يزيد الله في عمرك ، وإن استطعت أن تكون باللّيل والنهار على طهارة فافعل ، فإنّك تكون إذا متّ على طهارة شهيداً » .

(٥) مستدرك وسائل الشيعة ١/٤٣ [الطبعة المحققة ١/٣٠٠ حديث ٦٧٦ و١٣/٤١ حديث ١٤٦٨٤] باب ١٢ حديث ٧ في الحديث أنّه شكى اليه رجل قلّة الرزق ، فقال صلّى الله عليه وآله : « أدم الطهارة يدمْ عليك الرزق » . ففعل الرجل ذلك فوسّع عليه الرزق .

(٦) محاسن البرقي : ٤٢٥ حديث ٢٢٢ [الطبعة الحجرية : ٤٢٥] عن أبي عبدالله عن آبائه

والفرح والنشاط ، وتزيد في الحفظ والذهن .

وورد أنّ الوضوء نصف الإيمان[١] ، وأنّ المؤمن معقّب ما دام على وضوء[٢] ، ومن مات على طهارة مات شهيداً[٣] ، ومن بات على طهور كان كأنّما أحيى الليل[٤] ، ومن تطهّر وآوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده[٥] .

⇐ عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « يا عليّ ! إنّ الوضوء قبل الطعام وبعده شفاء في الجسد ، ويمن في الرزق » [واورده في بحار الأنوار : ٣٥٦/٦٦ حديث ١٧] .

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٤١/١ [الطبعة المحققة ٢٨٨/١ حديث ٦٣١ ، و٣٠٥/١ حديث ٦٨٨] باب ١ وجوب الوضوء للصلاة حديث ٩ ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : (الوضوء نصف الايمان) » .

(٢) وسائل الشيعة ٤٠٤/١ باب ١٦ حديث ١ [ط ج ١٠٣٤/٤ باب ١٧] عن هشام قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّي أخرج في الحاجة وأحبّ أن أكون معقّباً فقال : « إن كنت على وضوء فأنت معقّب » .

(٣) مستدرك وسائل الشيعة ٤٢/١ [الطبعة المحققة ٢٩٦/١ حديث ٦٦٠] باب ٩ حديث ٢ ، عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال : « من نام على وضوء ، إن أدركه الموت في ليله مات شهيداً » .

وفي وسائل الشيعة ٥٠/١ [الطبعة المحققة ٢٦٦/١] باب ١١ حديث ١١ ، فراجع .

(٤) وسائل الشيعة ٥٠/١ باب ٩ حديث ٣ [ط ج ٢٦٦/١] عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام ـ في حديث ـ : أنّ سلمان روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : « من بات على طهر فكأنّما أحيى الليل » .

(٥) وسائل الشيعة ٥٠/١ باب ٩ حديث ٢ [ط ج ٢٥٦/١] ، عن محمّد بن عليّ بن

وروي أنّ روح المؤمن في نومه تروح إلى الله تعالى فليلقاها ويبارك عليها(١) ، فلا ينبغي أن ينام إلّا على طهور .

وعليك بنيّ عند وسوسة الشيطان بالاستعاذة بالله منه(٢) ، والبسملة(٣) ، ثم قول « آمنت بالله ورسله مخلصاً له

⇐ الحسين عن الصادق عليه السلام قال : « من تطهّر و [خ . ل : ثم] آوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده » .

(١) وسائل الشيعة ١ / ٥٠ باب ٩ حديث ٤ [ط ج ١ / ٣٧٩ حديث ١٠٠٣ وجاء في ١ / ٥٠١ حديث ٣] عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « لا ينام المسلم وهو جنب ولا ينام إلاّ على طهور ، فإن لم يجد الماء فليتيمّم بالصعيد ، فإنّ روح المؤمن تروح إلى الله عزّوجلّ فليقاها ويبارك عليها ، فإن كان أجلها قد حضر جعلها في مكنون رحمته ، وإن لم يكن أجلها قد حضر بعث بها مع أُمنائه من الملائكة فتردّها إلى جسده » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ١ / ٢٨٤ [الطبعة المحققة ٦ / ٤٢٤ حديث ٧١٣٨] باب ٤٣ حديث ٣ عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه أتاه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ! إليك أشكو ما ألق من الوسوسة في صلاتي حتى لا أعقل ما صليت من زيادة ونقصان .. ـ إلى أن يقول ـ : « أعوذ بالله السميع العليم [بالسميع العليم] من الشيطان الرجيم » .

وحديث ١ ، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : « تعوّذ ـ بعد التوجه ـ من الشيطان ، تقول « وجهت وجهي ...» إلى قوله « وأنا من المسلمين ، ولا معبود سواك ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » .

وحديث ٢ ، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : « تعوّذ ـ بعد التوجه ـ من الشيطان ، تقول : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » .

(٣) [طب الأئمة : ١١٧ ، ولاحظ الباب ٩٩ و٩٨ من كتاب الذكر والدعاء من موسوعة بحار الأنوار ٩٥ / ١٣٦ ـ ١٣٩] .

الدين »[١] مع عقد القلب به .

وعليك بنيّ بحفظ أول أوقات الفرائض ، فإنّه أفضل وأبـرأ للـذمّة ، وأفرغ للبال ، وأروح للبدن ، وأجمع للفكر . وقد أرسل أنّه : « لا يـفلح عمل قبل الصلاة » . فأدِّ بُنَيَّ الفريضة في أوّل وقتها ، وآسـترح مِـن هَـمِّ تكليفها ، يتّسع بذلك رزقك إنْ شاء الله تعالى[٢] .

---

(١) الخصال ٢/١٦٣ .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ١/١٧١ باب تحريم الاستخفاف بـالصلاة والتهـاون بهـا ، حديث ١ [الطبعة المحققة ٣/٢٣ ـ ٢٤ حديث ٢٩٢٢] عن سيّدة النساء فاطمة ابنة سيّد الأنبياء صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها ، أنّها سألت أباها محمّداً صلّى الله عليه وآله فقالت : « يا أبتاه ! ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء ؟ » قال : « يا فاطمة ! من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمسة عشر خصلة : ستة منها في دار الدنيا ، وثلاث عند موته ، وثلاث في قبره ، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره . فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا ؛ فالأولى يرفع الله البركة من عمره ، ويرفع الله البركة من رزقه ، ويمحو الله عزّوجلّ سيماء الصالحين من وجهه ، وكلّ عمل يعمله لا يؤجر عليه ، ولا يرتفع دعاؤه الى السماء ، و[السادسة] ليس له حظّ في دعاء الصالحين .

وأما اللواتي تصيبه عند موته : فأولاهنّ أنه يموت ذليلاً ، والثانية يمـوت جـائعاً ، والثالثة يموت عطشاناً ، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه .

وأما اللواتي تصيبه في قبره : فأولاهنّ يوكّل الله به ملكاً يزعجه في قبره ، والثانية يضيق عليه قبره ، والثالثة تكون الظلمة في قبره .

وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره ، فأولاهنّ أن يوكلّ الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه ، والثانية يحاسب حساب شديداً ، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يزكّيه وله عذاب عظيم » .

[الالتزام بالنوافل]

وعليك بنيّ بالالتزام بنوافل الليل والنهار جميعاً ولو مخفّفة ، فإنّها مكمِّلة للفرائض(١) ، مضافاً إلى ما قَضَتْ به التجربة من مدخليّة نوافل الليل في سعة الرزق ، ونوافل الظهرين في التوفيق .

وإيّاك ثم إيّاك أن تتركها زعماً [منك] منافاتها للاشتغال ، فإنّها مؤيّدة لا منافية ، والعلم مقدّمة للعمل ، فلا وجه لترك ذي المقدّمة بالتسويلات النفسانية .

وعليك بنيّ بالاتيان بالفرائض جماعة مهما أمكن بإمامة أو إيتام . فإنّ فضلها عظيم فلا يفوتك(٢) .

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ١ /١٧٦ باب ١٣ عدد الفرائض ونوافلها حديث ٤ [الطبعة المحققة ٣ /٥٠ باب ١٣ حديث ٢٩٩٤] ، عن فقه الرضا عليه السلام ، قال : « اعلم ـ يرحمك الله ـ انّ الفريضة والنافلة في اليوم والليلة إحدى وخمسون ركعة ، والفرض منها سبع عشرة ركعة فريضة ، وأربع وثلاثون ركعة سنّة ، الظهر أربع ركعات ، والعصر أربع ركعات ، والمغرب ثلاث ركعات ، والعشاء الاخرة أربع ركعات ، والغداة ركعتان . فهذه فريضة الحضر .. إلى أن قال : والنوافل في الحضر مثلا الفريضة ، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : فرض عليَّ ربّي سبع عشرة ركعة ، ففرضت على نفسي وأهل بيتي وشيعتي بإزاء كل ركعة ركعتين لتتمّ بذلك الفرائض ، ما يلحقه من التقصير والثلم ، منها : ثمان ركعات قبل زوال الشمس ، وهي صلاة الأوّابين ، وثمان بعد الظهر ، وهي صلاة الخاشعين ، وثمان ركعات صلاة الليل ، وهي صلاة الخائفين ، وثلاث ركعات الشفع والوتر وهي صلاة الراغبين ، وركعتان عند الفجر ، وهي صلاة الحامدين » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ١ /٤٨٧ [الطبعة المحققة ٦ /٤٤٣ حديث ٧١٨٢] باب ١

وعليك بـالالتزام في أدبـار الفـرائـض بـتسبيح الزهـراء سـلام الله

⇐ حديث ١ عن الرضا عليه السّلام أنه قال : « فضل الجماعة على الفرد بكل ركعة ألف ركعة » .

وفي صفحة : ٤٨٧ حديث ٣ ، [الطبعة المحققة ٤٤٣/٦ حديث ٧١٨٤] عـن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « أتاني جبرئيل مع سبعين ألف ملك بعد صلاة الظهر فقال : يا محمّد ! إنّ ربّك يقرئك السّلام وأهدى إليك هديّتين لم يهدهما إلى نبيّ قبلك . قلت : وما الهديّتان ؟ قال : الوتر ثلاث ركعات ، والصـلوات الخمس في جماعة . قلت : يا جبرئيل ! وما لأمّتي في الجماعة ؟ قال : يا محمّد ! إذا كانا اثنين كتب الله لكلّ واحد بكلّ ركعة مائة وخمسين صلاة ، وإذا كانوا ثلاثة كتب الله لكلّ واحد بكلّ ركعة ستمائة صلاة ، وإذا كانوا أربعة كتب الله لكلّ واحد بكلّ ركـعة ألفـاً ومائتي صلاة ، وإذا كانوا خمسة كتب الله لكلّ واحد منهم بكلّ ركعة ألفين وأربعمائة صلاة ، وإذا كانوا ستة كتب الله لكلّ واحد منهم بكلّ ركعة أربعة آلاف وثمانمائة صلاة ، وإذا كانوا سبعة كتب الله لكل واحد منهم بكلّ ركعة تسعة آلاف وستمائة صلاة ، وإذا كانوا ثمانية كتب الله تعالى لكلّ واحد منهم تسعة عشر ألف ومائتين صلاة ، وإذا كانوا تسعة كتب الله تعالىٰ لكل واحد منهم ستة وثلاثين ألفاً وأربعمائة صلاة ، وإذا كـانوا عشرة كتب الله تعالىٰ لكل واحد بكلّ ركعة سبعين ألفاً وألفين وثمانمائة صلاة ، فـإن زادوا على العشرة فلو صارت بحار السماوات والأرض كلّها مداداً والأشجار أقـلاماً والثقلان مع الملائكة كتّاباً لم يقدروا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة .

يا محمّد ! تكبيرة واحدة يدركها المؤمن مع الإمام خير له من ستّين ألف حـجّة وعمرة ، وخير من الدّنيا وما فيها سبعين ألف مرّة ، وركعة يصلّيها المؤمن مع الإمام خير من مائة ألف دينار يتصدّق بها على المساكين ، وسجدة يسجدها المؤمن مع الإمام في جماعة خير من عتق مائة رقبة » .

عليها[١] ، وسجدة الشكر[٢] .

وإنْ كنتَ بُنَيّ في شدة من جهة ، فضع بقصد سجدة الشكر جبهتك على الأرض ، وآدعُ بما دعا به يوسف عليه السلام بتعليم جبرئيل إيّاه في الجبّ فنجّاه الله تعالىٰ منه ، وهو « اللّهم إنّي أسألك بأنّ لك الحمد لاٰ إله الاّ أنت المنّان ، بديع السماوات والأرض ، ذو الجلال والإكرام ، أن تصلّي على محمّد وآل محمّد ، وأن تجعل لي ممّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً[٣] ، وآرزقني مِنْ حيث أحتسب ومِنْ حيث لا أحتسب ، أسألك بمنّك العظيم وإحسانك

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٣٣٧/١ [الطبعة المحققة ٣٦/٥ حديث ٥٣٠٤] باب ٧ حديث ١ أبي جعفر عليه السّلام قال : تسبيح فاطمة عليها السلام من ذكر الله الكثير الذي قال الله تعالى : ﴿ أُذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ . [سورة البقرة (٢) : ١٥٢] » [وقريب منه حديث ٥٣٠٥] .

وباب ٦ حديث ٣ [الطبعة المحقّقة ٣٥/٥ حديث ٥٣٠٠] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « تسبيح فاطمة عليها السلام في كلّ يوم في دبر كلّ صلاة أحبّ إليَّ من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم .

وحديث ١ ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : « من سبّح تسبيح فاطمة عليها السلام في دبر المكتوبة من قبل أن يبسط رجليه أوجب الله له الجنّة » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٣٥٤/١ [الطبعة المحققة ١٥١/٥ حديث ٥٥٣٨] أبواب سجدة الشكر باب ١ استحبابها بعد الصلاة حديث ١ ، عن أبي عبدالله غليه السلام قال : « من سجد سجدة ليشكر نعمه وهو متوضّ كتب الله له عشر حسنات ، ومحا عنه عشر خطيئات عظام » .

(٣) [إلى هنا في تفسير الصافي ، وزاد القمي : وارزقني .. والباقي من مجمع البيان] .

القديم »[١] .

ثمّ ضع خدّك الأيمن وآدع بالدعاء الذي دعا به يوسف عليه السلام فنجّاه الله من السجن ، وهو « اللّهم إنْ كانت ذنوبي قد أخلقتْ وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً ، ولن تستجيب لي دعوة ؛ فإنّي أتوجّه إليك بنبيّك ؛ نبيّ الرحمة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام إلاّ ما فرّجْت عنّي »[٢] ، ثم ضع خدك الأيسر وآدعُ بما دعا به يعقوب عليه السّلام بتعليم جبرئيل عليه السّلام إيّاه ، فردَّ الله عليه بصره وآبنيه . وهو : « يا مَنْ لا يعلم أحد كيف هو وحيث هو وقدرته إلاّ هو ، يا مَنْ سدَّ الهواء بالسماء ، وكبس الأرض على الماء ، واختار لنفسه أحسن الأسماء ، ائتني بروح منك وفرج من عندك »[٣] .

---

(١) مجمع البيان ٥/٢١٧ ، تفسير الصافي ٣/١١ ، فراجع [قريب منه في تفسير علي بن ابراهيم القمي : ٣٣٠ ـ ٣٣١ من الطبعة الحجرية ، [الطبعة الحروفية : ١/٣٥٤ باختلاف كثير] وكذا في قصص الأنبياء وتفسير العياشي عن ابي سيار مثله] .

(٢) مجمع البيان ٥/٢١٧ فراجع . تفسير البرهان ٢/٢٦٨ حديث ٢٩ [وقد جاء ايضاً في تفسير القمي : ٣٢١ ـ ٣٢٢ من الطبعة الحجرية [١/٣٤٥ باسقاط واختلاف] . واورده العياشي رحمه الله في تفسيره ايضاً] .

(٣) تفسير البرهان ٢/٢٦٨ حديث ٢٧ عن عليّ بن إبراهيم ـ بسنده ـ قال عليه السلام : « فلمّا ولّى الرسول إلى الملك بكتاب يعقوب رفع يعقوب يديه إلى السماء وقال : « يا حسن الصحبة ، يا كريم المعونة ، يا خير كلمة ، ائتني بروح منك ، وفرج من عندك » . فهبط جبرئيل فقال له : يا يعقوب ، ألا أُعلّمك دعوات يردّ الله عليك بصرك وابنيك ؟

⇐

وعليك بنيّ بصوم أول خميس من كل شهر ، وآخر خميس منه ، وأول أربعاء من العَشْر الوسط فإنه يعدل صوم الدهر[١] .

وعليك بنيّ بقراءة ثلاث مرّات سورة التوحيد في كلّ يوم وليلة ، فإنّها تعدل ختم القرآن[٢] ، ولذا آفتخر سلمان رضوان الله عليه بصوم

⇐ قال : نعم . قال : قُل .. الدعاء . قال : « فما انفجر عمود الصبح حتّى أُتي بالقميص فطرح عليه وردّ الله عليه بصره وولده » .

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٥٩٢/١ [الطبعة المحققة ٥١١/٧ حديث ٨٧٧٦] باب ٦ حديث ٤ عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام أنّه قال : « وأمّا ما يلزم في كلّ سنة فصوم شهر معلوم مردود عليهم ذلك الشهر كلّ سنة ، وهو شهر رمضان ، ومن السنة سنة ، وهي مثل الفريضة المفروضة ، ثلاثة أيام من كلّ شهر ، يوم من كلّ عشرة أيّام ، أربعاء بين خميسين ، أول خميس يكون في أوّل الشهر ، والأربعاء الّتي تكون أقرب إلى نصف الشهر ، والخميس الذي يكون في آخر الشهر الذي لا يكون فيه خميس بعده ، ويصوم شعبان ، فذلك شهران مثل الفريضة ، يعني أنّه يصوم من عشرة أشهر ثلاثين يوماً ، ويصوم شعبان ، فذلك شهران » .

وفي حديث ٦ [الطبعة المحققة ٥١٢/٧ حديث ٨٧٧٨] عن إبراهيم بن العباس قال : ما رأيت أبا الحسن عليه السلام جفا أحداً بكلامه قطّ .. إلى أن قال : « وكان كثير الصيام ، فلا يفوته صيام ثلاثة أيّام في الشهر ، ويقول : ذلك صوم الدهر » .

وحديث ٥ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال : « من صام ثلاثة أيام من كلّ شهر كان كمن صام الدهر ، لأنّ الله عزّوجل يقول : ﴿ مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام (٦) : ١٦٠] » .

(٢) تفسير الصافي : ٥٤٠ [٣٩٤/٥] سورة التوحيد : في الإكمال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « من قرأ (قل هو الله أحد) مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنّما قرأ القرآن كلّه » .

الدّهر ، وإحياء الليل ، وختم القرآن ، في كلّ يوم وليلة مرّة ، ونازعه عُمَر في ذلك ، فاحتجّ عليه عند النّبي صلّى الله عليه وآله بصوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر ، والنوم على طهارة ، وقراءة التوحيد في كلّ يوم ثلاث مرات ، وقرّره النّبي صلّى الله عليه وآله علىٰ ذلك وصدّقه فيه(١) .

وإذا كنتَ بُنَيّ صائماً ندباً فدخلت على مؤمن فسألك الأكل والشرب فأفطر عنده من دون أن تخبره بصيامك ، وتَمُنَّ عليه بإفطارك ، فإنّك إنْ أفطرت عنده من دون إخباره ، كتب الله عزّوجل لك بذلك صيام سنة(٢) .

[مراجعة الأخبار والمواعظ]

وعليك بنيّ بمراجعة الأخبار والمواعظ ساعةً في كلّ يوم وليلة ، فإنّ لها تأثيراً غريباً في إحياء القلب ، وحفظ النفس الأمّارة من الطغيان .

---

(١) [وقد جاء مكرراً في اكثر من مصدر من العامة والخاصة ، لاحظ أمالي الشيخ الصدوق : ٢١ ـ ٢٣ ، ومعاني الأخبار : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، وما نقله ابن شهرآشوب في مناقب آل ابي طالب ٣/٢ ، وحكاه عن روضة الواعظين ، وقد جاء في كتاب علل الشرائع ، وعيون أخبار الامام الرضا عليه السلام وغيرها [٢٤٨ ـ ٢٦٤] [٩٤ ـ ١١٠] ، ولاحظ النص الكامل للحديث في بحار الأنوار ١٨١/٧٦ ـ ١٨٢ ، حديث ١ ، و٣٤٥/٩٢ ـ ٣٤٦ حديث ٥ مكرراً] .

(٢) فروع الكافي ١٥٠/٤ باب فضل إفطار الرجل عند أخيه إذا سأله حديث ٣ ، عن جميل بن درّاج قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « من دخل على أخيه وهو صائم فأفطر عنده ولم يعلمه بصومه فيَمُنّ عليه ، كتب الله له صوم سنة » .

[ترك الشبع]

وإيّاك بنيّ ـ حرسك الله تعالىٰ من الشرور ـ [من] الإفراط في الأكل ، فإنّ ذلك يورث الكسل ، وقسوة القلب(١) . وقد ورد أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الشيطان حين يملأ بطنه(٢) ، وما من شيءٍ أبغض إلى الله سبحانه من بطن مملوءة(٣) ، وليس شيء أضرّ على قلوب المؤمنين من كثرة الأكل ، فأَبْقِ ثُلُثاً للماء ، وثُلُثاً للتنفُّس ، وكُلْ بمقدار ثلث بطنك ؛ فإنّه أخفّ

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٣ / ٨٠ [الطبعة المحققة ١٦ / ٢١٠ حديث ١٩٦٢١] أبواب آداب المائدة باب ١ كراهة كثرة الأكل حديث ٦ عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « إيّاكم والبطنة ، فإنّها مفسدة للبدن ، ومورثة للسقم ، ومكسلة عن العبادة » .

وحديث ٧ [حديث ١٩٦٢٢] روي : « مَنْ قَلَّ طعامه صحّ بدنه وصفا قلبه ، ومن كثر طعامه سقم بدنه وقسا قلبه » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٣ / ٨١ [الطبعة المحققة ١٦ / ٢١٢ حديث ١٩٦٣٩] باب ٢ كراهة الشبع والأكل على الشبع حديث ٥ عن الرضا عن أبيه جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام في حديث مكالمة يحيى عليه السلام مع إبليس .. إلى أن قال : « قال يحيى : فهل ظفرت بي ساعة قط ؟ قال : لا ، ولكن فيك خصلة تعجبني . قال يحيى : فما هي ؟ قال : أنت رجل أكول ، فإذا أفطرت أكلت وشبعت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك باللّيل . قال يحيى عليه السلام : فإنّي أعطي الله عهداً أنّي لا أشبع من الطعام حتّى ألقاه . قال له إبليس : فإنّي أعطي الله عهداً أني لا أنصح مسلماً حتّى ألقاه .. ثم خرج فما عاد » .

(٣) مستدرك وسائل الشيعة ٣ / ٨٠ [الطبعة المحققة ١٦ / ٢٠٩ حديث ١٩٦١٨] أبواب آداب المائدة باب ١ كراهة كثرة الأكل حديث ٣ : عن أبي جعفر عليه السلام قال .. بلفظه .

لك ، وأقوى لمزاجك وبدنك(١) ، ولا تزعم أن القوة بكثرة الأكل ، بل بجودة الهضم ، وجودة الهضم مع قلة الطعام لا كثرته ، فإنّ مثل المعدة مثل القدر فكلّما كان مكان ما فيه أوسع ، كان طبخه أسرع وأحسن .

وإيّاك والأكل عند الشبع وعدم الاشتهاء ، فإنّ ذلك يورث التخمة التي هي أُم الأمراض ، والبرص والحماقة والبله(٢) .

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٣/٨٠ [الطبعة المحققة ١٦/٢١١ حديث ١٩٦٢٧] باب ١ كراهة كثرة الأكل حديث ١٢ قال الصادق عليه السلام : « قلّة الأكل محمود في كلّ حال ، وعند كلّ قوم .. » إلىٰ قوله : « وليس شيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل ، وهي مورثة شيئين : قسوة القلب ، وهيجان الشهوة . والجوع أدام المؤمنين ، وغذاء للروح ، وطعام للقلب ، وصحّة للبدن » .

وانظر : وسائل الشيعة ٣/٢٦٣ باب كراهة كثرة الأكل حديث ٥ [ط ج ١٦/٤٠٦] صالح النيلي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « انّ الله يبغض كثرة الأكل » . وقال أبو عبدالله عليه السلام : « ليس [خ . ل : بد] لابن آدم بد من أكلة يقيم بها صلبه ، فإذا أكل أحدكم طعاماً فليجعل ثلث بطنه للطعام ، وثلث بطنه للشراب ، وثلث بطنه للنفس .. » الى آخره .

(٢) وسائل الشيعة ٣/٢٣٦ باب ٤ كراهة التخمة والامتلاء حديث ١ [ط ج ١٦/٣١١] ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : « كلّ داء من التخمة ، إلاّ الحمّى فإنها تَرِدُ وروداً » .

وحديث ٣ باب ٢ [ط ج ١٦/٤٠٨] كراهة الشبع والأكل على الشبع ، عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « الأكل على الشبع يورث البرص » .

ومستدرك وسائل الشيعة ٣/٨١ حديث ١٨ [الطبعة المحققة ١٦/٢٢١ حديث

⇐

[ترك كثرة النوم]

وإيّاك وكثرة النوم ؛ فإنّها إفناء للعمر العزيز من غير حاصل . وليس غرضي من ذلك وما قبله العمل بالرّياضات ، بل أنهاك عنها ، لأنّها تعدم المزاج ، سيما في الأمكنة التي لا يساعد هواؤها للمزاج[1] ، كهذه البلدة الطيبة ونحوها ، بل غرضي بذلك الاقتصار على مقدار الحاجة ، وترك ما زاد على ذلك .

[كثرة الضحك]

وإيّاك بُنيّ وكثرة الضحك ، فإنّ الأخبار قد آستفاضت بأنّها تميت القلب[2] . وورد أنّها تذهب بماء الوجه ، وتمجّ الإيمان مجّاً[3] ، وأنّ دواء ذلك

⇐ ١٩٦٥٢] من غرر كلام أمير المؤمنين عليه السلام .. إلى أن قال : « ايّاك والبطنة فمن لزمها كثرت أسقامه ، وفسدت أحلامه » ، وقال عليه السلام : « لا تجتمع الفطنة والبطنة » .

وحديث ١٥ [حديث ١٩٦٤٩] عن الرضا عليه السلام وفيه : « ارفع يدك منه وبك إليه بعض القرم ، وعندك إليه ميل ، فإنّه أصلح لمعدتك ولبدنك ، وأزكى لعقلك ، وأخفّ لجسمك » .

(١) [كذا ، ولعله : للرياضة] .

(٢) وسائل الشيعة ٢١٧/٢ باب ٨٣ كراهة كثرة المزاح والضحك حديث ٢ [ط ج٨/٤٨١] عن منصور بن [خ . ل : عن] حريث ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « كثرة الضحك يميت [خ . ل : تميث] القلب » .

⇐

النظر إلى الظفر ، فإنّه يوجب سكونه ، وكفّارته قول : « اللّهم لا تمقتني »[٤] ، نعم الضحك اليسير الذي هو من شؤون حسن الخلق ممدوح ، ولقد كان ضحك رسول الله صلّى الله عليه وآله التبسّم[٥] .

وكالضحك ـ في المنع ـ كثرة المزاح ؛ لأنّه يذهب بماء الوجه[٦] ، ونور

⇐ وقال عليه السلام : « كثرة الضحك يميث [خ . ل : تميث] الدّين كما يميث [خ . ل : تميث] الماء الملح » .

(٣) وسائل الشيعة ٢/٢١٧ باب ٨٣ حديث ٧ [ط ج٨/٤٨١] عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السّلام قال : « كثرة المزاح يذهب [خ . ل : تذهب] بماء الوجه ، وكثرة الضحك يمجّ [خ . ل : تمج] الإيمان مجّاً » .

(٤) وسائل الشيعة ٢/٢١٦ باب ٨١ كراهة القهقهة حديث ٢ [ط ج٨/٤٧٩] ، عن خالد بن طهمان عن أبي جعفر عليه السّلام قال : « إذا قهقهت فقل حين تفرغ : « اللّهم لا تمقتني » .

(٥) وسائل الشيعة ٢/٢١٦ باب ٨٠ استحباب المزاح والضحك من غير إكثار حديث ١ [ط ج٨/٤٧٧] ، عن معمّر بن خلاد قال : سألت أبا الحسن عليه السلام فقلت : جعلت فداك ! الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون ؟ فقال : « لا بأس ما لم يكن .. » ـ فظننت أنّه عنى الفحش ـ ثم قال : « إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يأتيه الأعرابي فيأتي إليه بالهدية ثم يقول مكانه : أعطنا ثمن هديّتنا ، فيضحك رسول الله ، وكان إذا اغتمّ يقول : « ما فعل الأعرابي ؟ ليته أتانا » .

وحديث ٤ صفحة : ٤٧٨ ، عن يونس الشيباني قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « كيف مداعبة بعضكم بعضاً » ؟ قلت : قليل ، قال : « أفلا تفعلوا ؟! فإنّ المداعبة من حسن الخلق ، وإنّك لتدخل [خ . ل : بها] السرور على أخيك ، ولقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يداعب الرجل يريد أن يسرّه » .

(٦) وسائل الشيعة ٢/٢١٦ باب ٨٠ حديث ٦ [ط ج : ٨/٤٧٨] ، عن حمران بن أعين ⇐

الايمان(١) ، ويخفّف المروءة(٢) ، ويورث البغضاء(٣) ، ولكن قليله ممدوح مندوب ، وقد كانوا صلوات الله عليهم أجمعين يفعلونه ويأمرون اصحابهم به ، معلّلاً بأنّه يوجب إدخال السرور على الأخ المؤمن(٤) .

وإيّاك بنيّ والرضا بقتل مؤمن ، فقد روي عن مولانا الرضا عليه السلام : « إنّ من رضي شيئاً كان كمَنْ أتاه(٥) ، ولو أنّ رجلاً قتل في

⇐ قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت : أوصني . فقال : « أوصيك بتقوى الله ، وايّاك والمزاح فإنّه يذهب هيبة الرجل وماء وجهه » .

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٧٨/٢ باب ٦٩ حديث ٦ [الطبعة المحقّقة ٤١٨/٨ حديث ٩٨٥٠] عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « كثرة المزاح يذهب بماء الوجه ، وكثرة الضحك يمحوا الايمان محواً » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٧٧/٢ باب ٦٦ حديث ١٩ [الطبعة المحققة ٤١٣/٨ حديث ٩٨٣٥] عمرو بن جميع عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال : « إيّاكم وكثرة المزاح ، فإنّه يذهب بالبهاء عن الوجوه ويذهب بالمروءة » .

(٣) وسائل الشيعة ٢١٧/٢ باب ٨٣ حديث ٩ [ط ج ٤٧٢/٨] ، عن ابن القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إيّاك والمزاح فإنّه يجرّ السخيمة ، ويورث الضغينة ، هو السبّ الأصغر » .

(٤) وسائل الشيعة ٢١٦/٢ باب ٨٠ حديث ٤ [ط ج ٤٧٨/٨] ، وقد تقدم ذكره .

(٥) مستدرك وسائل الشيعة ٣٤٤/٢ باب ٨٠ تحريم الرضا بالظلم حديث ٣ [الطبعة المحققة ١٠٨/١٢ حديث ١٣٦٤٩] ، عن نهج البلاغة ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أيّها الناس ! يجمع الناس الرضا والسخط ، وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرضا ، فقال : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ [سورة الشعراء (٢٦) : ١٥٧] .

المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله شريك القاتل ، ولذا أنّ الحجّة المنتظر ـ عجّل الله تعالى فرجه وجعلنا من كلّ مكروه فداه ـ إذا ظهر يقتل ذراري قتلة سيد الشهداء عليه السلام لرضاهم بفعل آبائهم[١] .

وإيّاك والغِيْبَة والبهتان ، فإنهما يخلّيان كتابك من أعمال الخير ويملآنه بالشرّ ، لذهاب أعمالك الخيريّة بهما إلى كتاب من اغتبته أو بهتّ عليه ، وإتيان شروره إلى كتابك ، فتبقى صفر الكف .. بل مُحمّلاً أوزار غيرك[٢] .

---

(١) تفسير الصافي : ٥٩ [١/ ٢١٠] في تفسير آية : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة (٢) : ١٩٠] ، في العلل عن الرضا عليه السلام أنّه سئل : يابن رسول الله (ص) ! ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم ؟ » فقال : « هو كذلك » . فقيل : فقول ، الله عزّوجل : ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [سورة فاطر (٣٥) : ١٨] ما معناه ؟ فقال : « صدق الله في جميع أقواله ، لكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم كذلك ويفتخرون بها ، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه ، ولو أنّ رجلاً قتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي شريك القاتل ، وإنّما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضائهم بفعل آبائهم » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ١٠٦/٢ حديث ٣٠ [الطبعة المحققة ١٢١/٩ حديث ١٠٤١٨] عن النبي صلّى الله عليه وآله قال : « يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته ، فيقول : إلهي ليس هذا كتابي فإنّه لا أرى فيه طاعتي ، فيقال : إنّ ربّك لا يضلّ ولا ينسى ، ذهب عملك باغتياب الناس ، ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة ، فيقول : إلهي ! ما هذا كتابي ؟ فإنّي ما عملت هذه الطاعات . فيقال : إنّ فلاناً اغتابك فدفعت حسناته إليك » .

[إيّاك والحسد]

وإيّاك والحسد ؛ فإنّ الحاسد لا يَصِلُ عمله إلى السماء السادسة ، بل يضرب به وجه صاحبه ، وهو في التعب في الدنيا والآخرة ، أمّا في الدنيا فلحسده وحسرته[١] ، وأمّا في الآخرة فبعذاب الله تعالى له[٢] .

وكفاك برهاناً لقبحه أنّ الشيطان حسد آدم فاستحقّ العذاب الأليم[٣] . وإخوة يوسف عليه السلام حسدوه فأصابتهم الذلّة والخجالة

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٣٢٧/٢ باب ٥٥ تحريم الحسد [الطبعة المحققة ١٧/١٢ حديث ١٣٣٨٨ ذكر هنا احاديث ممتعددة] حديث ٥ ، عن أبي الفتح الكراجكي قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد ، نفس دائم ، وقلب هائم ، وحزن لازم » .

وقال عليه السلام : « لا مروءة لكذوب ، ولا راحة لحسود » .

وقال عليه السلام : « الحسود مغموم » .

وقال عليه السلام : « الحسود كثير الحسرات ، متضاعف السيئات » .

وقال عليه السلام : « الحسود دائم السقم وإن كان صحيح الجسم » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٣٢٧/٢ باب ٥٥ تحريم الحسد حديث ٦ [الطبعة المحققة ١٨/١٢ حديث ١٣٣٨٩] قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « لا يجتمع الحسد والايمان في قلب امرئ » .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « الحسد يميت الايمان في القلب كما يميت الماء الثلج » .

(٣) مستدرك وسائل الشيعة ٣٢٧/٢ باب ٥٥ حديث ٢ [الطبعة المحققة ١٦/١٢ حديث ١٣٣٨٥] ، عن محمد الحضرمي ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال : قال

⇐

والحاجة إليه[١] .

وورد أنّ « الحسود لا يسود »[٢] ، وأنّه « يأكل الإيمان والحسنات كما تأكل النّار الحطب »[٣] .

وإيّاك والاعتراض على الباري جلّ ذكره في أفعاله حتّى مثل كمّ الهواء حاراً أو بارداً ؟! ومثل قول : لو أن الله أغناني أو شفاني أو رزقني آبناً بدل البنت أو أبقى لي ولدي أو داري أو ملكي أو فعل بي .. كذا وكذا لكان أصلح أو أحسن .. وأمثال ذلك من العبارات المشعرة بالاعتراض ، المعدودة من الشرك الخفيّ .

وإيّاك وآختيار سوء لنفسك بقول : اللهم أمتني .. أو خُذْ عمري .. أو نحو ذلك ، فإنّ يوسف عليه السلام لمّا شكا في السجن إلى الله تعالى فقال : « يا رب ! بماذا آستحققت السجن » ، فأوحى إليه : « أنت آخترته حيث

⇐ رسول الله صلّى الله عليه وآله في خطبة يوم الغدير : « معاشر الناس ! إنّ إبليس أخرج آدم من الجنّة بالحسد ، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم ، وتزول أقدامكم ، فإنّ آدم أهبط إلى الأرض بخطيئة واحدة ، وإنّ الملعون حسده على الشجرة ـ وهو صفوة الله ـ فكيف بكم .. وأنتم أنتم ؟! » .

(١) مجمع البيان ٥/٢١١ ـ ٢٦٥ فراجع حسد إخوة يوسف ، ثم ذلّتهم عند ما طلبوا منه أن يبيعهم الطعام وحاجتهم إليه .. إلى آخره .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٢٨ [الطبعة المحققة ١٢/٢١ حديث ١٣٤٠١] .

(٣) أصول الكافي ٢/٣٠٦ باب الحسد حديث ١ عن محمّد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « إنّ الرجل ليأتي بأيّ بادرة فيكفر ، وإنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب » .

قلت : ﴿ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾[١] ، وهَلاَّ قلت : العافية أحب إليّ مما يدعونني إليه »[٢] ؟

وإيّاك وآرتكاب معصية خوفاً من أحد ، فإنّ الطاعة بترك مبغوض الله تعالى تنجيك لا محالة كما نجا يوسف عليه السلام وبلغ ما بلغ بتركه الزنا خوفاً من الله سبحانه[٣] .

[إيّاك والكذب]

وإيّاك والكذب ، فإنّ الله يمقت به العبد ويذلّه بين خلقه ، ويكون الكاذب ساقط الاعتبار بين الناس ولا يوثق بشيءٍ من أقواله وأفعاله ، بل ينبغي ترك التورية أيضاً وإنْ لم تكن كذباً ، لأنّا قد جرّبنا مراراً فوجدنا صدق « إنّ النجاة في الصدق »[٤] . وكم من قضايا صدق فيها الشخص ـ مع الخوف الشديد العادي ـ ، فنجّاه الصدق بالأثر القهري .

---

(١) سورة يوسف (١٢) : ٣٣ .

(٢) تفسير الصافي : ٢٤٤ [٣/١٩] في تفسير الآية الكريمة من سورة يوسف (١٢) : ٣٥ ﴿ ثُمَّ بَدٰا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا رَأَوُا الْآيٰاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتّٰى حِينٍ ﴾ عن الباقر عليه السلام .. الحديث ، بلفظه .

(٣) وذلك لقوله عزّوجلّ : ﴿ قٰالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّٰا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاّٰ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجٰاهِلِينَ . فَاسْتَجٰابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة يوسف (١٢) : ٣٣] .

(٤) مستدرك وسائل الشيعة المجلد الثاني ص ٨٤ باب ٩١ وجوب الصدق حديث ١٧ ، [وقريب منه في المستدرك ١٢/١٧٤ حديث ١٢٨١٠ الطبعة المحققة] .

وإيّاك وتلقين الكذب ، وقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « لا تُلَقّنوا الكذب فتكذبوا ، فإنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذئب يأكل الإنسان حتى لَقّنَهم أبوهم »[١] .

[إيّاك والشماتة]

وإيّاك والشماتة ؛ فإنّ عمل الشامت يضرب به وجه صاحبه ، وما أصاب غيرك يمكن أن يصيبك مثله[٢] .

[ترك ما يقسي القلب]

وإيّاك وآرتكاب ما يُقسّي القلب ؛ فإنّ قساوة القلب من المذمومات جداً ، ولَعلّي أجمع لك مُقسّيات القلب في خاتمة كتاب الآداب الذي وعدتك بتأليفه لك[٣] .

---

(١) مجمع البيان ٥/٢١٦ عن النبي صلّى الله عليه وآله قال : « لا تلقّنوا الكذب فتكذبوا ، فإنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذئب يأكل الإنسان حتى لقّنهم أبوهم بقوله : ﴿ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ » [سورة يوسف (١٢) : ١٣] .

(٢) وسائل الشيعة ١٧٣/١ باب ٧٨ حديث ١ ، بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال : « لا تبد الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويصيّرها بك » . ولاحظ : حديث ٢ .

(٣) وهو الكتاب الجليل (مرآة الكمال) الذي يعتبر المجلد التالي لهذا الكتاب [لاحظ المجلد الثالث منه : ٥٩٦ ـ ٥٩٨] .

[ترك الكبر والغرور]

وإيّاك بنيّ ! ـ أعانك الله سبحانه على نفسك ـ والكبر والغرور ، فإني قد جرَّبتُ فوجدتُ أنّ مِن عادة الله جلّ شأنه إذلال المتكبّر وإرغام أنفه ، وما آغتررت بشيءٍ إلاّ وخيّب الله تعالى رجائي منه . وكم من مغرور بشيءٍ قد سلّط الله عليه الذلّ والصغار على وجه ما كان يخطر ببال عاقل أبداً . وقد ورد أنّ الله تعالى ليبغض المتجبّر المتكبّر المختال في مشيه[١] ، وأنّ مَنْ مشى في الأرض آختيالا لعنته الأرض ومَنْ تحتها ومَنْ فوقها[٢] ، وأنّ المختال لَمُعانِد لِجَبَّار السماوات والأرض[٣] .

بل لا يخفى عليك بنيّ أنّ التكبّر والتجبّر والاختيال من السفه ، لأنّ

(١) وسائل الشيعة ٤٧٢/٢ باب ٥٨ حديث ٦ [ط ج ٣٠٣/١١ باب ٥٩] ، عن الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عليهم السلام قال : « إن الله تبارك وتعالى ليبغض بيت [خ . ل : البيت] اللحم واللحم السمين » فقال له بعض أصحابنا : يابن رسول الله ! انّا لنحب اللحم وما تخلو بيوتنا منه ، فكيف ذلك ؟ فقال : « ليس حيث تذهب ، إنّما بيت اللحم الذي يؤكل لحوم الناس فيه بالغيبة ، وأما اللحم السمين فهو المتجبّر المتكبّر المختال في مشيه » .

(٢) وسائل الشيعة ٤٧٢/٢ باب ٥٨ حديث ٩ [ط ج ٣٠٤/١١ باب ٥٩] ابن فضال ، عمّن حدثه قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله .. بلفظه .

(٣) وسائل الشيعة ٤٧٢/٢ باب ٥٨ حديث ١٠ [ط ج ٣٠٤/١١ باب ٥٩] ، عن أحمد بن محمد عن أبيه قال : قال ابو جعفر عليه السلام : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « ويل لمن يختال في الأرض يعاند جبّار السماوات والأرض » .

كلّ عاقل إذا لاحظ أوّله وآخره وما هو فيه كان تكبّره سفهاً . ولذا تعجبوا عليهم الصلاة والسلام مِن تكبّر آبن آدم بأنّ « أوله نطفة ، وآخره جيفة ، وهو بينهما وعاء للغائط ، فكيف يتكبّر ؟! »[١] . وورد « أنّ أصل الغائط لتصغير آبن آدم لئلّا يتكبّر وهو يحمل غائطه معه »[٢] .

فلا ينبغي أن يرى نفسه فوق ذلك فضلاً مِن أن يتكبّر على أحد .

فعليك بنيّ ـ بحفظ نفسك من الكبر والخيلاء ، والتحرّز من موجبات ذلك ، مثل لبس الثوب الطويل الّذي يجرّ في الأرض عند المشي ، فإنّ مَنْ لبسه وآختال فيه لم يجد ريح الجنة[٣] ، ويخسف الله به قبره من شفير جهنم ، ويكون قرين قارون ، لأنّه أول من آختال فخسف به وبداره[٤] .

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٣٠ باب ٥٩ حديث ١٠ [الطبعة المحققة ١٢/٣٣ حديث ١٣٤٣٩] قال صلّى الله عليه وآله : « يا عجباً كلّ العجب للمختال الفخور ، خلق من نطفة ثم يعود جيفة ، وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به » .

(٢) فروع الكافي ٣/٧٠ حديث ٣ .

(٣) وسائل الشيعة ١/٢٨٣ باب ٢٣ كراهة اسبال الثوب حديث ١١ [ط ج ٣/٣٦٩] عن الصادق أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « لا يجد ريح الجنة عاق ، ولا قاطع رحم ، ولا مرخي الإزار خيلاء » .

(٤) وسائل الشيعة ١/٢٨٣ باب ٢٣ كراهة إسبال الثوب حديث ٦ [ط . ج ٣/٣٦٧] عن الصادق عن آبائه عليهم السلام ـ في حديث المناهي ـ قال : « ونهى رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يختال الرجل في مشيه ، وقال : من لبس ثوباً فاختال فيه خسف الله به من شفير جهنم وكان قرين قارون ، لأنه أوّل من اختال فخسف الله به وبداره الأرض ، ومن اختال فقد نازع الله في جبروته » .

ومثله الجلوس مع قيام آخر تعظيماً لك ، فإنّه من موجبات الكبر .

وقد ورد : « أنّ مَنْ أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام وهو متكبّر عليهم » [(١)] .

وقد جعلوا عليهم السلام دواء الكبر لبس الثوب المرقع ، والنعل المخصوف ، وتعفير الوجه ، وحمل السلعة من السوق إلى الدار ، وركوب الحمار ، وحلب المعز ، ومجالسة المساكين[(٢)] .

وقد سلب الله أشخاصاً نعماً عظاماً للكبر ، وكفاك منها ما مرَّتْ الإشارة إليه من سلب النبوّة من نسل يوسف عليه السلام لعدم نزوله عن تخت الملك[(*)] كبراً على يعقوب عليه السلام عند رؤيته إيّاه[(٣)] . وأعظم منه

---

(١) جامع السعادات ٣٥٩/١ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار ، فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام » [وارسله العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٢٠٦/٧٣ عنه عليه السلام] .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٣٢٩/٢ باب ٥٨ تحريم التكبّر حديث ٥ [الطبعة المحققة ٢٧/١٢ حديث ١٣٤١٧] عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « يا أبا ذر ! أكثر مَنْ يدخل النار المتكبّرون » . فقال رجل : وهل ينجو من الكبر أحد ؟ قال : « نعم ، من لبس الصوف ، وركب الحمار ، وحلب العنز ، وجالس المساكين . يا أبا ذر ! من حمل بضاعته فقد برئ من الكبر ـ يعني من السوء [كذا ، وفي المصدر : السوق] ـ ، يا أبا ذر ! من رقع ذيله ، وخصف نعله ، وعفّر وجهه ، فقد برئ من الكبر » .

(*) خ . ل : أو عن مركبه [منه (قدّس سرّه)] .

(٣) مجمع البيان ٢٦٤/٥ ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « لمّا أقبل يعقوب عليه السلام إلى مصر ، خرج يوسف عليه السلام ليستقبله ، فلمّا رآه يوسف

⇐

سلب الله تعالى من الشيطان نعمة القرب لكبره عن السجود لآدم عليه السلام[١] .

فعليك بنيّ بحفظ نفسك من التكبّر حتّى تخلص من مضارّه المذكورة .

[وعليك بالتواضع]

وعليك بنيّ بالتواضع حتى تنال به خير الدنيا والآخرة ، فقد ورد أنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة[٢] ، وأنّ فيه

⇐ همّ بأن يترجّل له ، ثم نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل ، فلمّا سلم على يعقوب نزل عليه جبرئيل فقال : « يا يوسف ! إنّ الله جلّ جلاله يقول : منعك أن تنزل إلى عبدي الصالح ما أنت فيه ؟! أبسط يدك .. » فبسطها ، فخرج من بين أصابعه نور ! فقال : « ما هذا يا جبرئيل ؟ » قال : « هذا أنه لا يخرج من صلبك نبيّ أبداً ، عقوبة بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل إليه !! » [واورده الشيخ الصدوق عليه الرحمة في اماليه مفصلاً : ١٤٩ ـ ١٥٢ ، وحكاه عنه العلامة المجلسي في بحاره ١٢/٢٥٦ ـ ٢٦١ ، ولاحظ : علل الشرائع : ٢٩ ـ ٣٠ حيث هناك اكثر من رواية في المقام] .

(١) سورة ص (٣٨) : ٧١ : ﴿ إِذْ قٰالَ رَبُّكَ لِلْمَلاٰئِكَةِ إِنِّي خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكٰانَ مِنَ الْكٰافِرِينَ * قٰالَ يٰا إِبْلِيسُ مٰا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمٰا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰالِينَ * قٰالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نٰارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قٰالَ فَاخْرُجْ مِنْهٰا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَأَنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ولاحظ سورة الاعراف (٧) : ١١ ـ ١٣ .

(٢) وسائل الشيعة ٢/٤٥٧ باب ٢٨ استحباب التواضع حديث ١ [ط . ج ١١/٢١٨ ⇐

الشرف[١] ، وبه تعمر الحكمة[٢] ، وأنّه مزرعة الخشوع والخشية والحياء[٣] ، وأنّه لا يسلم الشرف التام الحقيقي إلاّ للمتواضع في ذات الله ، وأنّ الله تعالى ليباهي الملائكة بالذين يتواضعون ، وأنّ ما من أحد من ولد آدم عليه السلام إلاّ وناصيته بيد ملك ، فإنْ تكبّر جذب بناصيته الى الأرض ، ثم قال له : تواضعْ وَضَعَك الله ، وإنْ تواضع جذب بناصيته ، وقال له : ارفعْ رأسك رفعك الله ولا وضعك بتواضعك لله[٤] ، وأنّ الله تعالى إنّما اصطفىٰ

⇐ باب ٢٩] عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث جعفر بن أبي طالب الطيّار مع النجاشي ـ وفيه : أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله لمّا بلغه حديث جعفر قال لأصحابه : « انّ الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدّقوا يرحمكم الله ، وأنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله ، وأنّ العفو يزيد صاحبه عزّاً فاعفوا يعزّكم الله » .

(١) مستدرك وسائل الشيعة ٣٠٦/٢ [الطبعة المحققة ٢٩٨/١١ ـ ٢٩٩ حديث ١٣٠٨٧] عن الصادق عليه السلام ـ في جملة حديثه ـ قال : « ولا يسلم الشوق التام الحقيقي إلاّ للمتواضع في ذات الله تبارك وتعالىٰ » .

(٢) وسائل الشيعة ٤٥٧/٢ باب استحباب التواضع للعالم والمتعلّم حديث ٢ [ط ج ٢١٩/١١ باب ٣٠] وفيه أنّه قال عيسى عليه السلام : « وبالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبّر » .

(٣) مستدرك وسائل الشيعة ٣٠٦/٢ [الطبعة المحققة ٢٩٩/١١ حديث ١٣٠٨٧] عن الصادق عليه السلام في جملة حديثه .. بلفظه .

(٤) وسائل الشيعة ٤٧١/٢ باب ٥٨ تحريم التكبّر حديث ١٠ [ط ج ٣٠٠/١١] عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام ، أنّ عليّاً عليه السلام قال : « ما من أحد من ولد آدم إلاّ وناصيته بيد ملك ، فإن تكبّر جذبه بناصيته إلى الأرض ، ثم قال له : تواضع ⇐

موسىٰ عليه السلام لكلامه لتواضعه وكونه أذلّ خلقه نفساً ، فجعله أرفعهم شأناً في عصره[١] ، وأنّ المتواضعين أقرب الناس إلى الله تعالى[٢] .

[النهي عن الاستحقار]

وإيّاك بنيّ وأنْ تستحقر شيئاً من المخلوقات ، فإنّه إهانة للصانع . ألا ترى ان نوحاً عليه السلام مَرَّ على كلب أجرب فقال : ما هذا الكلب ؟ فنطق الكلب وقال : يا نوح ! هكذا خلقني ربّي ، فإنْ قدرتَ أنْ تغيّر صورتي بأحسن من هذه الصورة فافعل ، فندم نوح عليه السلام على ما قال ، وبكى على مقالته أربعين سنة حتى سمّاه الله تعالى : نوحاً ، وقد كان اسمه : عبدالجبار ، فقال تعالى : « إلى متى تنوح يا نوح !؟ فقد تُبْتُ عليك »[٣] .

⇐ وضعك الله ، وإن تواضع جذبه بناصيته ، ثم قال له : ارفع رأسك رفعك الله ولا وضعك بتواضعك لله » .

(١) جامع السعادات ٣٤٦/١.

(٢) وسائل الشيعة ٤٥٦/٢ باب ٢٨ استحباب التواضع حديث ٢ [ط ج ٢١٥/١١] عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : « فيما أوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام : يا داود ! كما أنّ أقرب الناس من الله المتواضعون ، كذلك أبعد الناس من الله المتكبّرون » .

(٣) مستدرك وسائل الشيعة ٢٩٤/٢ حديث ٣٠ [الطبعة المحققة ٢٤٤/١١ حديث ١٢٨٧٦] روي أنّ نوحاً عليه السلام مرّ على كلب كريه المنظر فقال نوح : ما أقبح هذا ⇐

وكذلك موسى عليه السلام لَمَّا أمره الله تعالى باستصحاب مَنْ يكون موسى عليه السلام خيراً منه لما آستصحب الكلب الأجرب ، ثم أرسله في أثناء الطريق ، فلمّا ذهب للمناجاة أقسم الله تعالى على أنه لو كان آتياً به بزعم أنه خير منه لَمَحَاه عن ديوان النبوة .

فلا تحسب بنيّ نفسك خيراً حتى من الكلب الأجرب ، وقد حكي عن بعض العارفين أنه قال : ما دام العبد يظن أنّ في الخلق مَنْ هو شرّ منه فهو متكبّر .

[النهي عن الحرص]

وإيّاك بنيّ والحرص ، فإنَّ جَدَّنا آدم عليه السلام لم يُنْفَ من الجنّة إلا لحِرْصه على أكل الحنطة مع إباحة سائر ما في الجنّة له(١) ، وأنّ ترك الحرص من جملة نصائح الشيطان الّتي أمر الله تعالى نوحاً باستماعها(٢) ، كما

⇐ الكلب ! فجثى الكلب وقال بلسان طلق ذلق : إن كنت لا ترضىٰ بخلق الله فحوّلني يا نبيّ الله ، فتحيّر نوح عليه السلام وأقبل يلوم نفسه بذلك ، وناح على نفسه أربعين سنة حتى ناداه الله : « إلى متى تنوح يا نوح فقد تبت عليك » .

(١) سورة طه (٢٠) : ١١٧ ـ قوله عزّ من قائل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلاَّ اِبْلِيْسَ أَبىٰ * فَقُلْنَا يَا آدَمُ اِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقىٰ * اِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرىٰ * وَاَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحىٰ * فَوَسْوَسَ اِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلىٰ * فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ ﴾ .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٣٥ باب ٦٤ حديث ١ [الطبعة المحققة ١٢/٥٨ حديث

أنّ منها أنْ لا تخلو بامرأة أجنبية ، قال [لعنه الله] : فإنّك إنْ خلوتَ بها مِنْ غير ثالث كنتُ أنا الثالث ، فأسوّل لك حتّى أوقعك في الزنا(١) .

[النهي عن العُجْب]

وإيّاك بنيّ والعجب ، فإنّه آفة الدّين ، ومفني العمل ، ومـوردك في الهلكات . ألا ترى أنّ صاحب عيسى عليه السلام لمّا قال ـ كعيسى عليه السلام ـ : « بسم الله » بصحة اليقين منه ، ومشى على الماء خلف عـيسى عليه السلام ، فدخله العجب بنفسه ، فقال : هذا عيسى عليه السلام روح الله يمشي على الماء ، وأنا أمشي على الماء ، فما فضله عـلَيَّ ؟! رمس(*) في الماء ، فاستغاث بعيسى عليه السلام ، فتناوله فأخرجه ، وسأل عيسى عليه السلام عن السبب ، فأخبره ، فقال له عيسى عليه السلام : « لقد وضعتَ نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه ، فمقتك الله على ما قلت ، فتُبْ

⇐ ١٣٥٠١] ، عن علاء بن سيابة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « لمّا أهبط نوح عليه السلام من السفينة أتاه ابليس لعنه الله تعالى فقال له : ما في الأرض رجل أعظم منّة عليّ منك ، دعوت الله على هؤلاء الفسّاق فأرحتني منهم ، ألا أعلّمك خصلتين : إيّاك والحسد فهو الذي عمل بي ما عمل ، وإيّاك والحرص فهو الذي عمل بآدم ما عمل » .

(١) جاء في الكلمات القصار للرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله طبعة ايران لسنة ١٣٤٢ شمسية صفحة : ٣٥٢ قال صلّى الله عليه وآله : « لا يخلونّ رجل بامرأة فـإنّ ثـالثهما الشيطان » [ولاحظ : من لا يحضره الفقيه ٢٥٢/٣ حديث ٣٩١٣] .

(*) خبر : أن صاحب [عيسى] [منه قدس سره] .

إلى الله تعالى ممّا قلت ، فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله تعالى فيها[١] .

فعليك بنيّ حفظك الله من كلّ شرّ ـ بحفظ نفسك من العجب ، والوضع للنفس في غير الموضع الذي وضعك [الله] فيه .

[النهي عن الرياء]

وإيّاك بنيّ والرياء ، فإنّه شِرْك بالله العظيم ، كما نطقت به الأخبار المستفيضة ويساعده الاعتبار . وقد ورد أنّ مَنْ عمل لغير الله تعالى وكله

---

(١) أصول الكافي ٢/٣٠٦ عن داود الرقي قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « اتّقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً ، إنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان من شرائعه السيح في البلاد ، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير ـ وكان كثير اللزوم لعيسى عليه السلام ـ فلمّا انتهى الى البحر قال « بسم الله » بصحة اليقين منه ، فمشى على ظهر الماء ، فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام جازه بصحّة اليقين ، فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام ، فدخله العجب بنفسه . فقال : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله عليَّ ! قال : فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه ، ثم قال له : « ما قلتَ يا قصير ؟ » قال : قلت هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء ، فدخلني من ذلك عجب . فقال له عيسى عليه السلام : « لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت ، فتب إلى الله عزوجل ممّا قلت » . قال : فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها ، فاتّقوا الله ولا يحسدنّ بعضكم بعضاً » .

الله إلى عمله يوم القيامة[١] ، وأنّ المرائي يوم القيامة يُدْعى بأربعة أسماء : يا فاجر ، يا كافر ، يا غادر ، يا خاسر ، حبط عملك ، وبطل أجرك ، فلا خلاص لك اليوم ، فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له »[٢] .

مضافاً إلى ما ورد من أنّ مَنْ أراد الله عزّوجلّ بالقليل من عمله أظهره الله له أكثر ممّا أراد به ، ومَنْ أراد الناس بالكثير من عمله في تعب مِنْ بدنه ، وسهر من ليله ، أبىٰ الله إلاّ أن يقلّله في عين مَنْ سمعه[٣] . وإلى استقباح العقل التدليس بعبادة الله ظاهراً ، وعبادة مخلوق باطناً ، وإلى إباء العقل[٤] مِنْ أنْ يعبد الإنسان مثله أو أدنى منه من المخلوقين العاجزين عن دفع ضَرّ البعوضة والبرغوث عن أنفسهم ، القاصرين عن آسترجاع ما

---

(١) أصول الكافي ٢٩٣/٢ حديث ١ عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لعبّاد بن كثير البصري في المسجد : « ويك ـ يا عبّاد ـ إيّاك والرياء ، فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له » .

(٢) وسائل الشيعة ١١/١ باب تحريم قصد الرياء والسمعة بالعبادة حديث ١٧ [ط ج ٥٠/١ حديث ١٦] عن جعفر بن محمّد الصادق عن آبائه عليهم السلام : « أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله سئل فيما النجاة غداً ؟ فقال : إنّما النجاة في أن لا تخادعوا [خ . ل : تخادع] الله فيخدعكم ، فإنّه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الايمان ، ونفسه يخدع لو يشعر » . قيل له : فكيف يخادع الله ؟ قال : « يعمل بما أمر [خ . ل : أمره] الله ثم يريد به غيره ، فاتّقوا الله في الرياء فإنّه الشرك بالله ، إنّ المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء : يا كافر ، يا فاجر ، يا غادر ، يا خاسر ، حبط عملك ، وبطل أجرك ، فلا خلاص لك اليوم فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له » .

(٣) أصول الكافي ٢٩٦/٢ حديث ١٣ بلفظه .

(٤) في الاصل : العار .

آستلبه الذباب منهم(١) .

[النهي عن القنوط والامن من مكر الله]

وإيّاك بنيّ والقنوط من رحمة الله سبحانه ، والأَمْن مِنْ مَكْرِه ، فإنّهما من الكبائر(٢) المسخطة للرب ، وفي كلّ منهما آستصغار له تعالىٰ .

وقد شاهدنا بعض المذنبين لم يقنع الشيطان منه بارتكاب المعصية ، بل وسوس إليه حتّى قنّطه من رحمة الله سبحانه ، وحصل له اليأس من أنْ يتوب الله تعالى عليه ، فترك التوبة لذلك .. فجمع بين أصل المعصية وبين معصية أخرى كبيرة ، وهو القنوط ، وبين ترك التوبة الواجبة الماحية للذنب .

---

(١) سورة الحج (٢٢) : ٧٣ قوله تعالىٰ : ﴿ يا أَيُّها النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ اِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

(٢) أصول الكافي ٢ / ٢٨٠ حديث ١٠ عن مسعدة بن صدقة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « الكبائر : القنوط من رحمة الله ، والياس من رَوْح الله ، والأَمْن من مكر الله ، وقتل النفس التي حرّم الله ، وعقوق الوالدين ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، وأكل الربا بعد البينة ، والتعرب بعد الهجرة ، وقذف المحصنة ، والفرار من الزحف .. » إلى آخره .

[التوبة من الذنوب]

فعليك بنيّ إذا سَوّل لك الشيطان وأوقعك في مخالفة الرحمن أنْ تبادر إلى التوبة ، وتسارع إلى الإنابة التي هي سبب المغفرة ؛ فإنّ التوبة عن جدّ تمحو السيئة[1] . بل عليك بنيّ دائماً بالمواظبة على التوبة ، والمداومة عليها ، فإنّ العبد لا يخلو من زَلّة وخطيئة ، وترك الاَوْلى .

وٱعلم بنيّ أنّ التوبة ليست عبارة عن الاستغفار ، فإنّ الاستغفار مع القيام على الذنب ٱستهزاء بالربّ ، بل التوبة الكاملة ـ على ما ورد عن الأئمّة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين ـ تجمعها ستة أشياء هي : الندامة

(١) أصول الكافي ٤٣٢/٢ حديث ٥ ، عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا رفعه قال : إنّ الله عزّوجلّ أعطى التائبين ثلاث خصال ، لو أعطى خصلة منها جميع أهل السماوات والأرض لنجوا بها ؛ قوله عزّوجلّ : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِين ﴾ [سورة البقرة (٢) : ٢٢] فمن أحبّه الله لم يعذّبه .

وقوله : ﴿ اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ويُـؤمِنُونَ بِـهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيْلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنا وَاَدْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلُحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيّاتِهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة غافر (٤٠) : ٦ ـ ٧] .

وقوله عزّوجلّ : ﴿ وَالَّذِيْنَ لاٰ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلٰـهاً آخَرَ وَلاٰ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ اِلاّ بِالْحَقِّ وَلاٰ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ اَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَـوْمَ الْـقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً * اِلاّ مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [سورة الفرقان (٢٥) : ٦٨ ـ ٧٠] .

على ما مضىٰ ، والعزم على عدم العود عليه فيما يُستقبل أبداً ، واداء حقوق المخلوقين إليهم حتى لا تبق عليك تبعة إلاَّ وخرجْتَ منها بالاستحلال ، وردّ المظالم ، وأن تعمد إلى كلّ فريضة ضيّعتها فتؤدّي حقّها ، وأن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد ، وأن تذيق الجسد ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية .. فعند ذلك تستغفر الله تعالى ، فهذه هي التوبة الكاملة[١] ، وإلاَّ فقد آتفق أهل العدل على سقوط العقاب عن هذه الأُمَّة ببركة النبي صلّى الله عليه وآله بمجرّد الندم على ما مضىٰ ، والعزم على عدم العود فيما يأتي أبداً والاستغفار[٢] .

نعم كانت على الأُمم السالفة في غاية الصعوبة ، كما لا يخفى على مَنْ لاحظ الأخبار الواردة في قصصهم . ففي الخبر الطويل عن أمير المؤمنين عليه السلام المتكفّل لبيان ما مَنَّ الله تعالى ببركة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم على هذه الأُمَّة في تفسير قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرَاً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾[٣] ، أنّه تبارك آسمه قال : قد رفعت عن

---

(١) نهج البلاغة ٣/٢٥٢ رقم ٤١٧ [طبعة بيروت ٣/٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، وطبعة صبحي صالح : ٥٤٩ ـ ٥٥٠] ، ووسائل الشيعة ٢/٤٨٢ باب ٨٥ حديث ٤ [الطبعة الجديدة ١٦/١٧ ، حديث ٢١٠٢٨] عن نهج البلاغة باختلاف يسير . وقال : ورواه الديلمى فى الارشاد .

(٢) تفسير الصافي : ٢٦ من الطبعة الحجرية ، آخر سورة البقرة (٢) [١/٢٨٩] رقم الآية : ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة (٢) : ٢٨٦ .

أمّتك الآصار التي كانت على الأمم السالفة .. إلى أن قال جلّ ذكره : وكانت الأمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم ، وجعلتُ توبتهم من الذنوب أَنْ حرَّمْتُ عليهم بعد التوبة أحبّ الطعام ، وقد رفعتُ ذلك عن أمتك ، وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم ، وجعلت عليهم ستوراً[1] كثيفة ، وقبلت توبتهم بلا عقوبة ، ولا أعاقبهم بأن أحرّم عليهم أحبّ الطعام إليهم ، وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مائة سنة ، أو ثمانين سنة ، أو خمسين سنة ، ثم لا أقبل توبتهم دون أن أعاقبه في الدنيا بعقوبة ، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك ، وأنّ الرجل من أمّتك ليذنب عشرين سنة ، أو ثلاثين سنة ، أو أربعين سنة ، أو مائة سنة ، ثمّ يتوب ويندم طرفة عين فأغفر له ذلك كلّه[2] ..

---

(١) في الاصل : مستوراً.

(٢) تفسير الصافي : ٧٦ [١/٢٨٨ ـ ٢٩١] في تفسير آية ٢٨٦ من سورة البقرة : في الاحتجاج عن الكاظم عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام ـ في حديث يذكر فيه مناقب رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ قال : « إنّه لما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر ، وعرج به في ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف عام في أقلّ من ثلث ليلة حتى انتهى إلى ساق العرش ، فدنا بالعلم وتدلّى [فتدلىٰ] وقد دلّي له من الجنة رفرف أخضر ، وغشى النور بصره ، فرأى عظمة ربّه عزّوجلّ بفؤاده ولم يرها بعينه ، فكان كقاب قوسين بينها وبينه أو أدنى ، ﴿ فَأَوْحىٰ إلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ ﴾ [سورة النجم (٥٣) : ١٠] فكان فيما أوحى إلى الآية التي في سورة البقرة [(٢) : ٢٨٤] قوله تعالى : ﴿ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مٰا في

⇐

. . . .

⇐ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم على نبيّنا وعليه السلام إلى أن بعث الله تبارك اسمه محمّداً صلّى الله عليه وآله ، وعرضت على الأمم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها ، وقبلها رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وعرضها على أمّته فقبلوها ، فلمّا رأى الله عزّوجلّ منهم القبول على أنّهم لا يطيقونها ، فلمّا أن سار إلى ساق العرش كرّر عليه الكلام ليفهمه ، فقال : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ .. ﴾ ، فأجاب مجيباً عنه وعن أمّته ، فقال : ﴿ والْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ . فقال جلّ ذكره : « لهم الجنّة والمغفرة إن فعلوا ذلك » ، فقال النبي صلّى الله عليه وآله : أمّا إذا فعلتَ ذلك بنا فـ : ﴿ غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيْرُ ﴾ [سورة البقرة (٢) : ٢٨٥] ـ يعني المرجع في الآخرة ـ قال : فأجابه الله عزّوجلّ ثناؤه : « وقد فعلت ذلك بك وبأمّتك » . ثم قال عزّوجلّ : « أمّا إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الأمم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها [قبلها] أمّتك فحقّ عليّ أن أرفعها عن أمّتك » ، وقال : ﴿ لاٰ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا لَهٰا مٰا كَسَبَتْ ﴾ من خير ﴿ وَعَلَيْهٰا مٰا اكْتَسَبَتْ ﴾ من شرّ . فقال النبي صلّى الله عليه وآله لمّا سمع ذلك : « أمّا إذا فعلتَ ذلك بي وبأمّتي فزدني » . قال : سل [. قال] : ﴿ رَبَّنٰا لاٰ تُؤٰاخِذْنٰا إِنْ نَسِينٰا أَوْ أَخْطَأْنٰا ﴾ قال الله تعالى : لست أؤاخذ أمّتك بالنسيان أو الخطأ لكرامتك عليَّ ، وكانت الأمم السالفة إذا نسوا ما ذكّروا به فتحت عليهم أبواب العذاب ، وقد رفعت ذلك عن أمّتك ، وكانت الأمم السالفة إذا أخطأوا أخذوا بالخطأ وعوقبوا عليه ، وقد رفعت ذلك عن أمّتك لكرامتك عليَّ » .

فقال النبي صلّى الله عليه وآله : « اللّهم إذا أعطيتني ذلك فزدني » . فقال الله تعالى له : « سل » . قال : ﴿ رَبَّنٰا وَلاٰ تَحْمِلْ عَلَيْنٰا إِصْراً كَمٰا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنٰا ﴾ ، يعني ⇐

. . . .

⇐ بالإصر : الشدائد التي كانت على من كان قبلنا ، فأجابه الله [تعالى] إلى ذلك ، فقال تبارك [وتعالىٰ] اسمه : « قد رفعت عن أمتك الآصار التي كانت على الأمم السالفة ، كنت لا أقبل صلاتهم [صلواتهم] إلاّ في بقاع من الأرض معلومة اخترتها لهـم وإن بعدت ، وقد جعلت الأرض كلّها لأمّتك مسجداً وطهوراً ، فهذه من الآصار التي كانت على الأمم قبلك فرفعتها عن أمّتك ، وكانت الأمم السالفة إذا أصابهم أذى من نجاسة قرضوها من أجسادهم ، وقد جعلت الماء طهوراً لأمّتك ، فهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك ، وكانت الأمم السالفة تحمل قرابينها إلى بيت المقدس فمـن قبلت ذلك منه أرسلت إليه ناراً فأكلته ، فرجع مسروراً ، ومن لم أقبل ذلك منه رجع مثبوراً ، وقد جعلت قربان أمّتك في بطون فقرائها ومساكينها ، فمـن قـبلت ذلك مـنه أضعفت ذلك له أضعافاً مضاعفة ، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا ، وقد رفعت ذلك عن أمّتك ، وهي من الآصار التي كانت على الأمم قبلك ، وكانت الأمـم السالفة صلاتها مفروضة عليها في ظلم الليل ، وأنصاف النهار ، وهي من الشدائد التي كانت عليهم ، فرفعت عن أمّتك وفرضت عليهم صلواتهم في أطراف الليل والنهار وفي أوقات نشاطهم ، وكانت الأمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً ، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك وجعلتها خمساً في خمسة أوقات ، وهي إحدى وخمسون ركعة ، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة ، وكانت الأمم السالفة حسنتهم بحسنة وسيئتهم بسيئة ، وهي من الآصار التي كانت عليهم ، فرفعتها عن أمّتك وجعلت الحسنة بعشر والسيئة بواحدة ، وكانت الأمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة ثم لم يعملها لم تكتب له ، وإن عملها كتبت له حسنة ، وإنّ أمّتك إذا همّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، وإن عملها كتبت له عشر ، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك ، وكانت الأمم السالفة إذا همّ أحدهم بسيئة ثم لم يعملها لم

⇐

الحديث(*) .

فسهل الله سبحانه أمر التوبة لهذه الأمة إكراماً لنبيّه صلّى الله عليه وآله وجعلنا فداهم . حتّى روي أنّ رجلاً عصى الله تعالى وقتل تسعة

⇐ تكتب عليه ، وإن عملها كتبت عليه سيئة ، وإنّ أمّتك إذا همّ أحدهم بسيّئة ثم لم يعملها كتبت له حسنة ، وهذه من الآصار التي كانت عليهم ، فرفعت ذلك عن أمّتك ، وكانت الأمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم ، وجعلت توبتهم من الذنوب أن حرّمتُ عليهم بعد التوبة أحبّ الطعام إليهم ، وقد رفعت ذلك عن أمّتك ، وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم ، وجعلت عليهم ستوراً كثيفة ، او قبلت توبتهم بلا عقوبة ، ولا أعاقبهم بأن أحرّم عليهم أحبّ الطعام إليهم ، وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مائة سنة ، أو ثمانين سنة ، أو خمسين سنة ، ثم لا أقبل توبته دون أن أعاقبه في الدنيا بعقوبة ، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك . وإنّ الرجل من أمّتك ليذنب عشرين سنة ، أو ثلاثين سنة ، أو أربعين سنة ، أو مائة سنة ، ثم يتوب ويندم طرفة عين فأغفر له ذلك كلّه » ، فقال النبي صلّى الله عليه وآله : « اللّهم إذ أعطيتني ذلك كلّه فزدني » . قال : « سل » . قال : ﴿ رَبَّنَا ولاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ . قال تبارك اسمه : « قد فعلت ذلك بك وبأمّتك ، وقد رفعت عنهم عظيم بلايا الأمم ، وذلك حكمي في جميع الأمم أن لا أكلّف خلقاً فوق طاقتهم . قال النبي صلّى الله عليه وآله : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلينَا ﴾ . قال الله عزّوجلّ : « قد فعلت ذلك بتائبي أمّتك » . قال : ﴿ فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة (٢) : ٢٨٦] قال الله جلّ اسمه : « إنّ أمّتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الأسود ، هم القادرون ، وهم القاهرون ، يستخدمون ولا يستخدمون لكرامتك عليَّ ، وحقّ عليَّ أن أظهر دينك على الأديان حتّى لا يبقى في شرق الأرض وغربها دين إلاّ دينك ، أو يؤدّون إلى أهل دينك الجزية » .

(*) إن اردت تمام الخبر فراجع تفسير الصافي : [منه (قدس سرّه)] .

وتسعين رجلاً بغير حقّ ، فلمّا مضت عليه مدّة ندم على ما فعل ، وقال : أريد التوبة ، فأتى إلى رجل عابد وحكى له ما صنع من القتل ، وقال : أريد التوبة . فقال له ذلك العابد : لا توبة لك ، وما لك على هذا .. فلمّا قال له هذا الكلام عمد ذلك الرجل إلى ذلك العابد فقتله ، فبقي مدة ، ثم أتى إلى رجل عالم(*) فقال له : إنّي قتلت مائة رجل فهل لي من توبة ؟ قال : نعم ، اقْصُدْ أَرْضَ كذا فإنَّ فيها نبيّاً أو عالماً ، فامضِ إليه وتُبْ على يديه ، فمضى إليه فلمّا كان في عرض الطريق أتى أجله ، فأتته لقبض روحه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فتنازعا في قبض روحه ، فقالت ملائكة الرحمة : نحن نقبض روحه لأنّه قصد أرض التوبة ، وقالت ملائكة العذاب : نحن نقبض روحه لأنّه لم يتب بعد ، فأوحى الله إليهم أن آذرعوا الأرض وآنظروا إلى أي أرض هو أقرب ، فلمّا مسحوا الأرض وجدوه إلى أرض التوبة أقرب بذراع أو شبر ، فتبادرتْ إليه ملائكة الرحمة فقبضوا روحه .

وفي خبر آخر : إنّ الملائكة لمّا قصدوا إلى مساحة الأرض أمر الله أرض التوبة فطويت بعد ما كانت أبعد من تلك الأرض .

انظر بنيّ إلى لطف الباري جلّ شأنه ورأفته بعبده ، كيف يسامح معه في قبول توبته ؟ فباب التوبة بنيّ واسعة ، ودائرتها متّسعة ، وأنّ الرؤوف الرحيم يحبّ التائب[1] . وقد ورد « أنّه تعالى أشدّ فرحاً بتوية عبده المؤمن

(*) هذا الفرق بين العالم والعابد . [منه قدّس سرّه] .

(١) وسائل الشيعة ٤٧٢/٢ باب ٨٦ حديث ١٣ [ط ج ٣٥٩/١١] عن الرضا عليه ⇐

من رجل وجد راحلته الضالة منه في ليلة ظلماء »[1] .

[لزوم المبادرة إلى التوبة]

فعليك بنيّ بالتوبة والاصرار عليها ، والمبادرة إليها قبل أنْ يخرج الأمر من يدك ، وتؤاخذ بسيِّء عملك .

وإيّاك والمساهلة في أمرها ، فإنّ في التأخير آفات ، فقد لا يمهلك ملك الموت لذلك ، وما مثل مَنْ يؤخّر التوبة ويتسامح[2] فيها إلاّ مثل مَنْ آحتاج إلى قلع شجرة لا تنقلع إلاّ بمشقّة ، فقال : اؤخّرها ثم أعود إليها بعد أيام أو شهور أو سنين ، وهو يعلم أنّها كلّما بقيت آزدادت رسوخاً وقوّة ، وهو كلّما مضى من عمره ضعفت قوّته ، وزاد عجزه وكسله ، بل ربّما يؤدّي إلى آمتناع قلعه لها ، وما ذلك إلاّ حمقاً وسفهاً .

وآعلم بنيّ أنّ الله تعالى شأنه يؤجّل عبده بعد الذنب إلى سبع

⇐ السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « مثل المؤمن عند الله تعالى كمثل مَلَك مقرب ، وإنّ المؤمن عند الله لأعظم من ذلك ، وليس شيء أحبّ إلى الله تعالى من مؤمن تائب ، ومؤمنة تائبة » .

(١) أصول الكافي ٣٤٥/٢ حديث ٨ عن أبي عبيدة الحذّاء قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « إنّ الله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها ، فالله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها » .

(٢) في الأصل : يسامح .

ساعات ، أو تسع ساعات ، أو يوماً .. على آختلاف الأخبار[1] ، فإن آستغفر وتاب لم يكتب عليه الذنب ، فإذا صدر ـ والعياذ بالله ـ منك الذنب فبادر إلى التوبة والاستغفار قبل مضي أقلّ تلك الآجال ـ أعني السبع ساعات ـ فإنّ المنع من أن يكتب أسهل من طلب محو المكتوب[2] .

وآعلم بنيّ أنّ التوبة تطيل العمر ، وتوسّع الرزق ، وتحسن حال التائب . فعليك بها ، وإيّاك ثم إيّاك والكسل عنها .

---

(١) وسائل الشيعة ٢/٤٨٠ باب وجوب الاستغفار من الذنب قبل سبع ساعات حديث ٣ [الطبعة المحققة : ١٦/٦٥ حديث ٢٠٩٩٢] : عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : « من عمل سيئة أجّل فيها سبع ساعات من النهار فإن قال : « أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه » ثلاث مرّات لم تكتب عليه » .

وحديث ٤ عن زرارة قال : سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول : « إنّ العبد إذا أذنب أجّل من غدوة إلى الليل ، فإن استغفر لم تكتب عليه » .

وانظر : مجمع البيان ٩/١٤٤ .

(٢) أصول الكافي ٢/٤٥١ باب ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة حديث ١ ، عن أبي العباس البقباق قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة ، وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً ، والموت فضح الدنيا فلم يترك لذي لبّ فرحاً » .

[الصبر على الفقر ومرارته]

وعليك بنيّ ـ رزقك الله الكفاف والعفاف ـ بحبّ الفقر والصبر على مرارته وسَمّهِ ، فقد روي أنّ الله تعالى قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فقل : « إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون عقوبة عُجّلت في الدنيا » ، واذا رأيت الدنيا مدبرة عليك فقل : « مرحباً بشعار الصالحين »[١] .

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تارة : « انّ الفقر خزينة من خزائن الله تعالى »[٢] ، وأخرى : « إنه كرامة من الله تعالى »[٣] ، وثالثة : « إنّه شيء لا يعطيه الله إلاّ نبيّاً مرسلاً أو مؤمناً كريماً على الله تعالى »[٤] .

وورد أنّ « الفقر زينة المؤمن »[٥] ، وأنّ أكثر أهل الجنة الفقراءُ

---

(١) جامع السعادات ٧٦/٢ قال : « وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : يا موسىٰ ! إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجّلت عقوبته » . وأصول الكافي ٢٦٣/٢ حديث ١٢ بلفظه [ولاحظ بحار الأنوار ٣٤٠/١٣ حديث ١٦ عن تفسير علي بن ابراهيم القمي : ١٨٨ من الطبعة الحجرية . وجاء في تحف العقول : ٤٩٥ ، والكافي ٢٦٣/٢ ، والروضة من الكافي : ٤٨ ، واماليالشيخ الصدوق : ٣٩٦ ، ومعاني الأخبار : ٢٠ ، وعدة الداعي : ٨٥ وغيرها] .

(٢) جامع السعادات ٨٢/٢ بلفظه .

(٣) المصدر السابق نفس المجلس والصفحة [وجاء هذا والذي قبله في جامع الأخبار : ١٢٨ ، ثم قال عليه السلام ثالثاً ـ بعد سؤاله عن الفقر : « شيء لا يعطيه الله الى نبياً مرسلاً أو مؤمناً كريماً على الله تعالى »] .

(٤) المصدر السابق نفس المجلد والصفحة .

(٥) [الكافي ٢٦٥/٢] جامع السعادات ٨١/٢ ، قال صلّى الله عليه وآله : « الفقر أزين

والمساكين(١) ، وليس فيها أحد أقلَّ من الأغنياء والنساء ، وأنّ العبد كُلّما آزداد إيماناً آزداد ضيقاً في معيشته(٢) . وأنّ سليمان آخر الأنبياء دخولاً إلى الجنّة لِمَا أعطي من الدنيا ، وأنّ الصبر على الفاقة جهاد ، وأنّه أفضل من عبادة ستين سنة ، وأنّه يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم ـ وهو خمسمائة عام(٣) ـ ، وأنّ للجنّة غُرَفاً من ياقوتة حمراء ينظر أهل الجنّة إليها كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء ، لا يدخلها إلاّ نبيّ فقير ، أو شهيد فقير ، أو مؤمن فقير(٤) ، وأنّ الفقراء ملوك الجنّة ، والناس كلّهم مشتاقون إلى الجنّة ، وأنّ الجنّة مشتاقة إلى الفقراء(٥) ، وأنّ الفقراء يدخلون الجنّة بغير حساب(٦) ، وأنّهم يدخلونها قبل الأغنياء بخمسمائة عام ـ كلّ عام ألف

⇐ للمؤمنين من العذار على خدّ الفرس » [وللعلامة المجلسي رحمه الله في موسوعته بحار الانوار ٢٨/٧٢ ذيل حديث ٢٤ بيان عن الحديث ، فليلاحظ] .

(١) بحار الأنوار : ٣٢/٧٢ .

(٢) أصول الكافي ٢٦١/٢ حديث ٤ بلفظه .

(٣) جامع السعادات ٧٦/٢ ، فراجع [وانظر : التمحيص : ٤٩ حديث ٨٠ ، عن المفضل ، وحكاه عنه العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الانوار ٤٩/٧٢ حديث ٥٩ ، و٥٢/٧٢ حديث ٧٦ وانظر بحار الانوار ١٢٢/٧ أيضاً] .

(٤) جامع الأخبار : ١٢٨ ـ ١٣٠ ، وعنه في بحار الانوار ٤٧/٧٢ ـ ٤٨ حديث ٥٨ ، ومثله في جامع السعادات ٨٢/٢ بلفظه .

(٥) نفس المصدر والحديث ، ومثله في جامع السعادات ٨٢/٢ ـ ٨٣ بلفظه .

(٦) التوحيد : ٢٧٥ ، وعنه في بحار الأنوار ٢٥٠/٧ حديث ٩ ، ومثله في جامع السعادات ٨٥/٢ فراجع .

سنة ـ وقبلهم بأربعين ألف ألف سنة[١] ، وأنه تقبل شفاعتهم فيمن أحسن إليهم وصنع معروفاً ولو بشربة من الماء[٢] ، وأنّ درهماً يتصدّق به الفقير أفضل من مائة ألف درهم يتصدّق بها الغني[٣] .

وأنّ الله تعالى ليعتذر يوم القيامة إلى عبده المؤمن المحتاج في الدنيا ، كما يعتذر الأخ إلى أخيه ، مع أنّه ما اعتذر إلى ملك مقرب ولا نبيّ مرسل !! قيل : وكيف يعتذر إليهم ؟ قال عليه السلام : ينادي منادٍ : أين فقراء المؤمنين ؟ فيقوم عنق من الناس ، فيتجلّى لهم الرب فيقول : « وعزّتي وجلالي ، وعلوّي وآلائي ، وارتفاع مكاني ، ما حبست شهواتكم في دار الدنيا هواناً بكم عليَّ ، ولكن ادّخرته لكم لهذا اليوم ـ أما ترى قوله : ما حبست شهواتكم في دار الدنيا ، اعتذاراً ؟! ـ فتصفّحوا وجوه خلائقي ، فمَنْ وجدتم له عليكم مِنَّة بشربة ماء كافوه عنّي بالجنة »[٤] .

.. إلى غير ذلك ممّا هو مذكور في المفصلات .

---

(١) جامع السعادات ٢/٨٤ ، وقد سلف ، فراجع .

(٢) جامع السعادات ٢/٨٣ فراجع .

(٣) جامع السعادات ٢/٩٢ فراجع .

(٤) جامع السعادات ٢/٨٣ بتغيير يسير ، [ولاحظ بحار الأنوار ٧/١٨٢ حديث ٢٦ ، و٧٢/٥٠ حديث ٦٦ ، فراجع] .

وٱعلم بنيّ أنّه قد ذكر للفقر الممدوح شرائط :

فمنها : التعفّف على وجه يحسبه الجاهل غنيّاً[1] ، وإظهار التجمّل والغنى بين الناس ، وأن لا يشكو حاجته وفقره لأحد[2] إلا لضرورة ٱضطرّ إليها ، ولو ضاق صدره أظهره عند صديق أو أخ مؤمن مترجّياً منه ترتّب الأثر ، وإنْ كان الإخفاء أولى ، لأنّه إذا كتمه عن الناس كان حقّاً على الله أن يرزقه ، وإذا بثّه لغير الله تعالى[3] ٱستهانوه ، ولذا قال لقمان لابنه : يا بنيّ ! ذقتُ الصبر وأكلتُ [لحا] الشجر ـ أي قشره ـ فلم أجد شيئاً هو أمرّ

---

(١) سورة البقرة (٢) : ٢٧٣ ، قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْأَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ .

(٢) وسائل الشيعة ٢/ ٥٤ باب ٣٣ كراهة المسألة حديث ٥ [ط ج ٦/ ٣٠٨ باب ٣٢] عن الحسين بن أبي العلاء قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « رحم الله عبداً عفّ وتعفّف فكفّ عن المسألة ، فإنّه يتعجّل الدنيّة في الدنيا ، ولا يغني الناس عنه شيئاً » ، قال : ثمّ تمثّل أبو عبدالله عليه السلام ببيت حاتم :

إذا ما عرفت الناس ألفيته الغنى   إذا عرفته النفس والطمع الفقر

وحديث ٢ صفحة : ٣١٠ قال الباقر عليه السلام : « طلب الحوائج إلى الناس استسلاب للعزّة ، ومذهبة للحياء ، واليأس ممّا في أيدي الناس عزّ المؤمنين ، والطمع هو الفقر الحاضر » .

(٣) أصول الكافي ٢/ ١٤٨ باب الاستغناء عن الناس حديث ٣ عن الزهري ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : « رأيت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس ، ومن لم يرج الناس في شيء وردّ أمره إلى الله عزّوجلّ في جميع أموره ، استجاب الله عزّوجلّ له في كلّ شيء » .

من الفقر ، فإنْ بليت به يوماً فلا تظهر للناس فيستهينوك ولا ينفعوك بشيء ، آرجع إلى الذي آبتلاك به ، فهو أقدر على فرجك ، واسأله [فمَنْ ذا الذي سأله فلم يعطه ، أو وثق به فلم ينجه ؟][1] .

ومنها : القناعة بما قسمه الله تعالىٰ ؛ وقد تقدّمت الإشارة إلى فوائدها .

ومنها : الصبر والرضا بما قدّره الله تعالى ؛ وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك أيضاً .

وقد ورد عن مولانا الصادق عليه السلام : « أنّه جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال : « يا رسول الله ! إنّ الله أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك » ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : فقلت : « وما هي ؟ » قال : « الصبر ؛ وأحسن منه » . قلت : « وما هو ؟ » قال : « القناعة ؛ وأحسن منها » . قلت : « وما هو ؟ » قال : « الرضا .. » إلى أن قال : قلت : فما تفسير الرضا ؟ قال « الراضي هو الذي لا يسخط على سيّده ؛ أصاب من الدنيا أو لم يصب . ولم يرض من نفسه باليسير من العمل »[2] .

ولقد أجاد من فسّر الرضا بقوله بالفارسية :

درد اگر قسم تو آيد نوش كن   صافش انكار اين سخن درگوش كن
همچو طفلان بستهٔ گهواره باش   بى تصرف بندهٔ بيچاره باش

---

(١) وسائل الشيعة ٢/٥٤ باب ٣٥ كراهة إظهار الحاجة حديث ٣ [ط ج ٦/٣١١ باب ٣٤] بلفظه .

(٢) وسائل الشيعة ٢/٤٤٤ باب ٤ حديث ٢١ [ط ج ١١/١٤٨] بتفصيل كثير فراجع .

بنده باش وهرچه آيد رد مكن جز رضا دادن طريق خود مكن
از رضا خود نيست بهتر منزلى كوى اين دولت نيابد هر دلى[(١)]

واعلم بنيّ أنّ الرضا بالقضاء مرتبة عظيمة ينبغي المجاهدة في تحصيلها ، كما أنّ خلافه من أسوء الأخلاق الرديّة ، ولذا قال تعالى في الحديث القدسي : « من لم يصبر على بلائي ، ولم يَرْضَ بقضائي ، فليتّخذ ربّاً سواي ، وليخرج من أرضي وسمائي »[(٢)] .

وورد : « أنّ من رضي رزق الله ، لم يحزن على ما فاته . وأنّ مَنْ سخط برزقه ، وبثّ شكواه ، ولم يصبر ، لم ترفع له إلى الله حسنة ، ولقي الله تعالى وهو عليه غضبان » .

فعليك بنيّ بالسعي في تحصيل الرضا ، وطيب النفس بالقسمة والقضاء . وإيّاك والسخط وبثّ الشكوىٰ .

ومنها : أن يكون شاكراً على كلّ حال من حالات الرخاء والشدّة ،

---

(١) [وحاصل ترجمته : لو قُدّر لك الألم يوماً ما فاستلذ به ، وهذا كلام يلزمك أن تضعه نصب عينيك في سلوكك وفي حياتك ، كن كالاطفال الرضع في المهد بدون تصرّف ووهم كالعبيد عاجزون ، كن عبداً وكلّ ما اتاك من شيء فلا تردّه ، ولا يكون لك طريقاً سوى الرضا بما قُدّر وكان ، اذ أنّه ليس هناك مأوىٰ ومنزل خير لك من الرضا ، ولا يحصل كلّ قلب على قصب السبق في هذا البدن] .

(٢) منهاج النجاة للفيض الكاشاني : ٤٠ في الحديث ، قال الله عزّوجلّ « من لم يرض بقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر نعمائي ، فليخرج من أرضي وسمائي وليتخذ رباً سواي » [وجاء في بحار الأنوار ٩٥/٥ حديث ١٨ ، و٢٣٦/٦٧ حديث ٥٤ ، و١٣٢/٨٢ حديث ١٦] .

والضيق والسعة ، فقد قرن الله تعالى الصبر بالشكر في القرآن المجيد ووعد الشاكرين بالمجازاة بالفضل والمنّ ، وأوعد على الكفران بالعذاب الشديد[١] .

ومنها : أن يكون شائقاً إلى الفقر ، طيب النفس به بسبب ملاحظة فوائده ، وأنّ رئيس الأغنياء قارون خسف به ، ورئيس الفقراء عيسى عليه السلام رفع إلى السماء .

ومنها : أن لا يَعترض على الله تعالى فيما جرىٰ عليه .

ومنها : أن يكون مجتنباً عن الحرام والمشتبه .

ومنها : أن يكون ممتثلاً لأوامر الله تعالى ونواهيه ، ولا يفتّر بسبب الفقر عمّا عليه من الطاعات ، ولا يمتنع من التصدّق بالمقدور .

ومنها : أن لا يخالط الأغنياء ، ولا يتواضع لهم لغناهم . فقد ورد أنّ مَنْ دخل بيت غنيّ فتواضع له لأجل غناه ذهب ثلث دِيْنه . وفي رواية : نصف دينه ، وفي ثالثة : ثلثا دينه[٢] . وأنّه ما تضعضع أحد لغنيّ إلاّ ذهب

---

(١) كقوله تعالىٰ : ﴿ .. لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ سورة لقمان (٣١) : ٣١ . وقوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ سورة ابراهيم (١٤) : ٥ .. وغيرهما .

(٢) تفسير الصافي سورة الحجر (١٥) : ٨٨ [٣/١٢١] : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ القمي ، عن الصادق عليه السلام قال : لمّا نزلت هذه الآية : ﴿ لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلاٰ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ . قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من لم يتعزّ بعزاء الله تقطّعت نفسه على الدنيا حسرات ، ومن رمى ببصره [إلى] ما في يد غيره كثر همّه ، ولم يشف غيظه ، ومن لم يعلم أن لله عليه نعمة إلا في مطعم أو ملبس فقد قصر عمله ودنا عذابه ، ومن أصبح على الدّنيا حزيناً ⇐

نصيبه من الجنّة . وأنّ مَنْ أكرم الغنيّ لغناه سمّي في السماوات عدوّ الله وعدوّ الأنبياء ، ولا يستجاب له دعوة ، ولا تقضى له حاجة .. إلى غير ذلك ممّا يطلب من [المؤلفات] المفصلات .

[اجتناب مورثات الفقر]

وعليك بنيّ باجتناب مورثات الفقر ، وموجبات الغم والحزن ، ومورثات النسيان ، ومقصّرات العمر . بل عليك بالمواظبة على موجبات سعة العيش ، والراحة من غير ضيق ، ومنفيات الفقر والفاقة ، ومزيدات الرزق ، ومطيلات العمر ، ومورثات الحفظ . وسأجمعها لك إن شاء الله تعالى في خاتمة كتاب الآداب ، الذي وعدتك بتأليفه[1] .

وعليك بنيّ ـ جعلك الله تعالى من المؤمنين ، وحماك من شرّ المنافقين ـ بأداء حقوق المؤمن مع إخوتك المؤمنين ، فإنّ للمؤمن على أخيه حقوقاً لا براءة له منها إلاّ بأدائها أو العفو عنها ، وإلاّ طولب بها يوم القيامة وقضى له عليه بها ، وسأعددها لك في بعض فصول الكتاب المذكور إن شاء الله تعالى شأنه[2] .

⇐ أصبح على الله ساخطاً ، ومن شكى مصيبة نزلت به فإنّما يشكو ربّه ، ومن دخل النّار من هذه الأمّة ممّن قرأ القرآن فهو ممّن يتّخذ آيات الله هزواً ، ومن أتى ذا ميسرة فتخشع له طلب ما في يديه ذهب ثلثا دينه » .

(١) وهو كتابه القيّم المسمّىٰ بـ (مرآة الكمال لمن رام درك صالح الأعمال) [لاحظ الجزء الثالث منه :].

(٢) مرآة الكمال : ٣/٥٦٩ ـ ٥٩٨ .

الفصل الرابع

في الوصايا المتعلّقة بطلب العلم وبيان فضله وما يتعلّق به

أوصيك بنيّ ـ وفّقك الله تعالى لمراضيه ، وجعل مستقبل أمرك خيراً من ماضيه ـ بطلب العلم ، فإنّه مضافاً إلى كونه ممّا يتوقّف عليه أداء الواجبات على ما هي عليها ، وترك المحرّمات ، وفرضاً من الله سبحانه وتعالى يجب آمتثاله فيه ، ويحرم مخالفته ، قد قامت(*) الضرورة على حسنه وفضله وشرفه وعلوّ درجته ، وآرتفاع مرتبته ، وسموّ مكانه ، وجلالة قدره ، وقد تطابق العقل والنقل على فضله .

أمّا العقل ؛ فتقريره إجمالاً أنّه عمدة المائز بين الإنسان والحيوان .

وتفصيلاً ما قيل : من انّ المعقولات تنقسم إلى موجود ومعدوم ، ولا ريب في كون الموجود أشرف ، ثم الموجود ينقسم إلى جماد ونامٍ ، ولا شك في أنّ النامي أشرف ، ثمّ النامي ينقسم إلى حسّاس وغيره ، ولا شبهة في أنّ الحسّاس أشرف ، ثمّ الحسّاس ينقسم إلى عالم وجاهل ، ولا ريب في أنّ العالم أشرف من الجاهل .. ينتج أنّ العالم أشرف المعقولات .

(*) خبر (إنّ) في قوله : مضافاً . [منه (قدّس سرّه)] .

وأمّا النقل ؛ فمِن الكتاب قوله عزّ من قائل في سورة العلق ـ التي هي عند أكثر المفسرين أوّل ما نزل على النبي صلّى الله عليه وآله[1] ـ : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2] . فافتتح في مقام الإمتنان كلامه المجيد بذكر نعمة الإيجاد ، وأتبعه بذكر نعمة العلم ، فلو كان بعد نعمة الإيجاد نعمة أعلى من العلم لكانت أجدر بالذكر ، سيّما وهو جلّ شأنه في مقام بيان إيصاله الإنسان من أدنى المراتب ـ وهي العَلَقة ـ إلى أعلى المراتب ـ وهي مرتبة العلم ـ .

وقال جلّ ذكره أيضاً : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اُولُوا الْاَلْبَابِ ﴾[3] .

---

(١) تفسير الصافي ٣٤٨/٥ في تفسر السورة [العلق (٩٦) : ١] عن الباقر عليه السلام أنها أوّل سورة نزلت ، قال : « نزل جبرئيل عليه السلام على محمّد صلّى الله عليه وآله فقال : « يا محمّد ! اقرأ » قال : « وما أقرأ ؟ » قال : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .

ومجمع البيان ٥١٤/١٠ ، قال : وأكثر المفسرين على أنّ هذه السورة أول ما أنزل من القرآن ، وأوّل يوم نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وهو قائم على حراء ، علّمه خمس آيات من أول هذه السورة .

وتفسير التبيان ٣٧٨/١٠ ، قال : روي عن عائشة ، ومجاهد ، وعطاء ، وابن سيار ، أنّ أوّل آية نزلت قوله : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وهو قول أكثر المفسّرين .

(٢) سورة العلق (٩٦) : ١ ـ ٥ .

(٣) سورة الزمر (٣٩) : ٩ .

وقال سبحانه أيضاً : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾[١] .

وقد فسّر إيتاء الحكمة بتوفيق العلم والعمل[٢] .

وقال عزّ من قائل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٣] .

وقرن في آيات عديدة بين أهل العلم والراسخين فيه وبين نفسه ، والمراد بهم ـ وإنْ كان أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) ـ إلاّ أنّ التعبير عنهم صلوات الله عليه وعليهم به كاف في إثبات فضله وشرفه[٤] .

وأمّا الأخبار ؛ فمتجاوزة عن حدّ التواتر المعنوي ، ولا بأس بالإشارة إلى جملة منها بحذف أسانيدها[*] :

ففي مسند عبدالله بن ميمون القداح ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « مَنْ سَلَكَ طريقاً يطلب فيه علماً

---

(١) سورة البقرة (٢) : ٢٦٩ .

(٢) ما ذكره قدّس الله روحه الطاهرة هو خلاصة تفسير الآية الكريمة فراجع تفسير الصافي ١ ـ ١/٢٧٥ ـ ٢٧٦ في تفسير السورة ، تجد روايات عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام تدلّ على ما ذكره .

(٣) سورة فاطر (٣٥) : ٢٨ .

(٤) راجع تفسير الصافي سورة آل عمران (٣) : ٧ [١/٢٩٥ ـ ٢٩٦] في تفسير آية : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ .. ﴾ . وسورة النساء (٤) : ١٦٢ آية [تفسير الصافي : ١/٤٨٣] : ﴿ لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ .. ﴾ .

(*) من أراد العثور على أسانيد الأخبار ، فليراجع أوائل الكافي ، ومقدّمة معالم الأصول ، فإنّها مأخوذة منهما ومن غيرهما . [منه قدّس سرّه] .

سلك الله به طريقاً إلى الجنّة ، وأنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به ، وأنّه ليستغفر لطالب العلم مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض حتى الحوت في البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر ، وأنّ العلماء ورثة الأنبياء ، وأنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم ، فمَنْ أخذ منه أخذ بحظّ وافر »[١] .

وفي خبر الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « تعلّموا العلم ؛ فإنّ تعلّمه حسنة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد . وتعليمه مَنْ[٢] لا يعلمه صدقة ، وهو عند الله لِأَهْلِه قربة ، لأنّه معالم الحلال والحرام . وسالك بطالبه سبيل الجَنّة[٣] ، وهو أنيس في الوحشة ، وصاحب في الوحدة ، وسلاح على الأعداء ، وزين الأخلّاء ، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمّة يقتدى بهم ، ترمق أعمالهم ، وتقتبس آثارهم ، وترغب الملائكة في خلّتهم ، يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم[٤] ، لأنّ العلم حياة القلوب ، ونور الأبصار من العمىٰ ، وقوّة الأبدان من الضعف ، ينزل الله حامله منازل الأبرار ، ويمنحه مجالس[٥] الأخيار في الدنيا والآخرة ، بالعلم يطاع الله ويعبد ، وبالعلم يعرف الله ويوحّد ، وبالعلم توصل الأرحام ، وبه

---

(١) أصول الكافي ١/٣٤ باب ثواب العالم والمتعلّم تجد حديث ١ الحديث بطوله ، فراجع .

(٢) كذا في المصدر ، وفي الأصل : لمن .

(٣) من قوله : وهو عند الله لاهله .. الى هنا لا يوجد في البحار .

(٤) خ . ل : صلواتهم .

(٥) خ . ل : مجالسة . وجاءت في المصدر .

يعرف الحلال و[١] الحرام ، والعلم أمام العقل ، والعقل تابعه ، يلهمه [الله] السعداء ، ويحرمه الأشقياء »[٢] .

وفي خبر الحسن بن أبي الحسين الفارسي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ، أَلا إنّ الله يحبّ بغاة العلم »[٣] .

وفي خبر أبي إسحاق عمّن حدّثه قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « أيّها الناس ! اعلموا أنّ كمال الدّين طلب العلم والعمل به ، أَلاَ وإنّ طلبَ العلم أوجبُ عليكم من طلب المال ، إنّ المال مقسوم مضمون لكم ، قد قسّمه عادل بينكم وضمنه وسَيَفي لكم ، والعلم مخزون عند أهله ، وقد أُمِرْتُم بطلبه من أهله فاطلبوه »[٤] .

وفي خبر أبي البختري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ العلماء ورثة الأنبياء ، وذلك أنّ الأنبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنّما ورّثوا أحاديث من أحاديثهم ، فَمَنْ أخذ بشيءٍ منها أخذ حظاً وافراً ، فانظروا علمكم هذا عمَّنْ تأخذونه ، فإنّ فينا أهل البيت عليهم السلام في كلّ خلف عُدُولاً ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل

(١) خ . ل : من ، بدلاً من الواو .

(٢) بحار الأنوار ١/٥٤ باب العلم وآدابه وأنواعه وأحكامه من الطبعة الحجرية [ط . ج : ١/١٦٦ حديث ٧] عن الامالي بلفظه .

(٣) أصول الكافي ١/٣٠ باب فرض العلم حديث ١ .

(٤) أصول الكافي ١/٣٠ باب فرض العلم حديث ٤ .

الجاهلين »[١] .

وفي خبر أبي حمزة الثمالي ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : « لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المُهَج ، وخوض اللُّجَج ، إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال عليه السلام : إنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم ، التارك الاقتداء[٢] بهم . وإنّ أحبّ عبيدي إليّ التقي ، الطالب للثواب الجزيل ، اللّازِم للعلماء ، التابع للحلماء ، القابل عن الحكماء »[٣] .

وفي خبره الآخر عن أبي جعفر عليه السلام قال : « عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد »[٤] .

وفي خبر معاوية بن عمّار قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : رجل راوية لحديثكم يبثّ [ذلك] في الناس ، ويشدّد في قلوبهم وقلوب شيعتكم . ورجل عابد من شيعتكم ليس له هذه الرواية ، أيّهما أفضل ؟ قال : « الراوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد »[٥] .

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « لا خير في العيش إلاّ

---

(١) أصول الكافي ١/٣٢ باب صفة العلم حديث ٢ .

(٢) في المصدر : للاقتداء .

(٣) أصول الكافي ١/٣٥ ثواب العالم والمعلم حديث ٥ .

(٤) أصول الكافي ١/٣٣ باب صفة العلم وفضله حديث ٨ .

(٥) أصول الكافي ١/٣٣ باب صفة العلم وفضله حديث ٩ باختلاف يسير .

لرجلين : عالم مطاع ، ومستمع واعٍ »[١] .

وقال الصادق عليه السلام لبشير الدهّان : « لا خير فيمَنْ لا يتفقّه من أصحابنا ، يا بشير ! إنّ الرجل منكم إذا لم يستغنِ بفقهه آحتاج إليهم ، فإذا آحتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم »[٢] .

وفي مرسل سليمان بن جعفر ، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث ـ : « إنّ العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله »[٣] ، و« إذا مات العالم ثلِمَ في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء إلى يوم القيامة »[٤] .

انظر بنيّ إلىٰ فضل العالم كيف جُعل موته سبباً لثلمة في الاسلام لا يسدها شيء .

وقال عليه السلام أيضاً : « ما مِنْ أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من موت فقيه »[٥] .

وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام : « إذا مات المؤمن بكَتْ عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها ، وأبواب السماء

---

(١) أصول الكافي ١/٣٣ باب صفة العلم وفضله حديث ٧ .

(٢) أصول الكافي ١/٣٣ باب صفة العلم وفضله حديث ٦ .

(٣) اصول الكافي ١/٣٧ باب حقّ العالم حديث ١ عن أبي عبدالله عليه السلام .

(٤) أصول الكافي ١/٣٨ باب فقد العلماء حديث ٢ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدّها شيء » .

(٥) أصول الكافي ١/٣٨ باب فقد العلماء حديث ١ بلفظه .

الّتي كان يصعد فيها بأعماله ، وثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء ، لأنّ المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها »[١] .

.. إلى غير ذلك من الأخبار التي تجمعها المفصّلات .

فلا تفوتنّك بنيّ ـ أرشد الله تعالىٰ أمرك ـ هذه المرتبة العظمىٰ ، والدرجة العليا ، والثواب الجسيم ، والأجر الجزيل الفخيم ، ولا يَغُرَّنَّك حطام الدّنيا فتترك طلب العلم لأجلها ، والتزم بالجوع والفقر والفاقة لأجله ، تنال به الغنى الدائم ، والعزّ الأبديّ الأخروي ..

وكلّما تعسّر عليك أمر معاشك فتذكّر ما يمنحه الله تعالى عليك في الآخرة من الجزاء والأجر الجميل ، يهون عليك ما يصيبك من العسر ، وقس نفسك بمَنْ ترك طلب العلم وٱشتغل بكسب المعاش ومع ذلك هو قليل الرزق ، عسير المعاش ، حتى تلتفت إلى أنّك مع فقرك قد حصّلت على ما ينفعك في الآخرة ، وذلك الكاسب صفر الكفّ من المال والعلم جميعاً .

وٱلتزم بنيّ بالقناعة ، وأعرض عن الدنيا وزينتها ، ولا ترجو الخير من الدنيا التي أهانت حسين السبط عليه السلام وٱختارت يزيد ، بل شيمتها تقديم المفضولين وتأخير الفاضلين ، كما قال ابن سينا :

تعس الزمان فإنّ في أحشائه   بغضاً لكل مبجَّل ومفضَّل
وتراه يعشق كلّ رذل ساقط   عشق النتيجة للأخسّ الأرذل

---

(١) أصول الكافي ١/٣٨ باب فقد العلماء حديث ٣ بلفظه .

وقال آخر :

عَتَبْتُ على الدنيا بتقديم ذي جـهل وتأخير ذي فضل فأبدتْ لِيَ النُذْرا

بـــنو الجـــهل أبـنائي لذاك أحـبّهم بنو الفضل أبـناء لضرَّتي الأُخـرىٰ

فلا تتكدّر بنيّ ! ممّا يصيبك منها من سوء وفقر لأجل طلب الفضل والعلم .

وٱعلم بنيّ ـ صـانك الله تـعالى مـن المكـاره ـ أنّ راحـة الدنـيا في الإعراض عنها ، لأنّها دار عناء وتعب لا دار راحة ، وأنت إذا حنَّتْ نفسك إليها جذبتْك ، وعن الآخرة صرفتْك ، وعن التقوىٰ مـنعتْك ، وبأبـاطيلها غرَّتْك ، وبخدعها جذبتك ، وبأوزارها حمّلتك ، وبسهامها رمتك . على أنّك إنْ رغبتَ في الدنيا كنتَ دائماً في كدّ وأذيّة ، لأنّ النفس مثلها مثل جـهنّم تقول : هل مِنْ مزيد ، فأنت في كلّ مرتبة غير راضية بها ولا قـانعة[1] ، وللمرتبة الأعلى منها طالبة ، وبِهَمٍّ فَقْدِها مبتلية ، ولو تركتها ٱسترحت مِنْ هَمِّ فقدها ، وأَنِسْتَ بفرح رفضها ، وقرّتْ عينك عند لقاء ضرَّتها ، وهي الآخرة .

ولعمري بنيّ إنّ لترك الدنيا والإعـراض عـنها لذّة عـظيمة لا يجـد راغبها المقبلة عليه جزءاً من ألف جزءٍ من نحو تلك اللّذة في إقبالها عليه .

ولا أريد بنيّ من ترك الدنيا التصوّف وإظهار الزهد بين الناس ، وترك الأكل واللبس إلاّ بقدر الضرورة ، وإنفاق جميع مالك(*) إلى أنْ تجعل يدك

---

(١) [كذا ، والظاهر : غير راض بها ولا قانع] .

(*) خ . ل : ما تملك [منه (قدّس سره)] .

مغلولة إلى عنقك[1] ، بل المراد بذلك ـ على ما يظهر من أخبار أهل البيت عليهم السلام ـ هو عدم عقد القلب بها ، وعدم الشوق إلى لذائذها[2] ،

---

(١) إشارة إلى آية سورة الإسراء (١٧) : ٢٩ و ٣٠ في قوله عزّ من قائل : ﴿ وَلاٰ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ وَلاٰ تَبْسُطْهٰا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كٰانَ بِعِبٰادِهِ خَبِيْراً بَصِيْراً ﴾ .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٢/٣٣٢ باب استحباب الزهد في الدنيا حديث ١١ [الطبعة المحقّقة ١٢/٤٤ حديث ١٣٤٧٤] عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « الزاهد في الدنيا مَنْ وعظ فاتّعظ ، ومَنْ علم فعمل ، ومَنْ أيقن فحذر ، فالزاهدون في الدنيا قوم وعظوا فاتّعظوا ، وأيقنوا فحذروا ، وعلموا فعملوا ، وإنْ أصابهم يسر شكروا ، وإنْ أصابهم عسر صبروا » .

وحديث ١٧ [١٢/٤٦ حديث ١٣٤٨٠] عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « الزهد ثروة ، والورعُ جنّة وأفضل الزهد إخفاء الزهد . الدهر يخلق الأبدان ، ويجدّد الآمال ، ويقرب المنيّة ، ويباعد الأمنية ، من ظفر به نصب ، ومن فاته تعب ، ولا كرم كالتقوىٰ ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا زهد كالزهد في الحرام .

الزهد كلّه بين كلمتين ، قال الله تعالىٰ : ﴿ لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَلاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتـٰكُمْ ﴾ [سورة الحديد (٥٧) : ٢٣] ، فمن لم يأْسَ على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه .

أيّها الناس ! الزهادة قصر الأمل ، والشكر عند النعم ، والورع عند المحارم ، فـإنْ عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ، ولا تنسوا عند النعم شكركم ، فقد أعذر الله إليكم بحجج مسفرة ظاهرة ، وكتب بارزة العذر واضحة » .

وحديث ١٢ [١٢/٤٥ حديث ١٣٤٧٥] عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قيل له : ما الزهد في الدنيا ؟ قال عليه السلام : « حرامها فتنكبه » .

وعدم كون الإنسان بما في يده أوثق ممّا عند الله سبحانه ، والرضا بقضاء الله تعالى من جميع الجهات[١] ، ويرشدك إلى ذلك صحيح عبدالله بن أبي يعفور قال : قال رجل لأبي عبدالله عليه السلام : والله إنّا نطلب الدنيا ونحب أنْ نؤتاها[٢] . فقال عليه السلام : « تحبّ أن تصنع بها ماذا ؟! » قال : أعود بها على نفسي وعيالي ، وأصل بها ، وأتصدّق بها ، وأحجّ وأعتمر . فقال أبو عبدالله عليه السلام : « ليس هذا طلب الدنيا .. هذا طلب الآخرة »[٣] .

[قصد القربة في طلب العلم]

وعليك بنيّ ! ـ رزقك الله تعالىٰ خير الدارين ـ بتصحيح القصد في طلب العلم . وإخلاص النيّة ، وتطهير القلب من دنس الأغراض الدنيويّة ، وتكميل النفس في قوّتها العمليّة ، وتزكيتها باجتناب الرذائل واقتناء

---

(١) وسائل الشيعة ٢/٤٧٤ باب الزهد (٦٢) حديث ١٤ [ط ج ١١/٣١٥ حديث ١٣] عن اسماعيل بن مسلم قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ليس الزهد [خ . ل : في الدنيا] بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال ، بل الزهد أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عزّوجلّ . وقال عزّ من قائل : ﴿ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتـٰكُمْ ﴾ [سورة الحديد (٥٧) : ٢٣] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « ليس الزهد أن لا تملك شيئاً ولكنّ الزهد أن لا يملكك شيء » .

(٢) خ . ل : نؤتا منها .

(٣) وسائل الشيعة ٢/٥٣٠ باب استحباب جمع المال من الحلال حديث ٣ [ط ج ١٣/١٩] بلفظه .

الفضائل الخلقيّة ، وقهر القوّتين الشهويّة والغضبيّة ، كما يرشد إلى ذلك أخبار أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين ، مثل خبر حفص بن غياث قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « مَنْ تعلّم العلم وعمل به ، وعلّم لله ، دعي في ملكوت السماوات عظيماً . فقيل : تعلّمَ لله ، وعمل لله ، وعلّم لله »(١).

وخبر عبّاد بن صهيب البصري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « طلبة العلم(٢) ثلاثة ، فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم : صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل ، وصنف يطلبه للفقه والعقل .

فصاحب الجهل والمراء ؛ مؤذٍ ، ممارٍ ، متعرّض للمقال في أندية الرجال ، يتذاكر(٣) العلم وصفة الحلم ، قد تسربل بالخشوع ، وتخلّى من الورع ، فدقّ الله مِنْ هذا خيشومه(*) ، وقطع منه حيزومه(**) .

---

(١) أصول الكافي ٣٥/١ باب ثواب العالم والمتعلّم حديث ٦ بلفظه .

(٢) كذا في المصدر ، وفي الأصل : علوم .

(٣) في الأصل : بتذاكر .

(*) [الخيشوم] هو اقصى الأنف ، وعن الصدوق انه الحاجز بين المنخرين . [منه (قدس سرّه)] .

(**) الظاهر انه من الحزم ، بمعنى موضع الثقب من الاذن [منه (قدس سرّه)] .

الخيشوم : أقصى الأنف ، وقيل : الأنف ، وقيل : الحاجز بين المنخرين ، واختار الأخير الشيخ الصدوق [من لا يحضره الفقيه ٨١/٤ حديث ٥١٥٠] كما ذكره المصنف أعلى الله مقامه .

والخيزوم : ما استدار بالصدر والظهر والبطن (مجمع البحرين) قال (قدّس سرّه) في الحاشية : الظاهر أنه من الحزم ، بمعنى موضع الثقب من الأذن .

وصاحب الاستطالة والختل(*) ؛ ذو خب وملق(**) (١) ، يستطيل على مثله من أشباهه ، ويتواضع للأغنياء من دونه ، فهو لحلواتهم هاضم ، ولدينهم حاطم ، فأعمى الله على هذا خبره ، وقطع مِنْ آثار العلماء أثره .

وصاحب الفقه والعقل ؛ ذو تعب وكآبة ، وحزن وسهر ، قد تحنّك في برنسه ، وقام الليل في حندسه ، يعمل ويخشى ، وَجِلاً داعياً ، مشفقاً مقبلاً على شأنه ، عارفاً بأهل زمانه ، مستوحشاً مِنْ أوثق إخوانه ، فشدّ الله مِنْ هذا أركانه ، وأعطاه يوم القيامة أمانة »(٢) .

وما رواه سليم بن قيس قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « منهومان لا يشبعان ، طالب دنيا ، وطالب علم . فمَنْ اقتصر مِن الدنيا على ما أحل الله له سلم ، ومَنْ تناولها مِن غير حلّها هلك إلاّ أن يتوب أو يرجع ، ومَنْ أخذ العلم مِن أهله وعمل بعلمه نجىٰ ، ومَنْ أراد الدنيا به(٣) فهي حظّه »(٤) .

(*) الختل : الخدعة [منه (قدس سرّه)] .

اقول : استطال : طلب الطول أي العلوّ . والختل : الخدعة والمراوغة (مجمع البحرين) .

(**) الملَق ـ محركة ـ : الودّ واللطف ، وان يعطي في اللسان ما ليس في القلب . [منه (قدس سرّه)]

انظر : مجمع البحرين ٥/٢٣٦ .

(١) الخبّ : بالفتح والتشديد غير مهموز : الخداع . (مجمع البحرين ٢/٤٨) .

(٢) أصول الكافي ١/٤٩ باب النوادر حديث ٥ بلفظه .

(٣) كذا في المصدر ، وفي الاصل : به الدنيا .

(٤) أصول الكافي ١/٤٦ باب المستأكل بعلمه والمباهي به حديث ١ ، بلفظه .

وخبر أبي خديجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « مَنْ أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ، ومَنْ أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة »[1] .

وخبر حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياكم فاتّهموه على دينكم ، فإنّ كلّ محبّ لشيءٍ يحوط ما أحب » .

وقال عليه السلام : « أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : « لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي ، فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين ، إنَّ أدنى ما أنا صانع بهم أنْ أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم »[2] .

وخبر السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا » . قيل : يا رسول الله ! وما دخوهم في الدنيا ؟ قال : « اتّباع السلطان ؛ فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم »[3] .

⇐ [وجاء في كتاب سليم بن قيس الهلالي ٢/٧١٨ـ ٧١٩، الحديث الثامن عشر ، وبشكل مفصل ، وكذا في الخصال والتهذيب واعلام الدين باختلاف يسير بينهما ، والمعنىٰ واحد] .

(١) أصول الكافي ٤٦/١ باب المستأكل بعلمه والمباهي به حديث ٢ ، بلفظه .

(٢) أصول الكافي ٤٦/١ باب المستأكل بعلمه والمباهي به حديث ٤ ، بلفظه .

(٣) أصول الكافي ٤٦/١ باب المستأكل بعلمه والمباهي به حديث ٥ ، بلفظه .

وخبر ربعي بن عبدالله عمّن حدّثه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « مَنْ طلب العلم ليباهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ؛ فليتبوّأ مقعده من النّار ، وإنّ الرئاسة لا تصلح إلاّ لأهلها »[١] .

وإيّاك بنيّ والعصيان بعد العلم ، فإنّ الحجّة على العالم آكد ، وأمره أشدّ ، ولذا قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ .. ﴾[٢] .

وقال الصادق عليه السلام لابن غياث : « يا حفص ! يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد »[٣] .

وعليك بنيّ إذا أردتَ التعلّم أن تختار لذلك معلّماً صالحاً ، ديّناً تقيّاً ، لأنّ غيره لا يؤمَنُ غشّه وإضلاله ، ولذا فسّر مولانا الصادق عليه السلام الطعام في قوله عزّوجلّ : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الاِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾[٤] ، بعلمه الذي يأخذه عمّن يأخذه[٥] .

وعليك بنيّ ـ وفّقك الله تعالىٰ لكلّ خير ، وجنّبك من كلّ سوء

(١) أصول الكافي ١/٤٧ باب المستأكل بعلمه والمباهي به حديث : بنصه .

(٢) سورة النساء (٤) : ١٧ .

(٣) أصول الكافي ١/٤٧ باب لزوم الحجّة على العالم حديث ١ بلفظه .

(٤) سورة عبس (٨٠) : ٢٤ .

(٥) أصول الكافي ١/٥٠ باب النوادر حديث ٨ عن زيد الشحام عن أبي جعفر عليه السلام .

وشَيْن ـ بمراجعة (منية المريد) التي أَلّفها الشهيد الثاني (قدّس سره) في آداب المفيد والمستفيد والعمل بها ، فإنّ كلّ عمل من غير آدابه غير ممدوح ولا مستحسن . ومن أهمّ ما هناك إكرام العلماء العاملين ، سيّما مَنْ تعلّمتَ منه شيئاً من العلم ، فإنّ مَنْ علّمك أحد آبائك[١] .

وقد روىٰ ثابت بن دينار الثمالي ، عن علي بن الحسين عليهما السلام أنّه قال : « حقّ سائسك بالعلم التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع إليه ، والإقبال عليه[٢] ، وأنْ لا ترفع عليه صوتك ، ولا تجيب أحداً يساله عن شيء حتّى يكون هو الذي يجيب ، ولا تحدّث في مجلسه أحداً ، ولا تغتاب عنده أحداً ، وأنْ تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوءٍ ، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه ، ولا تجالس له عدوّاً ، ولا تعادي له وليّاً ، فإذا فعلت ذلك شهدتْ لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمتَ علمه لله جلّ اسمه لا للناس[٣] .

و[أمّا] حقّ رعيّتك بالعلم ؛ أنْ تعلم أنَّ الله عزّوجلّ إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم ، وفتح لك خزائنه ، فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ، ولم تضجر عليهم ، زادك الله تعالى مِنْ فضله ، وإنْ منعت الناس علمك ، أو خرقت بهم عند طلبهم منك ، كان حقاً على الله عزّوجلّ أن

---

(١) الإثنا عشرية في المواعظ العددية : ٨١ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « الآباء ثلاثة : أب أولدك ، وأب زوّجك ، وأب علّمك » .

(٢) في الاصل : إليه ؛ بدلاً من : عليه .

(٣) رسالة الحقوق : ٢٦ .

يسلبك العلم وبهاءه ، ويسقط من القلوب محلّك »[١] .

وفي خبر سليمان بن جعفر الجعفري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « إنّ مِنْ حقّ العالم أن لا تكثر عليه السؤال ، ولا تأخذ بثوبه ، وإذا دخلت عليه ـ وعنده قوم ـ فسلّم عليهم جميعاً ، وخصّه بالتحية دونهم ، وأجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ، ولا تغمز بعينك ، ولا تشر بيدك ، ولا تكثر من القول : قال فلان .. وقال فلان .. خلافاً لقوله ، ولا تضجر بطول صحبته ، فإنّما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها[٢] متى يسقط عليك منها شيء .. » الحديث[٣] .

وعليك بنيّ ـ جعلك الله تعالى من العلماء العاملين ـ العمل بما تعلم ، فإنَّ محبوبية العلم إنّما هو لكونه مقدّمة للعمل ، ولذا انّ العالم بلا عمل قد شبه بالشجر بلا ثمر .

وإيّاك وترك العمل ، فإنّ علمك حينئذ يكون وبالاً عليك ، ولقد أجاد من قال : إنّ جميع العباد مكلّفون بالعمل ، إلاّ أن هذا التكليف في حقّ العالم آكد ـ كما أشرنا إليه آنفاً ـ ، ومن ثمّ جعل الله تعالى ثواب المطيعات من نساء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وعقاب العاصيات منهنّ ضِعف ما

---

(١) بحار الأنوار : ٥/٦٤ ـ مع اختلاف يسير .

(٢) كذا في المصدر ، وفي الاصل : تنظرها .

(٣) أصول الكافي ٣٧/١ باب حقّ العالم حديث ١ عن سليمان بن جعفر الجعفري ، وفي آخر الحديث : « .. والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله » .

لغيرهنّ(١) .

وقد ورد في مسند سليم بن قيس الهلالي قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدّث عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال [في كلام له] : « العلماء رجلان : رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناجٍ ، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك . وإنّ أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه ، وإنّ أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقَبِلَ منه فأطاع الله فأدخله الجنّة ، وأُدخل الداعي النار بتركه علمه .. واتّباعه [هواه وعصيانه الله ، إنما هو اثنان : اتباع](٢) الهوىٰ وطول الأمل ، أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحق ، و[أمّا] طول الأمل : ينسي الآخرة »(٣) .

وفي خبر إسماعيل بن جابر ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « العلم مقرون إلى العمل ، فمَنْ علم عمل ، ومَنْ عمل علم ، والعلم يهتف بالعمل ، فإنْ أجابه وإلاّ ارتحل عنه »(٤) .

وفي خبر عبدالله بن القاسم الجعفري عن أبي عبدالله عليه السلام

---

(١) سورة الأحزاب (٣٣) : ٣٠ و٣١ قوله عزّ من قائل : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعِفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ﴾ .

(٢) [ما بين معكوفين من ما جاء في كتاب سليم بن قيس] .

(٣) أصول الكافي ٤٤/١ باب استعمال العلم حديث ١ بلفظه ، [وجاء بزيادة في كتاب سليم بن قيس الهلالي ٧١٨/٢ من طبعة نشر الهادي ، ورواه في الروضة والشافي والخصال والتهذيب واعلام الدين والكل عن سليم] .

(٤) أصول الكافي ٤٤/١ باب استعمال العلم حديث ٢ بلفظه .

قال : « إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلَّتْ موعظته من القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا »[١] .

وفي خبر [علي بن] هاشم بن البريد قال : جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام فسأله عن مسائل فأجاب ، ثم عاد ليسأل عن مثلها ، فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : « مكتوب في الإنجيل : لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمّا تعملوا بما علمتم ، فإن العلم إذا لم يُعْمَل به لم يزدد صاحبه إلاَّ كفراً ، ولم يزدد من الله إلا بُعْداً »[٢] .

وفي بعض ما خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر ـ على ما روي ـ أنّه قال : « أيّها الناس ! إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلّكم تهتدون ، إنّ العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله ، بل قد رأيت أنَّ الحجة عليه أعظم ، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من[٣] علمه منها على هذا الجاهل المتحيّر في جهله ، وكلاهما حائر بائر ، لا ترتابوا فتشكّوا ، ولا تشكّوا فتكفروا ، ولا ترخّصوا لأنفسكم فتدهنوا في الحقّ ، ولا تدهنوا في الحقّ فتخسروا ، وإنّ من الحقّ أن تفقّهوا ، ومن الفقه أن لا تغترّوا ، وإنَّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربّه ، وأغشَّكم لنفسه أعصاكم لربّه ، ومن يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعصِ الله يخب

---

(١) اصول الكافي ١/٤٤ باب استعمال العلم حديث ٣ بلفظه .

(٢) أصول الكافي ١/٤٤ ـ ٤٥ باب استعمال العلم حديث ٤ بلفظه .

(٣) كذا في المصدر ، وفي الأصل : عن .

ويندم »[١] .

وعن عبدالله بن ميمون القداح ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ! ما العلم ؟ قال : « الإنصات » . قال : ثمّ مَهْ [يا رسول الله !] ؟ قال : « الاستماع » . قال : ثمّ مَهْ ؟ قال : « الحفظ » . قال : ثمّ مَهْ ؟ قال : « العمل به » . قال : ثمّ مَهْ يا رسول الله !؟ قال : « نشره »[٢] .

وفي خبر الحارث بن المغيرة النظري ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٣] قال : « يعني بالعلماء مَنْ صدّق قوله فعله ، ومَنْ لم يصدّق قوله فعله فليس بعالم »[٤] .

انظر بنيّ ـ هداك الله إلى الصواب ـ كيف نفى اسم العالم عمّن لم يعمل بما علمه وقال به ؟ . فإيّاك ثمّ إيّاك أن تكون ممّن عِلْمُه وبال عليه .

وعليك بنيّ ـ وفّقك الله تعالىٰ لمراضيه ـ بالاتّصاف بالصفات المذكورة للعلماء العاملين ، ففي صحيح معاوية بن وهب قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « اطلبوا العلم ، وتزيّنوا بالحلم والوقار[٥] ، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبّارين

---

(١) أصول الكافي ١/٤٥ باب استعمال العلم حديث ٦ ، بلفظه .

(٢) أصول الكافي ١/٤٨ باب النوادر حديث ٤ ، بلفظه .

(٣) سورة فاطر (٣٥) : ٢٨ .

(٤) أصول الكافي ١/٣٦ حديث ٢ .

(٥) كذا في المصدر ، وفي الأصل : وتزينوا معه بالحلم .

فيذهب باطلكم بحقّكم »[١] .

وفي صحيح الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ألا أخبركم بالفقيه حقّ الفقيه ؛ مَنْ لم يقنّط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمّنهم من عذاب الله ، ولم يرخّص لهم في معاصي الله ، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ألاٰ لاٰ خير في علم ليس فيه تفهّم ، ألاٰ لاٰ خير في قراءة ليس فيها تدبّر ، ألاٰ لاٰ خير في عبادة لا فقه فيها ، ألاٰ لاٰ خير في نسك لاٰ ورع فيه »[٢] .

وخبر معاوية بن وهب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « يا طالب العلم ! إنّ للعالم ثلاث علامات : العلم ، والحلم ، والصمت . وللمتكلّف ثلاث علامات : ينازع مَنْ فوقه بالمعصية ، ويظلم مَنْ دونه بالغلبة ، ويظاهر الظلمة »[٣] .

وعنه عليه السلام أنّه قال : « لا يكون السفه والغرّة في قلب العالم »[٤] .

وفي خبر أبي بصير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « يا طالب العلم ! إنّ العلم ذو فضائل كثيرة ، فرأسه التواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، وأذنه الفهم ، ولسانه

---

(١) أصول الكافي ١/٣٦ حديث ١ بلفظه .

(٢) أصول الكافي ١/٣٦ حديث ٣ بلفظه .

(٣) أصول الكافي ١/٣٧ حديث ٧ بلفظه .

(٤) أصول الكافي ١/٣٦ حديث ٥ بلفظه .

الصدق ، وحفظه الفحص ، وقلبه حسن النيّة ، وعقله معرفة الأشياء والأمور ، ويده الرحمة ، ورجله زيارة العلماء ، وهمّته السلامة ، وحكمته الورع ، ومستقرّه النجاة ، وفائدته العافية ، ومركبه الوفاء ، وسلاحه لين الكلمة ، وسيفه الرضا ، وقوسه المداراة ، وجيشه محاورة[(١)] العلماء ، وماله الأدب ، وذخيرته اجتناب الذنوب ، وزاده المعروف ، ومأواه الموادعة ، ودليله الهدىٰ ، ورفيقه محبّة الأخيار »[(٢)] .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « نِعْمَ وزير الإيمان العلم ، ونِعْمَ وزير العلم الحلم ، ونِعْمَ وزير الحلم الرفق ، ونِعْمَ وزير الرفق الصبر[(٣)] »[(٤)] .

وإيّاك بنيّ ـ جنّبك الله تعالىٰ مخالفته ـ أن تقول بغير علم ، فقد قال الصادق عليه السلام لمفضّل : « أنهاك عن خصلتين فيهما هلاك[(٥)] الرجال ، أنهاك أنْ تدين الله بالباطل ، وتفتي الناس بما لا تعلم »[(٦)] .

وقال الباقر عليه السلام : « مَنْ أفتى الناس بغير علم ولا هدىٰ لعنته ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، ولحقه وزر من عمل بفتياه »[(٧)] .

---

(١) كذا في المصدر ، وفي الأصل : مجاورة .

(٢) أصول الكافي ١/٤٨ حديث ٢ بلفظه .

(٣) كذا في الكافي ، وفي الأصل : العبرة ، وجاءت نسخة في هامشه .

(٤) أصول الكافي ١/٤٨ حديث ٣ بلفظه .

(٥) كذا في المصدر ، وفي الأصل : هلك .

(٦) أصول الكافي ١/٤٢ حديث ١ ، بلفظه .

(٧) أصول الكافي ١/٤٢ حديث ٣ ، بلفظه .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « .. مَنْ أفتى الناس وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ ، والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك »[١] .

فعليك بنيّ ! فيما لا تعلم بقول : لا أدري ، ولذا قال أبو عبدالله عليه السلام : « اذا سُئِلَ الرجل منكم عمّا لا يعلم فليقل : لا أدري ، ولا يقل : الله أعلم ، فيوقع في قلب صاحبه شكاً ، وإذا قال المسؤول : لا أدري .. فلا يتّهمه السائل »[٢] .

وقال عليه السلام : « للعالم إذا سئل عن شيء وهو لا يعلمه أن يقول : الله أعلم ، وليس لغير العالم أن يقول ذلك »[٣] .

وأقول : لا تنافي بين الخبرين ؛ فإنّ المراد بالرجل منهم غير العالم ، ولعل الفرق بين العالم وغيره ـ حيث رُخّص للأول قول : الله أعلم ، دون الثاني ـ أنّ في قول : الله أعلم .. إيماء بأنّي أيضاً عالم ببعض الأحكام بالتحصيل ، وذلك لا يسوغ من غير العالم ، وإنّما يسوغ من العالم[٤] .

---

(١) أصول الكافي ١/٤٢ حديث ٩ عن ابن شبرمة قال : ما ذكرت حديثاً سمعته من جعفر بن محمد عليهما السلام إلاّ كاد أن يتصدّع قلبي ، قال : حدثني أبي ، عن جدّي ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، قال ابن شبرمة : وأقسم بالله ، ما كذب أبوه على جدّه ، ولا جدّه على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك ، ومن أفتى الناس بغير علم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ ، والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك » .

(٢) أصول الكافي ١/٤٢ ـ ٤٣ حديث ٦ ، بلفظه .

(٣) أصول الكافي ١/٤٢ حديث ٥ ، بلفظه .

(٤) أصول الكافي ١/٥٠ حديث ١٢ عن هشام بن سالم قال : قلت لأبي عبدالله عليه

وقال عليه السلام : « لا يسعكم فيما ينزل بكم ممّا لا تعلمون إلاّ الكفّ عنه والتثبّت ، والردّ إلى أئمّة الهدى حتّى يحملوكم فيه على القصد ، ويجلوا عنكم فيه العمىٰ ، ويعرّفوكم فيه الحق[1] . قال الله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وإيّاك بنيّ والعمل بغير علم ، فقد قال الصادق عليه السلام : « العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلاّ بُعداً »[3] .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « مَنْ عمل على غير علم كان ما يفسده أكثر ممّا يصلح »[4] .

وعليك بنيّ بحبّ العاملين من أهل العلم وملازمتهم ومجالستهم ؛ لأنّ مَنْ أحبّ قوماً حُشِرَ معهم ، ومَنْ أحبّ عمل قوم أُشْرِكَ في عملهم[5] .

⇐ السلام : « ما حقّ الله على خلقه ؟ » فقال : « أن يقولوا ما يعلمون ، ويكفّوا عمّا لا يعلمون ، فإذا فعلوا ذلك فقد أدّوا إلى الله حقّه » .

(١) أصول الكافي ١/٥٠ حديث ١٠ عن حمزة بن الطيّار أنّه عرض على أبي عبدالله عليه السلام بعض خطب أبيه حتّى بلغ موضعاً منها قال له : « كفّ واسكت » ، ثم قال أبو عبدالله عليه السلام ... الحديث ، بلفظه .

(٢) سورة النحل (١٦) : ٤٣ .

(٣) أصول الكافي ١/٤٣ حديث ١ ، بلفظه .

(٤) أصول الكافي ١/٤٤ حديث ٣ ، بلفظه .

(٥) تفسير الصافي : ٥٦ من الطبعة الحجرية [١/٢٠٩ ـ ٢١٠] سورة البقرة (٢) : ١٩٣ ، قوله عزّ من قائل : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ . فراجع .

وقال الصادق عليه السلام لأبي حمزة الثمالي رحمه الله : « اغد عالماً أو متعلّماً أو أحبّ أهل العلم ، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم »[١] .

وقد سمعت في طيّ أخبار طلب العلم عن السجّاد عليه السلام ما نطق : بأنّ التقي الطالب للثواب الملازم للعلماء مِنْ أحبّ عباد الله إليه[٢] . ويأتي ما ورد في مجالسة العالم .

وعليك بنيّ ببذل العلم لأهله ، لما ورد من أنّ : زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله[٣] ، وأنّ الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتّى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال[٤] .

نعم ؛ ورد أنّه قال عيسى عليه السلام في خطبته لبني إسرائيل : « لا تحدّثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »[٥] .

وعليك بنيّ ـ أطال الله بقاك ووفّقك لما يحبّ ويرضىٰ ـ الاقتصار في صرف العمر في سائر العلوم على مقدار الضرورة ، وصرف باقي عمرك في

---

(١) أصول الكافي ١/٣٤ حديث ٣، بلفظه .

(٢) أصول الكافي ١/٣٥ حديث ٥ عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : « لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج ، وخوض اللجج ، إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال : أن أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم ، التارك للاقتداء بهم ، وأحبّ عبيدي إليّ التقي الطالب للثواب الجزيل ، اللازم للعلماء ، التابع للحلماء ، القابل عن الحكماء » .

(٣) أصول الكافي ١/٤١ حديث ٣ ، بلفظه .

(٤) أصول الكافي ١/٤١ حديث ١ ، بلفظه .

(٥) أصول الكافي ١/٤٢ حديث ٤ ، بلفظه .

الفقه ، لما عرفت من كون المقتضي لمحبوبيّة العلم هو العمل ، والمتوقّف عليه العمل ليس إلاّ الفقه ، فإنَّ به يعرف أوامر الله تعالى فتمتثل ، ونواهيه فتجتنب ، ولأن معلوم الفقه ـ وهو أحكام الله تعالىٰ ـ أشرف المعلومات ، مضافاً إلى كونه ناظماً لأمور المعاش على وفق الدين ، وبه كمال نوع الإنسان ، ولقد أجاد صاحب المعالم حيث أقام البرهان على أهميّة الفقه بقوله : الحقّ عندنا أن الله تعالى إنّما فعل الأشياء المحكمة المتقنة لغرض وغاية ، ولا ريب في أن نوع الإنسان أشرف ما في العالم السفلي من الأجسام فيلزم تعلّق الغرض بخلقه ، ولا يمكن أن يكون ذلك الغرض حصول ضرر له ، إذ هذا إنّما يقع من الجاهل والمحتاج ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ ، فتعيّن أن يكون هو النفع ، ولا يجوز أن يعود إليه سبحانه لاستغنائه وكماله ، فلابدّ أن يكون عائداً إلى العبد ، وحيث كانت المنافع الدنيويّة في الحقيقة ليست بمنافع ، وإنّما هي دفع الآلام فلا يكاد يطلق عليها اسم النفع ، إلاّ على ما ندر منها ، لم يعقل أن يكون هو[1] الغرض من إيجاد هذا المخلوق الشريف ، سيّما مع كونه منقطعاً مشوباً بالآلام المتضاعفة ، فلابدّ أن يكون الغرض شيئاً آخر ممّا يتعلّق بالمنافع الأخرويّة ، ولمّا كان ذلك النفع من أعظم المطالب وأنفس المواهب لم يكن مبذولاً لكلّ طالب ، بل إنّما يحصل بالاستحقاق ، وهو لا يكون إلاّ بالعمل في هذه الدار المسبوق بمعرفة كيفية العمل المشتمل عليها هذا العلم ، فكانت الحاجة ماسّة إليه جداً

---

(١) كذا ، والظاهر : ان تكون هي .

لتحصيل هذا النفع العظيم[١] .

.. ثم ساق صحيح أبان بن تغلب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « لوددت أنّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقّهوا »[٢] .

وخبر عليّ بن أبي حمزة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « تفقّهوا في الدين فإنّه مَنْ لم يتفقّه منكم [في الدين] فهو أعرابي[٣] ، إنّ الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٤] .

وفي خبر مفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام : « إنّ مَنْ لم يتفقّه في دين الله تعالىٰ لم ينظر الله إليه يوم القيامة ، ولم يزكِّ له عملاً »[٥] .

وغير ذلك .

وفي خبر إبراهيم بن عبدالحميد ، عن أبي الحسن موسى عليهما السلام قال : دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل ، فقال : « ما هذا ؟ » فقيل : علّامة . فقال : « وما العلّامة ؟ » فقالوا له : أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها ، وأيام الجاهلية ، والأشعار

---

(١) معالم الأصول : ٢٠ ـ ٢١ [ط ج : ١٣٥ ـ ١٣٦] .

(٢) أصول الكافي ١/٣١ حديث ٨ ، بلفظه .

(٣) أصول الكافي ١/٣١ حديث ٦ .

(٤) سورة التوبة (٩) : ١٢٢ .

(٥) أصول الكافي ١/٣١ حديث ٧ عن مفضّل بن عمر قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « عليكم بالتفقّه في دين الله ولا تكونوا أعراباً ، فإنّه من لم يتفقّه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزكّ له عملاً » .

العربية . [قال :] فقال النبي صلّى الله عليه وآله : « ذاك علم لا يضرّ من جهله ، ولا ينفع من علمه » . ثم قال النبي صلّى الله عليه وآله : « إنّما العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنّة قائمة ، وما خلاهن فهو فضل »(١) .

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : « الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين ، والصبر على النائبة ، وتقدير المعيشة »(٢) .

وفي خبر حمّاد عن الصادق عليه السلام قال : « إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه في الدين »(٣) .

وعنه عليه السلام أنه قال : « العلماء أمناء ، والأتقياء حصون ، والأوصياء سادة »(٤) .

واعلم بنيّ أنّ مذاكرة العلم عبادة ، فعليك بها ، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا ، فإنّ الحديث جلاء للقلوب ، إنّ القلوب لترين(*) كما يرين السيف ؛ وجلاؤها الحديث »(٥) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : « رحم الله عبداً أحيى العلم ، وإحياؤه

---

(١) أصول الكافي ١/٣٢ حديث ١ ، بلفظه .

(٢) أصول الكافي ١/٣٢ حديث ٤ ، بلفظه .

(٣) أصول الكافي ١/٣٢ حديث ٣ ، بلفظه .

(٤) أصول الكافي ١/٣٢ حديث ٥ ، بلفظه .

(*) بالراء المهملة ، الحجاب الكثيف [منه (قدّس سرّه)] .

(٥) أصول الكافي ١/٤١ حديث ٨ ، بلفظه .

أنْ يذاكر به أهل الدين ، وأهل الورع »[١] .

وعليك بنيّ ـ وفّقك الله تعالى للعلم والعمل الصالح ـ إن ٱضطررت إلى الاكتساب لاقتضاء الوقت ذلك بسبب تغيّر أوضاع الزمان ، وأداء ترك التكسّب إلى الذلّة ، أو ٱرتكاب الأمور الغير المشروعة ، أن لا تترك طلب العلم بالمرّة ، بل تطلب العلم مقداراً من النهار ، وتكتسب مقداراً ، فإنّ من المنصوص المجرّب أنّ الرزق مقدار معيّن لا يزيد بكثرة السعي ، ولا ينقص بقلّته[٢] .

فإيّاك بنيّ أن تصرف حينئذ تمام عمرك في طلب المعيشة ، وتترك طلب العلم بالمرّة ، فتكون كالبهيمة أو أضلّ سبيلاً ، وتجهل تكاليفك ، وتكون قراءتك للقرآن والأدعية مجرّد لقلقة اللسان من دون فهم للمعنىٰ .

وأرىٰ أنّ ٱتّخاذ قراءة التعزية مكسباً أولىٰ لك من سائر المكاسب ؛

---

(١) أصول الكافي ٤١/١ حديث ٧ عن أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « رحم الله عبداً أحيا العلم » . قال : قلت : وما إحياؤه ؟ قال : « أن يذاكر به أهل الدين وأهل الورع » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٤١٨/٢ باب ١٠ حديث ٤ [الطبعة المحقّقة ٢٨/١٣ حديث ١٤٦٤٦ ، وقريب منه في ٣١/١٣ حديث ١٤٦٥٧] ، عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « ألا إنّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها ، فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله ، فإنّ الله تعالى لا ينال عهده إلاّ بطاعته ، قد قسّم الأرزاق بين خلقه ، فمن هتك حجاب الستر وعجّل فأخذه من غير حلّه نقص من رزقه الحلال ، وحوسب عليه يوم القيامة » .

لاجتماعها مع طلب العلم والتفقّه .

وعليك إن آخترتها بحفظ اللسان من الكذب والبهتان على أهل البيت عليهم السلام ، ولا تذكر من المصائب إلاّ ما به رواية معتبرة تنسبها إليها ، أو تنقل ما رواه الشخص المعيّن ، ولا تزعم أنّ كثرة بكاء الناس تتوقّف على الإكثار من ذكر المصائب ، بل تحصل بإدخال المصيبة في قلب الشيعي بتقريب حسن ، ولذا فعليك بتقديم بيان كرامة من كرامات مَنْ تذكر مصيبته من أهل البيت عليهم السلام وتعقّب ذلك بذكر المصيبة ، فإنّ لذلك مدخلاً عظيماً في تأثير ذكر المصيبة في القلب ، وزيادة البكاء ، كما يقضي به الاعتبار والتجربة .

وإيّاك وأن تكون طبيباً ؛ فإنّ خطر الطبّ عظيم ، وتبعاته كثيرة ، والخلاص منها صعب مستصعب ، سيّما عند المباشرة للعلاج باليد .

وإيّاك بنيّ إن طلبت العلم ، وبلغت المرتبة العليا منه أن تطلب الرئاسة ، وتحنّ نفسك إليها ، فإنّها مُهلكة ، وللدين مفنية[1] ، وللراحة

---

(١) أصول الكافي ٢٩٧/٢ حديث ٥ عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « من طلب الرياسة هلك » .

وص٢٩٨ حديث ٤ قال لي أبو عبدالله عليه السلام : « إيّاك والرياسة ، وإيّاك أن تطأ أعقاب الرجال » ، قال : قلت : جعلت فداك أما الرياسة فقد عرفتها ، وأما أن أطأ أعقاب الرجال فما ثلثا ما في يدي إلاّ مما وطئت أعقاب الرجال . فقال لي : « ليس حيث تذهب ، إيّاك أن تنصب رجلاً دون الحجّة فتصدّقه في كلّ ما قال » .

وانظر : مستدرك وسائل الشيعة ٣/ ١٩٠ حديث ٣ [الطبعة المحقّقة ١٧/ ٣٢٢

⇐

سالبة ، وإني لأخبرك إخبار مطّلع مجرّب داخل فيها وخارج ؛ إنّك إن آلتزمت بمُرِّ الحق كنت مسلوب الراحة في نفسك ، وملوماً عند الناس ، وإن جريت على ميل الناس خسرت الآخرة .

فعليك بنيّ بالفرار منها فرارك من الأسد ، إذ لا خير فيما يشغلك عن العبادة ، ويعقبك بين الناس الملامة ، وما رأيت في عمري رئيساً في العلم آلتزم بالديانة إلاّ وكان غرضاً للسهام ، يُستحل جمع ماله وعرضه ، ويستبيحون البهتان عليه وشتمه ، ويعاملونه معاملة الكافر الحربي .

فإيّاك بنيّ ثمّ إيّاك وتمهيد أسبابها ، ونصب شبائكها ، وتهيئة مقدماتها ، فتكون ساعياً في هلاك نفسك ، وذهاب راحتك ودينك ، وإن أتتك قهراً عليك فعليك بمراقبة نفسك آناً بعد آن ، فإنَّ خطرها عظيم ، ومزالقها كثيرة ، ومنفعتها يسيرة ، ومضارّها جسيمة ، والسالم من تبعاتها في نهاية الندرة ، وإنّ أخوف ما يخاف على العالم المبرّز أمور أنهاك بنيّ ! عنها غاية النهي ، وأمنعك منها نهاية المنع .

⇐ حديث ٢١٤٧٤] ، عن عنوان البصري عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال ـ في حديث ـ : « وأمّا اللواتي في العلم فاسأل العلماء ما جهلت ، وإيّاك أن تسألهم تعنّتاً وتجربة ، وإيّاك أن تعمل برأيك شيئاً ، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً ، واهرب من الفتيا هربك من الأسد ، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً » .

ووسائل الشيعة ٤٦٨/٢ باب ٥٠ حديث ١٢ [ط ج ٢٨١/١١] ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « ما لكم والرياسات ؟ إنّما المسلمون رأس واحد إياكم والرجال ، فإن الرجال للرجال مهلكة » .

أحدها : القضاء :

فإنه سم ناقع ، ومرض مهلك ، فإيّاك بنيّ وإيّاه ، فإنّه من مزالق الأقدام ، ومزالّ الأقلام ، سيّما في هذه الأزمنة التي قلّ فيها الديّانون ، وكثرت عبدة الشيطان والغاشون ، وكيف يقدم العاقل على أمرٍ مرتكبوه أقسام أربعة ، ثلاثة منهم في النار وواحد في الجنّة[1] ؟! وأيّ تاجر يقدم على تجارة لا يوازي ربحها خسرانها ، ونفعها ضرّها ؟! وكيف يجسر المتديّن على جلوس مجلس لا يجلسه إلاّ نبيّ أو وصيّ [نبيّ] أو شقيّ[2] ، ومَنْ ذا الذي يطمئنّ من نفسه ويرجو منها رتبة النبوة والوصاية حتى لا تصيبها الشقاوة ؟

وإيّاك بنيّ ـ عصمك الله تعالىٰ من الزلّات ـ أن تغترّ بتسويلات الشيطان وتخيّلاته ، وتزعم وجوب القضاء عليك عيناً فترتكبه وتهلك من حيث لا تعلم ، وإن اتفق وقوعك في قطر وبانَ لك ـ بعد إخلاء الذهن وصرف الفكر ـ وجوبه عليك عيناً واقعاً ، لجمعك الملكتين[3] ، وإيرات

---

(١) وسائل الشيعة ٣٦٩/٣ باب ٤ حديث ٦ [ط ج ١١/١٨] ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « القضاة أربعة : ثلاثة في النار ، وواحد في الجنّة ، رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالجور وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة.» .

(٢) وسائل الشيعة ٣٦٩/٣ باب ٣ حديث ٢ [ط ج ٧/١٨] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح : « يا شريح ! قد جلست مجلساً لا يجلسه [خ . ل : ما جلسه] إلاّ نبي ، أو وصيّ ، أو شقيّ » .

(٣) الملكة العلمية بأن تكون الفروع الفقهية مستحضرة في ذهنك بسبب القوة الحاصلة

تركك القضاء الهرج والمرج في الأعراض والأُنفس والأموال ؛ فعليك بإعمال الصلح ، وإلزام الطرفين بالإحتياط بعد تبيّن المحقّ عندك يقيناً .

ثانيها : الخيانة :

[الخيانة] في حقوق الفقراء والمساكين من الذريّة الطاهرة وسائر الرعية ، تارة بالصرف في التوسعة على النفس والعيال وترجيحهم على سائر الفقراء بغير مرجح شرعي ، وأخرى : بمتابعة الهوىٰ في صرفها ، والإخلال بالإخلاص في إيصالها .

فأوصيك بنيّ ـ عصمك الله تعالى من اتّباع الهوىٰ ـ بما أوصى به إليّ حضرة الشيخ الوالد العلامة ـ أنار الله تعالىٰ برهانه ـ إن صرت مرجعاً للحقوق :

أوّلاً : بأن تمتنع من صرفها على نفسك وعيالك مهما أمكن ، وتقنع بالهدايا ، فإنّي لا آمَن من أنّك إن أخذت منها في بدو الأمر بقدر الضرورة يقسو قلبك ، وبعد ذلك تجسر على الأخذ بمقدار التوسعة ، ثمّ تجسر على الأخذ للتأنقات والتجمّلات ، ثمّ تجسر بعد ذلك على صرفها في تهيئة الأملاك والأموال لمعيشة أولادك وعيالك بعدك ، فتكون مورداً لنفسك موارد الهلكة ، مستحقّاً للعذاب يوم الفقر والفاقة ، وإنّما مثل الحقوق مثل الشبهات ، مَنْ حام حولها يوشك أن يدخل فيها .

⇐ من ممارسة القواعد الفقهية ، وضبط الأصول الكلية . والملكة العملية بأن تكون عاملاً بالأحكام ، مطيعاً لسيّد الأنام ، عادلاً بين العباد ، ورعاً في جميع الأمور .

نعم ؛ إنْ لم تكن مرجعاً للتقليد والحقوق فلا بأس بأخذك منها مقدار رفع الضرورة ، ولا تزعم أنّك إن آمتنعت من صرف الحقوق على نفسك وعيالك تموت جوعاً ، فإنّ كفيل الرزق مأمون ، فإذا وجدك ممتنعاً من صرف الحقوق رزقك من الهدايا بمقدار ما قُدّر لك ، كما قضت به التجربة القويمة ، ولقد وجدتُ بُنيَّ للامتناع من صرف الحقوق على النفس والعيال آثاراً عجيبة ، وفوائد جمّة غريبة ، ونوراً في القلب ، وبركة في العمر ، وتوفيقاً للطاعة ، وحفظاً عن الزلة .. وأسأل الله الكريم الوهاب أن يريك ذلك بالعيان الذي ليس مثله البيان .

وثانياً : بأن تنوي القربة في إيصال الحقوق ، ولا تقرن عطاءك بالأغراض الواهية الدنيويّة ، فتعطي من يخدمك ويعظّمك ، وتقطع من لا يقرب منك ولا يعتني بك ، أو تزيد سهم القريب على سهم البعيد لا لمرجح شرعي ، بل بسبب القرب وإظهار الإخلاص لك ، بل ليكن موجب عطائك إيمان المعطىٰ وتقواه ، وموجب تفضيلك وجود جهة من جهات الفضل الشرعية فيه ، وذلك لأنّ عطاء الحقوق وإيصالها عبادة يعتبر فيها نيّة القربة ، وينافيها قصد الأغراض الواهية ، فإذا لم تخلص فيها النية بقيتَ مشغول الذمّة لصاحب الحقّ والفقراء جميعاً ، وكان شفعاك يوم القيامة خصماءك ، وخسرت الدنيا بإخراج المال من يدك ، والآخرة بعدم قصد القربة المبرئ للذمّة ، وصرت مصداق قول الشاعر الفارسي :

ديدي كه چه كرد أشرف خر   او مظلمه برد وديگري زر[1]

---

(١) [ويريد هنا انه : هل رأيت ما حلّ بـ(أشرف) الحمار ، حيث تحمّل هو تبعات عمله

ثالثها : التسرّع في الفتوىٰ :

فإنّ [التسرّع في الفتوىٰ] داءٌ عضال ؛ فعليك بنيّ بالاجتناب من ذلك ، وإيّاك بنيّ وأن تفتي قبل الاحاطة بجميع أبواب الفقه ، فإنّ بعضها مربوط ببعض .

ولقد عثرت غير مرّة على فتوىٰ جمع من المعاصرين في قضايا على طبق القاعدة ، أو أخذاً بإطلاق في الباب المناسب له بأمور مخالفة لإجماع الطائفة ، لعدم عثورهم على عنوانه في باب آخر بأدنى مناسبة ، وأنت إن تأمّلت في رواية أبي ولّاد الواردة في إجارة البغلة ، المذكورة في الباب السابع عشر من كتاب إجارة الوسائل[1] ، علمت عظم خطر الفتوىٰ ، وأنّه

⇐ وحظىٰ غيره بالذهب والغنيمة] .

(١) وسائل الشيعة ٢/٦٤٦ باب ١٧ حديث ١ [الطبعة الجديدة ١٣/٢٥٥] عن ابن محبوب عن أبي ولّاد الحناط قال : اكتريت بغلاً إلى قصر ابن هبيرة ذاهباً وآيباً [جاءياً] بكذا وكذا ، وخرجت في طلب غريم لي ، فلمّا صرت قرب قنطرة الكوفة خُبّرت أنّ صاحبي توجّه إلى النيل ، فتوجّهت إلى [نحو] النيل ، فلما أتيت النيل ، خُبّرت أنّ صاحبي توجّه إلى بغداد ، فاتبعته وظفرت به ، وفرغت ممّا بيني وبينه ، ورجعنا إلى الكوفة ، وكان ذهابي وإيابي [ومجيئي] خمسة عشر يوماً ، فأخبرت صاحب البغل بعذري وأردت أن أتحلل منه ممّا صنعت وأرضيه ، فبذلت له خمسة عشر درهماً فأبىٰ أن يقبل ، فتراضينا بأبي حنيفة .. فأخبرته بالقصّة وأخبره الرجل ، فقال لي : ما صنعت بالبغل ؟ فقلت : قد دفعته إليه سليماً ، قال : نعم بعد خمسة عشر يوماً ! قال : فما تريد من الرجل ؟ فقال : أريد كراء بغلي ، فقد حبسه عليّ خمسة عشر يوماً ، فقال : ما أرىٰ لك حقّاً لانّه اكتراه إلى قصر ابن هبيرة ، فخالف وركبه إلى النيل ، وإلى ⇐

إذا كانت الفتوىٰ بغير الواقع في قضيّة دراهم معدودة موجباً لحبس السماء ماءها ، ومنع الأرض بركاتها(*) ، فما حال الفتوىٰ بغير ما أنزل الله تعالىٰ في الأموال الخطيرة ، والأعراض والأنفس المحترمة ؟!

وينقل عن العلّامة قدّس سرّه أنّه أخبر ولده قدّس سرّه في الرؤيا

⇐ بغداد ، فضمن قيمة البغل وسقط الكراء ، فلمّا ردّ البغل سليماً وقبضته لم يلزمه الكراء ، قال : فخرجنا من عنده ، وجعل صاحب البغل يسترجع ، فرحّمته ممّا أفتى به أبو حنيفة ، فأعطيته شيئاً وتحلّلت منه ، وحججت تلك السنة ، فأخبرت أبا عبدالله عليه السلام بما أفتى به أبو حنيفة ، فقال : « في مثل هذا القضاء وشبهه تحبس السماء مـاءها ، وتمـنع الأرض بركتها » . قال : فقلت لأبي عبدالله عليه السلام : فما ترى أنت ؟ فقال : « أرى له عليك مثل كراء بغل ذاهباً من الكوفة إلى النيل ، ومثل كراء بغل راكباً من النـيل إلى بغداد ، ومثل كراء بغل من بغداد إلى الكوفة ، توفّيه إيّاه » . قال : فقلت : جعلت فداك قد علّفته بدراهم فلي عليه علفه ؟ فقال : « لا ، لأنّك غاصب » . قال : فقلت له : أرأيت لو عطب البغل ونفق ، أليس كان يلزمني ؟ قال : « نعم قيمة بغل يوم خالفته » . قلت : فإن أصاب البغل كسر أو دبر أو غمز ؟ فقال : « عليك قيمة ما بين الصحة والعيب يوم تردّه عليه » . فقلت : من يعرف ذلك ؟ قال : « أنت وهو ، إمّا أن يحلف هـو عـلى القـيمة فيلزمك ، فإن ردّ اليمين عليك فحلفت على القيمة لزمه ذلك ، أو يأتي صاحب البغل بشهود يشهدون أنّ قيمة البغل حين اكترى كذا وكذا فيلزمك » . فقلت : إنّي كـنت أعطيته دراهم ورضي بها وحلّلني . فقال : « إنّما رضي بها وحلّلك حين قضى عليه أبو حنيفة بالجور والظلم ، ولكن ارجع إليه فأخبره بما أفتيتك به ، فإن جعلك في حلّ بعد معرفته فلا شيء عليك بعد ذلك .. » ، الحديث .

(*) حيث قال عليه السلام مشيراً إلى فتوى ابى حنيفة بسقوط أجرة البغلة من حين ضـمان مسـتأجر البغلة إلى ردّه لها إلى مالكه سالمة : « في مثل هذا القـضاء تـحبس السـماء مـاءها وتـمنع الأرض بركتها » . [منه (قدّس سرّه)] .

بأنّه : لولا كتاب الأَلْفَيْن ، وزيارة الحسين عليه السلام لأهلكتني الفتوىٰ..!
والحال أنه آية الله سبحانه المحيط بالفقه والأخبار وأسانيدها ورجالها .

فإيّاك بنيّ ثمّ إيّاك وأن تتصدّى للفتوىٰ قبل الإحاطة التامّة ، بل إيّاك والتصدّي لذلك حتّى بعد الإحاطة التامّة إلاّ عند الضرورة ، بانحصار المحيط بالفقه فيك ، وأداء تركك للفتوىٰ إلى وقوع العباد في الضلالة وخلاف الواقع ، لتصدّي الجهّال له .

رابعها : حبّ الجاه :

[حبّ الجاه] والجلالة الملازم للمرجعيّة في الغالب ، والمفني للأجر ، والمورد للهكلة .

فعليك بنيّ بحفظ نفسك من ذلك ، ومراقبتها في كلّ آنٍ ، فإنّ النفس أمّارة بالسوء إلّا ما رحم الربّ وعصم ..

وفّقك الله تعالى بنيّ وإيّاي لإصلاح النفس وتبعيد الهوىٰ عنها ، إنّه لطيف بعباده ، قادر على إنفاذ مراده .

خامسها : التزوير :

[التزوير] : هو مخالفة الباطن للظاهر بإظهار الزهد والقناعة في الظاهر دون الباطن ، فإنّ ذلك ممّا شاع في أعصارنا إلى أن صار ممّا نوبّخ به ، فإيّاك بنيّ وإيّاه ، فإنّه شرك خفي بالله العظيم ، بل جليّ ، وكأنّ مرتكبه يعبد الناس دون الله تعالىٰ ، ويراقبهم دونه ، على أنّ البواطن لا تخفى ،

فظهورها يوجب سقوط المزوّر عن أعين الناس ، وآفتضاحه بين العباد(١) .

فعليك بنيّ بأن تصانع وجهاً يكفيك الوجوه كلّها ، وتعمير ما بينك وبينه ، والتسوية بين الظاهر والباطن من جميع الجهات ، ولقد أجاد من قال :

فيا ليت ما بيني وبينك عامر   وبيني وبين العالمين خراب

(١) أصول الكافي ٢/٢٩٣ حديث ٣ ، عن يزيد بن خليفة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « كلّ رياء شرك ، إنّه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله » .

وحديث ٤ عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿ فَمَنْ كٰانَ يَرْجُو لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَلاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [سورة الكهف (١٨) : ١١٠] قال : « الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله ، إنّما يطلب تزكية الناس ، يشتهي أن يسمع به الناس ، فهذا الذي أشرك بعبادة ربّه » ، ثمّ قال : « ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له خيراً ، وما من عبد يسرّ شراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له شراً » .

وحديث ١٤ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم ، وتحسن فيه علانيتهم ، طمعاً في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم ، يكون دينهم رياءاً لا يخالطهم خوف ، يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق ، فلا يستجيب لهم » .

الفصل الخامس

(في الوصايا الراجعة إلى أمور المعاش)

مِن المسكن ، والملبس ، والمجالسة ، وآختيار الزوجة ، ومعاشرة العيال وتربية الأولاد .

أُوصيك بنيّ ! ـ أرشد الله تعالىٰ أمرك ، وأطال عمرك ، ووفّقك لما يحبّ ويرضىٰ ، وجعل مستقبلك خيراً ممّا مضىٰ ـ بسكنى النجف الأشرف ما دام معاشك داراً فيها على الوجه الأوسط ، بل الأدنى من غير آرتكاب محرّم ، ولا تحمّل مذلّة ، لأمور :

فمنها : أنّ لمولانا أمير المؤمنين عليه افضل الصلاة والسلام خصوصيّة في حماية الجار ، وحفظه من شرّ الأشرار ، كما قضتْ بذلك التجربة في هذه السنين العشرة المشومة ، والقرون السالفة ، وكشف عن ذلك قوله عليه السلام : « والنجف حَرَمي ، ما قصده جبّار بسوء إلاّ وقصم الله تعالىٰ ظهره »[1] .

وقوله عليه السلام مشيراً إلى ظهر الكوفة : « ما قصده جبّار بسوء

(١) التهذيب ٦/٣٠ باب فضل الكوفة ، بحار الأنوار ١٠٠/٢٣٢ و ٢٣٤ .

إلاّ ورماه بقاتل »[١] .

وقوله عليه السلام : « إذا كان البلاء في سائر الأقطار إلى شحمة الأذن ، ففيك إلى الخلخال » .

ومَنْ تأمّل في الوقائع المحيّرة للعقول في هذه السنة المتعوسة[٢] فهم معنىٰ هذه الرواية ، وعرف مقدار حمايته عليه السلام للجار .

ومنها : ما في زيارته عليه السلام وفي الصلاة عنده من الفضل العظيم الذي لا يحرم العاقل نفسه منه[٣] .

---

(١) نهج البلاغة ١/٩٢ خطبة ٤٦ [طبعة بيروت : ١/٩٧ ، وتحقيق صبحي صالح : ٨٦ برقم ٤٧] قوله عليه السلام : « كأنّي بك يا كوفة تمدّين مدّ الأديم العكاظي ، تعركين بالنوازل ، وتركبين بالزلازل ، وإنّي لأعلم أنّه ما أراد بك جبار سوءاً إلاّ ابتلاه الله بشاغل ، ورماه بقاتل » .

(٢) سنة تأليف هذا الكتاب هي سنة ١٣٢٤ أيام الإحتلال البريطاني ، راجع الموسوعات التاريخية الشارحة لحوادث العراق انذاك .

(٣) مستدرك وسائل الشيعة ٢/١٩٥ حديث ٤ [الطبعة المحققة ١٠/٢١٢ حديث ١١٨٨٢] عن الصادق عليه السلام قال : « من ترك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام لم ينظر الله إليه ، ألا تزورن من زاره الملائكة والنبيّون عليهم السلام ، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من كلّ الأئمة ، وله مثل ثواب أعمالهم ، وعلى قدر أعمالهم فضّلوا » .

وحديث ٥ عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة ، وأنّه لينزل كلّ يوم سبعون ألف ملك ، فيأتون البيت المعمور فيطوفون به ، فإذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالكعبة ، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلّى الله عليه وآله فسلموا عليه ، ثم أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فسلّموا عليه ، ثمّ أتوا

⇐

ومنها : ما في سكناها من البعد عن جملة من المعاصي قهراً ، لعدم تهيؤ أسبابها في كل زمان على نحو تهيأتها في سائر الأماكن ، كالرئاسات الدنيوية الميسورة للعلماء في سائر الأقطار ، سيما بلاد إيران ـ صانها الله تعالى عن الحدثان ـ .. إلى غير ذلك مما لا يخفىٰ على المتدبّر المنصف .

وإنْ لم يتيسّر لك سكناها ، أو توقّف على ارتكاب خلاف الشرع أو تحمّل مذلّة ، فعليك بالخروج منها وسكنىٰ عتبة أخرى من الأعتاب المقدّسة ، مقدّماً غير كربلاء المشرّفة عليها ، لما ورد من كراهة سكناها[1] ،

⇐ قبر الحسين عليه السلام فسلّموا عليه ، ثم عرجوا وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة » . وقال : « من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بحقه غير متجبّر ولا متكبّر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد ، وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وبعثه من الآمنين ، وهوّن عليه الحساب ، وتستقبله الملائكة ، فإذا انصرف شيّعوه إلى منزله ، فإذا مرض عادوه ، وإن مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره » .

والكافي ٤/٥٧٩ حديث ٢ بسنده قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « يا علي ! من زارني في حياتي أو بعد موتي ، أو زارك في حياتك أو بعد موتك ، أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ، ضمنت له يوم القيامة أن أخلّصه من أهوالها وشدائدها حتّى أصيّره معي في درجتي » .

[وانظر باب استحباب زيارة امير المؤمنين عليه السلام وكراهة تركها من كتاب بحار الأنوار ١٤٧/٨ حديث ١٧ ، وابواب زيارته عليه السلام ٢٢٦/١٠٠ باب ١ ، وغيرها] .

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق : ٥٠ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا أردت زيارة أبي عبدالله عليه السلام ، فزره وأنت حزين ، مكروب ، شعثاً ، مغبرّاً ، جائعاً ، ⇐

بل من المجرّب المعلوم إيراث سكناها قسوة القلب ، وبذلك تقتضي السليقة المستقيمة أيضاً[١] .

وإيّاك بنيّ وسكنى غير الأعتاب المقدّسة ما درّت معيشتك فيها بغير آرتكاب محرّم وتحمّل ذلّ ، فإنّ للعتبة فوائد أخرويّة ، بل ودنيويّة ليست في غيرها ، فإنْ لم يتيسّر [لك] ذلك ، فعليك باختيار ما غلب على أهله التقى والصلاح والوزانة والرزانة والفهم والعلم من البلاد للسكنىٰ .

وعليك بنيّ إذا سكنت الأعتاب المقدّسة أو زرتها آختيار دار قرب العتبة التي بها ، فإنّ بُعد المنزل عن المزار يتسبب [منه] ترك الزيارة في جملة من الأوقات ، لِوَجَل أو مطر أو فساد في البلاد أو ضيق وقت أو .. نحو ذلك ، وإنْ سكنت غير العتبة فعليك بوسط المعمورة ، فإنّه أسلم وأبعد من الآفات[٢] .

وعليك بتحصيل مسكن ملك أو وقف يشرع سكناه مهما أمكن ولو كان محقّراً ، فإنّ الدار المملوكة أو الشبيهة للملك ـ وإنْ كانت محقّرة ـ أسلم دنياً وديناً من الواسعة بالإجارة ، فإنّ فيها مذلّة .

⇐ عطشاناً ، فإنّ الحسين عليه السلام قتل حزيناً ، مكروباً ، شعثاً ، مغبرّاً ، جائعاً ، عطشاناً ، واسأله الحوائج وانصرف عنه ولا تتّخذه وطناً » .

(١) لأنّ السكنىٰ توجب الغفلة عن المصائب التي جرت على الذرّيّة الطاهرة ، والانصراف إلى شؤون الدنيا وعدم الحزن ، مع أنّ الذي تقتضيه خصوصيّة المكان أن يكون الإنسان ما دام فيها حزيناً كئيباً .

(٢) وهذا أمر لا ريب فيه ، ومن تأمّل في الحوادث اليومية التي تقع في البلاد يرى أنّها في الغالب لا تقع إلاّ في أطراف البلدة ونواحيها والدور التي في أطرافها .

وعليك إذا أردت شراء دار أو إجارتها بالفحص الأكيد عن حال الجيران ، فالجار ثم الدار(١) ، وإني قد غفلت عن ذلك فأصابني مدة مديدة من الجيران ما كاد يخرج تحمّل بعضه عن طوع طاقتي ، ولولا فضل الله تعالىٰ وحفظه لوقعت فيما لا ينبغي .

وإن آحتاج بنيّ مسكنك إلى التعمير ، فإيّاك أن تعمّره جميعاً في سنة واحدة ، بل عمّر في كل سنة جهة ، ولا تقلع تمام التعمير السابق ، بل أبقِ منه ما كان محكماً ، لأنّ من المجرب أن مَنْ عمّر داره من أصولها في سنة واحدة لا يسكنها ولا يتهنأ بها ، مضافاً إلى أن هدم المحكم إتلاف للمال وإسراف .

وإيّاك وأن تختار التعمير المنظّم من جميع الجهات ، بل آقتصر على مقدار قضاء الحاجة وإنْ كنت ذا مال وثروة ، لأنّ الدنيا ليست بدار قرار وسرور ، فخذ منها ما يكفيك ، وآقتصر منها على ما يرفع حاجتك ، وآصرف الباقي في تعمير دار الآخرة بصلة الذريّة الطاهرة وأخيار الشيعة المطهّرة ، وتزويج الأعزب منهم ، وإعانة المضطرّين منهم .. ونحو ذلك .

وعليك بنيّ باختيار الدار الواسعة إنْ أمكنك ، فإنّ من سعادة الرجل سعة داره في الدارين(٢) ، رزقني الله تعالىٰ وإيّاك بنيَّ ذلك .

---

(١) وسائل الشيعة ٢١٨/٢ باب ٨٩ كراهة مجاورة السوء حديث ١ [ط ج ٤٩١/٨] عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من القواصم التي تقصم الظهر جار السوء ، إنْ رأى حسنة أخفاها ، وإنْ رأى سيّئة أفشاها » .

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٥٣٤/٢ باب ٨ استحباب اختيار الزوجة الصالحة حديث ⇐

وأوصيك بنيّ ! ـ ألبسك الله تعالىٰ ثوب التقوىٰ ـ باختيار ما كان من اللباس وسطاً ، يلبسه الغنيّ والفقير كلاهما ، لأنّك إنْ كنت فقيراً كنت غير متعدّ طورك ، ولا تقع في المحظور مِنْ صرف الحقوق وأموال الناس في الزائد عن قدر الضرورة ، وإنْ كنت غنياً كنت قد زهدت في الدنيا ، وتسلّت بك الفقراء ، على أنّ هٰذه الفاحشة الدنيّة آنقلابات ، فإن كنت قد عوّدت نفسك بلباس الأواسط لم يتبيّن فقرك عند إدبار الدنيا عليك ، وإنْ عوّدت نفسك بلباس الأغنياء ، فإن آلتزمت عند زوال غناك بلباسك المتعوّد عليه ، كنت قد كلّفت نفسك ما لا تطيق ، بل ربّما وقعت لأجل ذلك في الحرام ، وإنْ لبست لباساً أنزل من السابق بانت الخلّة في أمورك ، والذلّ في وجهك وثيابك .

وإيّاك بنيّ ولباس الشهرة في طريفيّ الفقر والغنىٰ ، وجانبي الزهد والتجمّل ، ولورود النهي الأكيد عنه ، وخير الأمور أوسطها(١) .

⇐ ٩ [الطبعة المحققة ٤٥١/٣ حديث ٣٩٦٧] عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « من سعادة المرء المسلم الزوجة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والمركب الهنيء ، والولد الصالح » .

(١) في خطبة النبي الكريم في غزوة تبوك قوله صلّى الله عليه وآله : « خير الأمور أوسطها ، وشرّ الأمور محدثاتها » .. [كما في الاختصاص وحكاه عنه في بحار الأنوار ١٣٥/٧٧ حديث ٤٣] .

[وفي تفسير القمي ـ كما في البحار ٢١٠/٢١ : .. وخير الامور عزائمها » ، وفسره رحمه الله : اي فرائضها التي عزم الله تعالىٰ عليك نفعلها . ولاحظ بحار الانوار ١٥٤/٤٨ حديث ٢٦] .

وعليك في اللباس بالتقيّد بما هـو المـطلوب شرعـاً ، مـن الطـهارة الشرعية ، والنظافة الصورية ، فثوب كرباس نظيف خير شرعاً وعقلاً من ثوب خزّ قذر .

وعليك بنيّ ـ رزقك الله تعالىٰ خير جليس ـ إذا أردت أن تجـالس أحداً ، أنْ تلاحظ مَنْ تجالس ، فإن المرء يُعْرَف بجليسه .

وإيّاك ومجالسة فاسدي العـقيدة ، والعـصاة ، والسـفلة ، والأراذل ، والأذناب ، وذوي العادات الرديّة ، والأخلاق الدنيّة ، فإنّ المرء[1] مكتسِبٌ مِنْ كل مصحوب ، والمجالسة مؤثّرة ، ولقد تضمّن الديـوان المـنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام[2] قوله :

ولا تصحب أخا الجهل   وإيّـــــاك وإيّـــاه
فكم من جـاهل أردى   حكـيماً[3] حـين آخـاه
يــقاس المــرء بـالمرء   إذا مــا هــو مــاشاه

(١) كذا في المصدر ، وفي الاصل : نطقه ، والظاهر : الخُلق .

(٢) جاء ما قبل آخره في الديوان :

وللقلب على القـلب   دليـل حـين يـلقاه

وجاء في آخره :

وفي العين غنىٰ للـعين   ان تَـــنطِق افـــواه

[ديوان امير المؤمنين عليه السلام : ١٠٠ من طبعة الاعلمي في بيروت ، وفي طبعة الغري في النجف الأشرف : ٧٥ . وجاء ايضاً مكرراً في احياء علوم الدين للـغزالي : ٢/١٧١ ـ ١٧٢ و٢/٢٤٠] .

(٣) في الديوان : حليماً .

وللشّيء من الشّيء مقاييس وأشباه

وروي أنّ لقمان قال لابنه : يا بنيّ ! اختر المجالس على عينك ، فإنْ رأيت قوماً يذكرون الله عزّوجلّ فاجلس معهم ، فإنْ تكن عالماً ينفعك علمك ، وإنْ تكن جاهلاً علّموك ، ولعلّ الله تعالىٰ أنْ يظلّهم برحمته فتعمّك معهم[1] .

وعن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام : « إن محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابيّ[*] »[2] .

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله : أنّه « قالت الحواريون لعيسى عليه السلام : يا روح الله ! مَنْ نجالس ؟ قال : مَنْ يذكّركم الله رؤيته ، ويزيد فى علمكم منطقه[3] ، ويرغّبكم في الآخرة عمله »[4] .

وقال صلّى الله عليه وآله : « مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة »[5] .

وقال أبو جعفر عليه السلام : « لَمَجْلس أجلسه إلى مَنْ أثق به أوثق

---

(١) وسائل الشيعة ١/٤٤٢ باب ٥٠ استحباب الجلوس مع الذين يذكرون الله حديث ٢ [الطبعة الجديدة ٧/٢٣١ حديث ٩١٩٨] بلفظه .

(*) الزرابيّ : هي الطنافس المخملة ، ويقال لها بالفارسية : قاليچه . [منه قدّس سرّه] .

[أقول : الزرابي جمع زربي ، وهي ما بسط واتكي عليه] . انظر مجمع البحرين ٢/٧٨ وغيره .

(٢) أصول الكافي ١/٣٩ باب مجالسة العلماء وصحبتهم حديث ٢ ، بلفظه .

(٣) كذا في المصدر ، وفي الأصل : نطقة .

(٤) أصول الكافي ١/٣٩ باب مجالسة العلماء وصحبتهم حديث ٣ ، بلفظه .

(٥) أصول الكافي ١/٣٩ باب مجالسة العلماء وصحبتهم حديث ٤ ، بلفظه .

في نفسي من عمل سنة »[١] .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « إيّاك ومخالطة السفلة ؛ فإنّ السفلة لا تؤول إلى خير »[٢] .

وقال الصدوق[٣] رحمه الله : جاءت الأخبار في معنى السفلة على وجوه :

منها : أنّ السفلة هو الذي لا يبالي بما قال ولا ما قيل فيه[٤] .

ومنها : أنّ السفلة مَنْ يضرب بالطنبور .

ومنها : أنّ السفلة مَنْ لم يسرّه الإحسان ولم تسوؤه الإساءة .

و[منها : أن] السفلة من آدّعى الإمامة وليس لها بأهل .

وهذه كلها أوصاف السفلة ؛ من آجتمع فيه بعضها أو جميعها وجب آجتناب مخالطته .

نعم ، إنْ رجوت من مجالسة العاصي والدنيّ إصلاح حاله ، وتهذيبه من رذائل أخلاقه ، من دون أن تكتسب منه عادة رديّة ، أو تتّهم بين الناس بتهمة فعليك بنيّ بمجالسته بمقدار يتوقّف عليه إصلاحه ، فإنّ الرجل كلّ الرجل ليس مَنْ أدَّب نفسه فقط ، ونجّاها من النار ، بل مَنْ أدّب غيره أيضاً ، ولذا جُعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمّ الفرائض ،

---

(١) أصول الكافي ١/٣٩ باب مجالسة العلماء وصحبتهم حديث ٥ ، بلفظه .

(٢) [الكافي ٥/١٥٨ حديث ٧ ، والتهذيب ٧/١٠ حديث ٣٨] .

(٣) [من لا يحضره الفقيه ٣/١٦٤ ذيل حديث ٣٦٠٥] .

(٤) في المصدر : ما قيل له .

وآكد الواجبات ؛ لما فيهما من تأديب الغير وإخراجه من العصيان إلى الطاعة ، وإنجائه من النار .

وإذا أردت بنيّ ! ـ رزقك الله خير الدارين ـ التزويج ، فعليك بملاحظة نسبها ، فإنّ منها يكون الولد ، وإنّ الوعاء واللبن كلاهما يؤثّران في الولد ، وعليك بمراعاة الصفات المحمودة شرعاً .

وعليك ـ بعد إحراز سلامة نسبها من أسباب العار ، وإيمانها وتقواها ـ إحراز جمالها حتّى تستغني بها عن غيرها ، فإنّ جمال المرأة يوجب أنس الخاطر ، وقطعه النظر عن غيرها .

وما ورد من المنع من تزويج المرأة لمالها أو جمالها ، فإنّما المراد به مراعاتهما من دون مراعاة الدين ، وإلاّ فلا شبهة في أنّ اختيار الجميلة ـ بعد إحراز دينها وتقواها ـ أحسن ، كما لا يخفى على من راجع الأخبار[1] .

وقد كان حبّ النبي صلّى الله عليه وآله لعائشة لجمالها !! .

وكذا لا بأس باختيارك لذات المال والثروة ، إذا كانت ذات دين صالحة تقيّة ، وكان مالها من حلال ، وكانت ملتزمة بأداء حقوق أموالها .

---

(١) وسائل الشيعة ٣/٧ باب ٢١ حديث ٤ [ط ج ١٤/٣٧] عن الرضا عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ، فإنّ فعالهم أحرى أن تكون حسناً » .

وحديث ٥ عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : « ثلاث يجلين البصر : النظر إلى الخضرة ، والنظر الى الماء الجاري ، والنظر إلى الوجه الحسن » .

وفروع الكافي ٣٢٤/٥ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « أفضل نساء أمّتي أصبحهنّ وجهاً ، وأقلّهنّ مهراً » .

بل عليك بنيّ باختيارها سيّما إن كنت فقيراً ، فإنّ مالها قد ينفع أولادها ، ويعين على آشتغالهم بطلب العلم ، فإنّ من له كفاية يقدر على طلب العلم أحسن من الفقير المعدم ، ولكن لا يفوتك التقيّد بقيدي الديانة والنجابة .

وإيّاك وآختيار المليّة المستحدثة النعمة ، فإنّها لمالها وآمتلائها فقراً ربّما تتكبّر عليك وتستصغرك ، فتكون في محنة وبلاء . ولذا يكره القرض من مستحدث النعمة[1] ، وإذا دار الأمر بين المليّة المستحدثة النعمة ، والنجيبة الفقيرة ، فعليك باختيار الثانية ، فإنّ أحشاء المستحدثة مملوّة فقراً ، ولذا قال الشاعر :

مستحدث النعمة لا يرتجىٰ أحشاؤه مملوّة فقرا

وقال الشاعر الفارسي :

نعيم زاده چه مفلس شود بر او پيوند
درخت چونكه تهى گشت بارور گردد

(١) فروع الكافي ٥/١٥٨ حديث ٥ عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال : « لا تخالطوا ولا تعاملوا إلاّ من نشأ في الخير » ، وقريب منه حديث ٨.

وحديث ٤ عن حفص بن البختري قال : استقرض قهرمان لأبي عبدالله عليه السلام من رجل طعاماً ، فألحّ في التقاضي ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : « ألم أنهك أن تستقرض لي ممّن لم يكن له فكان » .

لئيم زاده چه منعم شود از او بگريز

كه مستراح چه پر گشت گنده‌تر گردد[١]

وعليك بستر زوجتك وبناتك وسائر حرمك بالبيوت ، ومنعهنّ من الخروج إلاّ بقدر الحاجة والضرورة ، لأنّ المرأة لضعف قوّه تميزها ، إذا ٱزدادت معاشرة مع النساء ، وخروجاً من الدار ، فسدت ديناً ودنياً ، ولذا ورد الأمر بستر عيّهنّ بالسكوت ، وعوراتهنّ بالبيوت[٢] .

وعليك بنيّ بتربية أولادك ذكوراً وإناثاً من الطفولة بالآداب الشرعية والعقلية ، ولا تَقُلْ : هو طفل غير مخاطب بخطاب الله سبحانه .. ! فإنّ الطفل إن لم يؤدّب من بدو الأمر لم يمكن تأديبه بعد الكبر ، ولقد أجاد من قال :

اضرب وليدك تأديباً على رشد ولا تقل هو طفل غير محتلم

فرُبّ ضرب يؤدّي الترك منك له إلى الجراح لدى رشد وفيض دم

وعليك بتعليمه معالم الدين وأحكام ربّ العالمين من الطفوليّة ، فإنّ ما ٱنتقش في الخاطر عند الطفولية لا يزول ، وعَلِّمْه بعد ختم كلام الله المجيد

---

(١) [وحاصل ترجمته هو : ان ابن النعمة حيث اصبح مفلساً فاشدد علاقتك به وارتبط به ، اذ ان الشجرة اذا أوبرّت زادت نمواً ورشداً ، اما ابن اللؤماء ومستحدثي النعمة فاهرب منه ما استطعت ، وذلك فيما اذا اقبلت عليه الدنيا ؛ لانّ البالوغة كلّما كثر ما فيها من القاذورات زادت ريحها نتناً] .

(٢) الوافي ١١٨/٣ من كتاب النكاح قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « النساء عيّ وعورة ، فاستروا العورات بالبيوت ، واستروا العيّ بالسكوت » .

كتاب الحسنية[1] ، وكتب معجزات الأئمّة عليهم السلام حتّى يعجن قلبه بحبّهم عليهم السلام ، ولا يكون تشيّعه عن آتّباع الآباء ، بل بالبرهان .

ومن أهمّ ما يلزمك في أدب الطفل أن تمنعه من الخروج من الدار وحده ، واللّعب مع الصبيان في الشارع ، بل آمنعه من مخالطة الأطفال مهما أمكن حتّى في الدار ، فإنّ طبعه سريع الاكتساب ، فربّما يكون خليطه ذا عادة سيّئة ، وطبيعة مرجوحة فيكتسبها منه بسرعة ، حتّى أنّه إذا بدأ بطلب العلم آمنعه من معاشرة أمثاله فضلاً عمّن هو أكبر منه إلاّ بقدر تعلّم العلم ومذاكرته ، وليكن طلبه ومذاكرته في موضع يكون [معه] ثالث يتقيّد منه ، ولا يسعه تعلم طرق الشيطنة والفساد من جليسه .

وإنّما ذكرت هذه الفقرات لك بعد التجربة ، فإنّ جليسي ومَنْ كنت أتذاكر معه في الطفولة كان صالحاً آبن صالح ، فلم أتعلّم منه شيئاً من الفساد إلاّ أنّه عوّدني بشرب التتن ، فلمّا كبرت ندمت حيث لا ينفع الندم ، حيث إنّي لما شعرت بضرره وأضعافه وتركته ، أصابني من تركه ضرر أعظم ، فعدت عليه من حيث إنّ المزاج قد تعوّد بهضم الطعام ودفع

---

(١) [الرسالة الحسنية في الامامة ، وهي رسالة مشهورة جيدة نفيسة في مسألة الامامة ، تنسب إلى بعض الجواري من بنات الشيعة مسماة بهذا الاسم في زمان هارون الرشيد يظهر منها انها كانت فاضلة عالمة بصيرة بالاخبار والآثار .. ولعلها من اخراج بعض العلماء ، واحتمل في الرياض نسبها الى ابي الفتوح الرازي ، وقيل : كوكين ، الشيخ ابراهيم بن ولي الله الاسترابادي ، وقيل غيرهما . وقد ترجمة الى الفارسية ، ويقال لها : الرسالة الحسنية في الاصول الدينية . انظر رياض العلماء ٢/١٥٩ ـ ١٦٠ ، و٥/٤٠٦ ، و٦/٤٠٦ ، واعيان الشيعة ٢/١١٠ والذريعة الى تصانيف الشيعة ٧/٢٠ رقم ٩٠] .

الرطوبات الزائدة بمعونته ، فبتركه يهيّج الرطوبات وأورث المرض .

وإيّاك بنيّ وأن تعوّد الطفل بالدرهم والفلوس ، وتعطيه إيّاه ، وتفهّمه مصرفه ، فإنّ في ذلك مفاسد عظيمة لا يلتفت إليها إلاّ مَنْ جرّب ذلك ، فإنّه إذا فهم فائدته تعلّق قلبه من الطفولة به ، ولم تخرج تلك العلقة من قلبه ، فيكون محبّاً للمال وزخرف الدنيا ، مضافاً إلى أنّه ربّما لا يجده فيلتزم في تحصيله بكلّ طريق ممكن ، فيقع في المفاسد العظام .

وإيّاك بنيّ ثمّ إيّاك وتعويد الطفل ـ ذكراً كان أو أنثىٰ ـ بالجيِّد من المأكول والملبوس ، لأنّه إذا آعتاد بهما ولم يساعد الزمان إلى الالتزام بما آعتاد به كان في كدر ، بخلاف ما لو آعتاد بالوسط أو الأدون ، فإنه إن تيسر له أجود منه كان مسروراً .

ومن أهمّ ما يلزمك بنيّ ! أن تزوّج أولادك في أوّل البلوغ ، تصون بذلك دينه وعِرضه .

وإيّاك أن يمنعك الفقر من ذلك .

وأراك عاقاً عليّ إن لم تمتثل ما أمرتك به ، وأرى روحي لا ترضى منك إن خالفتني فيه ، غايته عند الفقر الإتيان بالميسور ، ولا أقلّ من أن تمتّع له امرأة فقيرة يكتفي بها إلى أن ييسّر الله سبحانه عليك أو عليه .

وتلخيص المقال في وصاياي ولبّها إعمال الفكر دائماً في أمورَي المعاد والمعاش ، وآختيار الراجح شرعاً وعقلاً ، مع ملاحظة العواقب ..

وفّقك الله ـ تعالىٰ ـ لما يحبّ ويرضى ، وجعل مستقبل أمرك خيراً ممّا مضىٰ .

وقد آل الأمر بي إلى هنا بعد الساعة الثامنة من ليلة الأحد سابع شهر جمادى الأولى سنة الف وثلاثمائة وأربع وعشرين ، حامداً لله تعالىٰ مصلّياً على النبي الأمين وآله الغرّ الميامين ، لاعناً أعداءهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين .



تم كتاب مرآة الرشاد في الوصية الى الأحبّة والأولاد ، ويتلوه كتابه مرآة الكمال لمن رام درك مصالح الأعمال .

والحمد لله وحده وصلّى الله عليه من لا نبي بعده وآله الطيّبين الطاهرين .

نمّقه العبد الآثم الجاني احمد بن الشيخ محمد حسين الزنجاني غفر الله لهما ولوالديهما في ١٣٤١ هـ.

وقد فرغت من التعليق على هذا السفر الجليل وتصحيحه وذكر مصادر أحكامه ليلة الثالثة والعشرين من شهر الله تعالى ١٣٨٤ هـ.

وأنا العبد الفاني محيي الدين نجل فقيد العلم والتقى آية الله العظمىٰ المؤلّف قدّس سرّه ونوّر ضريحه ، ووفّقنا للاقتداء بسيرته وسيره ، بمحمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين

المصادر

(١) القرآن الكريم .
(٢) نهج البلاغة ـ محمد عبده ـ بتعليق محمد محي الدين عبدالحميد ـ مصر .
(٣) اصول الكافي ـ الكليني ـ ايران .
(٤) فروع الكافي ـ الكليني ـ ايران .
(٥) روضة الكافي ـ الكليني ـ ايران .
(٦) وسائل الشيعة ـ الشيخ الحر العاملي ـ ايران عين الدولة .
(٧) مستدرك وسائل الشيعة ـ الشيخ ميرزا حسن النوري ـ ايران .
(٨) تفسير مجمع البيان ـ الطبرسي ـ صيدا .
(٩) تفسير الصافي ـ ملا محسن الفيض ـ ايران .
(١٠) تفسير التبيان ـ الشيخ الطوسي ـ النجف الاشرف .
(١١) تفسير البرهان ـ البحراني ـ طهران .
(١٢) تفسير مرآة الانوار ـ ابي الحسن الفتوني المتوفى ١١٣٨ هـ .
(١٣) تنقيح المقال في علم الرجال ـ فقيد العلم والتقوى شيخنا المؤلف (ره) ـ النجف.
(١٤) بحار الأنوار ـ المجلسي ـ كمپاني طهران .
(١٥) مجموعة الشيخ ابو فراس ورام ـ طهران .
(١٦) جامع السعادات ـ النراقي ـ النجف الاشرف .
(١٧) ثواب الاعمال ـ الصدوق ـ ايران .

(١٨) المحاسن ـ البرقي ـ طهران .

(١٩) مجمع البحرين ـ الطريحي ـ افست ايران .

(٢٠) الاثنى عشرية في المواعظ العددية ـ النجف الاشرف .

(٢١) منهاج النجاة ـ الشيخ ملا محسن الكاشاني ـ ايران .

(٢٢) ترجمة الكلمات القصار للرسول الأعظم ﷺ ـ طهران طبع وزارة الاوقاف .

(٢٣) شرح كتاب شهادة الاخبار ـ تاليف القاضي عياض ـ طبع جامعة طهران .

(٢٤) ديوان ابي العتاهية ـ الشاعر المعروف ـ مصر .

(٢٥) مشكاة الانوار ـ النجف الأشرف .

(٢٦) الصحيفة السجادية ـ طهران .

... وغيرها .

إعلام وتذكير

حمدك اللهم علىٰ ما وفقني لطبع هذا المؤلف الجليل والتعليق عـليه ، وثـبت مصادره ، وارجاع مفاهيمه إلى احاديث أهل بيت العصمة والطهارة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، ولقد حاولت ان اوفق بين مباحث الكتاب والمنهاج العقائدي فيما يرجع ويخص الانبياء وقداستهم ، وعقيدة الامامية بهم ، ثم اعرضت عن ذلك لئلا يخرج الكتاب عن طوره ، وذلك في قصة أيوب عـليه السـلام وغـيرها ، وأثبت ضبط الحديث ، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق لانجاز طبع أجـزاء (مـرآة الكمال) قريباً عاجلاً ، ويقبل عملي هذا ، ويخلص نيتي وينفعني به يوم الفقر والفاقة ، كما وعزمت على تجديد طبع أهمّ كتاب في علم الرجال وأوسعه وهو (تنقيح المقال في علم الرجال) تاليف شيخنا آية الله العظمىٰ فقيد العلم والعمل والبـحث والتـحقيق سماحة الوالد قدّس الله روحه الطاهرة ، واخراجه في حلّة قشيبة مع تحقيق في ضبط الاسماء والحوادث وارجاعها إلى مصادرها الوثيقة ، والتعليق على كل موضوع فـيه يحتاج الى توضيح وبيان ، ودرج من سقط من قلمه الشريف من الرجال ، مع ترجمة حالهم باختصار ، ومن ثمة التعرض للنقود الواردة عليه مع الرد أو القبول .

واني أتقدم بالطلب الاكيد ممن استقرى هذا السفر العظيم من طـبعته الاولى وعثر على ملاحظات ـ من أي نوع كانت ـ أن يرسلها اليـنا لتسـجيل في الطـبعة الجديدة مشفوعة بالشكر والدعاء من نجل المؤلف .

١٣٨٥ هـ ـ النجف الأشرف — محيي الدين المامقاني

المحتـــوى

الفصل الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم